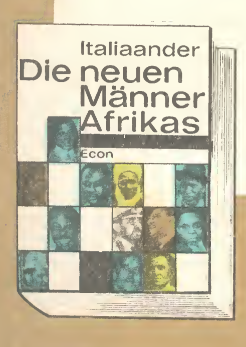


عشرة رجال من افريقية



حياتهم
أعمالهم
أهدافهم

بقلم الكاتب الألماني
رولف إيتاليندر
ترجمة
احمد عبد القادر
تقديم ومراجعة
الدكتور احمد موسى



اهداءات ٢٠٠١

. محمـــود ديـــاب

ج بالمستشفى الملكى المصرى

مذاهب وشخصيات

عشرة رجال

من افريقيه

حياتهم . أعمالهم . أهدافهم

الكاتب الألماني

بقلم : رولف إيتالييندر

ترجمة : احمد عبد القادر

تقديم ومراجعة : الدكتور احمد موسى

مقدمة

تعتبر افريقية من أهم القارات الخمس : فموقعها الذى يتوسط الكرة الارضية بالنسبة الى خط جرينتش وثرواتها الهائلة واراضيها البكر الواسعة الشاسعة الاطراف التى جذبت العالم اليها .

وجاء اسمها كما أورده الرومان منسوبا الى أهلها الذين كانوا يسمون « أفرى » أو « افريكان » وهى مع قارة أوربا التى يفصل بينهما البحر الأبيض المتوسط وآسيا التى يفصلها عنها البحر الاحمر تكون جميعا ماعرفوه باسم العالم القديم .

وتمتد افريقية من خط عرض ٢٠ ــ ٣٧ درجة شمالا الى خط عرض ٥١ ــ ٣٤ درجة جنوبا ، ويكاد خط الاستواء يقسمها قسمين متساويين ، ويبلغ طولها من ساحلها الشمالى الى قمتها السفلى نحو ثمانية آلاف كيلو متر ، وعرضها من الشرق الى الغرب نحو سبعة آلاف وستمائة كيلو متر ، ولهذا فهى تعتبر ثالثة القارات المتماسكة الاطراف ومساحتها تبلغ ثلاثة أضعاف مساحة أوربا كلها ، كما تعادل خمس مساحة اليابسة مجتمعة .

والعجيب فى هذه القارة أنها تكاد لا تحيط بها جزر كثيرة من أية ناحية من نواحيها ، اللهم الا جزيرة مدغشقر وبضع جزر صغيرة بالقرب منها ، بالاضافة الى مجموعة ضئيلة فى شمالها الغربى .

وشكل القارة عموما اشبه شيء بالكمثرى نصفها الأعلى على هيئة شكل رباعي هائل ونصفها الاسفل مثلث كبير يمتد راسه الى الجنوب ، ولاتسمح معظم سواحلها بالسفر عليها ، ذلك لأنها حينا ذات انحدار وعر ، وحينا مسطحة رملية ، وحينا جبلية ، اما شماليها الطويل وجنوبيها الضئيل فانسواحلهما رخوةعامرة في معظم مناطقها بالحيوانات البحرية ، الى جانب المرجان الذى يكثر فى ساحلها الشرقى .

ولايتسع المجال لوصف أراضيها الواسعة ولا ما عليها من حيوان ونبات ولا مافى باطنها من كنوز طبيعية هائلة قلما توافرت فى قارة اخرى وكذلك لايتسع المكان لبيان جوها وسكانها بعقائدهم وعاداتهم ولغتهم ، كما لايمكن بحال وصف وسائل المواصلات فيها ، التى تؤدى الى حد ما الى بقاع ذات اقتصاديات تجل عن الوصف والحصر .

ولهذه القارة تاريخ عجيب لايخرج فى اول امره عن اقاصيص وروايات ، حتى قام المصريون بأسفارهم الكشفية فى حوالى عام الفين قبل الميلاد ، فساروا جنوبا وعبروا البحر الأحمر حتى بلغوا « ارض البخور » فى جنوبى الجزيرة العربية ، وجاب الفينيقيون القارة من شمالها متجهين نحو الجنوب ، حتى بلغوا غينيا العليا ، وفى رواية لهيرودوت المؤرخ الاغريقى انهم قاموا برحلتهم حول ساحل القارةمبتدئين من البحر الاحمر .

اما بطليموس فقد عرف أن النيل لابد آت من بحيرات كبيرة تمد النهر العظيم بالماء الجارى ، وفى عصر نيرون قامت بعثة كشفية فى نهر النيل حتى بلغت بحر الغزال . اما يوليوس ماتيرنوس فقد استطاع الوصول الى تشاد وكان ذلك فى أواخر القرن الاول بعد الميلاد .

اما البحث العلمى السليم فى شئون هذه القارة فقد بدا على ايدى العرب ويليهم الايطاليون والبرتغاليون ، وقد بلغت جهود علماء العرب فى بحوثهم الكشفية جنوبى السودان ، وانتشرت معالم الحضارةالاسلامية بانتشار الاسلام تدريجيا فى جزء كبير منه . ومازالت رحلات ابن بطوطة فى كتابه « تحفة النظار فى غرائب الامصار وعجائب الاسفار » الذى ألفه فى القرن الرابع عشر موضع الاعجاب والتقدير من علماء الغرب ، فهو الذى جاب شمالى افريقية مبتدئا من المغرب الى مصر فالساحل الشرقى حتى مومباسا وكيلوا ، واخترق الصحراء حتى وصل الى تيمبوكووكوكا وكان ذلك بعد اربعة قرون منذ ظهور البلخى وكتابه « صور الأقاليم » والاصطخرى وكتابه « المسالك والممالك » وابن حوقل وكتابه « المسالك والممالك والمفاوز والمهالك » وكلهم من جغرافيى القرن العاشر والادريسى

صـــاحب « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » وخريطته المشـــهورة لما جابه من البلدان ، وهو اول من حقق منابع النيل فى القرن الثانى عشر .

اشـــتغل هؤلاء جميعا بجغرافيـــة افريقيـــة وتاريخها على وجـه الخصوص ، الى جانب غيرهم من علماء العرب ممن اشتغل بجغرافيـة اقطار وقارات أخرى وتاريخهما مما يدعو فى هـذا المجال الى اهمـال ذكرهم .

أما ليوافريكانوس فقد قام برحلة فى أوائل القرن الســادس عشر على اعتباره سفيرا لبلاده مبتدئا من المغرب الى تيمبوكووبورنو ، وكتب كتابا يعد مرجعا وصف فيه السودان .

ويعتبر شـمالى افريقية اهم جزء تناوله الرحـالة والبـاحثون بالدراسة والكشف لجملة أسباب : من اهمها قرب هـذا الشاطىء من قارة أوربا وانبساط شواطئه وقيام أقدم الحضارات على جزء منـه ، فقام جغرافيون ورسامون للخرائط أمثال انجلينود الورونو ، فى القرن الرابع عشر ، وفراماورو فى القرن الخامس عشر بالكتابة الوصفيةالمزودة بالخرائط الايضاحيةالتى مازالت لها قيمتها العلمية الى اليوم ، واكتشف غيرهما بعض الجزر مما لا داعى للافاضة فيه .

ولم تصل البحوث الخاصة بالقارة كلها مبلغ النضج الا فى القرن الخامس عشر ، حيث استطاع برتولى دياتس الوصول الى راس الرجاء الصالح ، وأعقب ذلك رحلة فاسكودى جاما فى اواخـر ذلك القرن الى شرقى الهند ، وعرج فى طريق عودته على مصوع بالبحر الاحمر حتى بلغ السويس فى عام ١٥٤١ .

وتلت هذه الرحلات كشوف أخرى عقب الكشف عن الهند والقارة الأمريكية فبدأت حركة الكشف الافريقية فى القرن السابع عشر على نطاق واسع وبنشاط واهتمام ملحوظ :

فنزل الفرنسيون فى السنغال فىسنة ١٦٢٦ ، كماوصل الهولنديون الى راس الرجاء الصالح فى سنة ١٦٥٠ ، والألمان الى ساحل الذهب فى سنة ١٦٨٢ ، أما الانجليز فقد جاءوا الى افريقية بشركة تجارية اسموها « الشركة الانجليزية الافريقية للتجارة » فى ســنة ١٦٧٢ . ولم يقتصر عملها على مدلول اسمها ، بل كانت هى الأساس الأول لتوطيد أقدامهم فى بقاع شتى من القارة .

وقـد وسع البرتغـاليون ممتلكاتهم فى انجـولا وموزنبيق . اما الفرنسيون فقد كانت أسفارهم الكشفية على مسـتوى عـال من حب

الامتلاك ، فبلغوا سينيجامبيا وتيمبوكو وبايس ولوبو فى منطقة منابع النيل الازرق ، وبانسيه فى اثيوبيا ، هذا الى جانب محاولات عدة فى القرن الثامن عشر للوصول الى قلب القارة ، قام بها أصحابها حينا من سينيجامبيا (وساحل) غينيا وحينا آخر من منطقة الكاب .

وكانت أولى البحوث العلمية الممهدة للاستعمار مبتدئة فى سينيجامبيا بوساطة رجل انجليزى اسمه آدنسون ، كما قام بروس روبيان بين عامى ١٧٦٩ ، ١٧٧٢ بعمل البحوث فى بلاد اثيوبيا وحول مجرى النيل الأزرق .

اما بلاد هونتتوتن عند الكاب فقد قام كل من سبارمان وتونبرج للبحث والتنقيب فيها من سنة ١٧٧٢ الى ١٧٧٦ ، وأكمل بحوثهم نحو الشمال ليفابلان من سنة ١٧٨٠ الى سنة ١٨٧٥ . واكتشف غوردون نهر الأورانج فى عام ١٧٧٧ ، وجاء كاستين نيبور الألمانى الى مصر فى عام ١٧٦١ وقام بعمل أول خريطة صحيحة عن البحر الاحمر ، أما أولى الخرائط ذات القيمة الجغرافية لمصر فكانت من عمل يوهان ماتياس هازه فى سنة ١٧٢٧ ، أى بعد أول خريطة طوبوغرافية لمناجم الذهب بمصر وهى مرسومة على ورق البردى من نحو ثلاثة آلاف وسبعمائة سنة ومحفوظة بمتحف تورينو .

وكانت الرحلات التى أسموها كشفية حينا وعلمية جغرافية حينا آخر منذ أواخر القرن الثامن عشر الى الربع الاول من القرن العشرين لم تكن حقيقتها الا الافادة من كنوز هذه القارة العظيمة ، وتوطيد أركان الاستعمار فيها بكل الوسائل ومنها التبشير ، الذى دفع بالأوربيين الى الاستشراق ودراسة اللغات المنتشرة فى القارة ، وكانت من أولها ولاشك اللغة العربية . وللاستشراق والمستشرقين قصتهم وتاريخهم ممالايمكن فى هذا المجال ذكره ، ولكنه من أوثق الاسباب التى جعلت هؤلاءالأوربيين يتمكنون من القارة ومن أهلها .

ولعل من الادلة الظاهرة على ذلك تأسيس الانجليز لما أطلقوا عليه « أفريكا اسوسييشن » الذى مهد السبيل الى جانب الوسائل الاخرى ، الى الطمع فى نهر النيل العظيم بمنابعه وبحيراته التى أطلقوا عليها اسم ملوكهم وملكاتهم ، على نقيض الجغرافى العربى الذى وصل الى هذه المنابع وأطلق على البحيرات أسماءها المحلية ، فجاءت فى خريطة الادريسى خالية من كل لون من ألوان الأنانية أو الاستعمار . وكان الطمع فى نهر النيجر لايقل عن الطمع فى نهر النيل ، وعندئذ بدأت الأطماع السافرة تظهر رويدا رويدا فى وسط افريقية بطريقة وأسلوب لانظير لهما فى أية قارة أخرى .

فاذا كانت مصر قد عرفت البحث في أفريقية وبلغت اثيوبيا في القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، وعرفها العرب وسافروا حول شاطئها الشرقي في القرن العاشر بعد الميلاد وقام الادريسي برحلته المشهورة وابن بطوطة بسياحته المعروفة في مصر والساحل الشرقي للقارة حتى بلغ جنوبيها ووصل الى تيمبوكو كما سبق القول ، فان كل هذا قد تم خاليا من أى لون من الوان السيادة أو حب الاستغلال أو الاستعمار ، وهذا كله امر يدعو اليوم الى وجوب اتحاد ابناء هذه القارة جميعا كما جاء في مناسبات عدة في خطب الرئيس جمال عبد الناصر الذى درس وفحص وتأمل في أحوال هذه القارة على ارفع مستوى من سعة الاطلاع كما سيجيء واضحا في ترجمته التى كتبها مؤلف هذا الكتاب .

لقد رأينا كيف كان اهتمام ابناء الغرب بهذه القارة وكيف نشأ ولوعهم بالسيطرة عليها واستنفاد ما فيها من كنوز ، بعد ما قرءوا ما كتبه هيرودوت المؤرخ اليوناني في القرن الخامس قبل الميلاد ، وماتبع مجيء البطالمة الى مصر وهم الذين جابوا النيل حتى منابعه ، وكذلك تقارير بعثات نيرون التى تناولت البلاد بالوصف الزاخر حتى بحر الغزال ، وذلك في النصف الاول من القرن الاول الميلادى ، بالاضافة الى ماسبق ذكره عن البرتغاليين وليو افريكانوس .

نذكر كل هذا تمهيدا للقارىء لكي يعرف شيئا بسيطا عن ماهية افريقية وهي القارة التى نعيش على أرضها ، ولايمكننا أن نظل بمعزل عما يجرى فيها ، فقد قال الرئيس عبد الناصر : « اننا لانستطيع اليوم أن نقف بأية حال بمعزل عن الصراع الدامي المخيف الذى يدور اليوم في أعماق القارة بين خمسة ملايين من البيض ومائتى مليون من الافريقيين أصحاب القارة ، ذلك لاننا نحن من أهل افريقية ، وبلادنا في هذه القارة وأهلها جميعا يتطلعون الينا على اعتبارنا حراس بابها الشمالي الشرقي ، الذى يوصل أوربا بالشرق الاقصى كله » .

ويقول أيضا : « اننا لانستطيع بحال ان نتخلص من مسئولياتنا في المعاونة بكل مانستطيع لنشر النور والحضارة حتى أعماق الغابة العذراء والمؤكد هو ان افريقية الآن مسرح لفوران عجيب مثير ، وأن الرجل الأبيض الذى يمثل عدة دول أوربية يحاول الآن اعادة تقسيم خريطتها ولن نستطيع بحال أن نقف أمام الذى يجرى في افريقية ، ونتصور أنه لايمسنا ولا يعنينا ، كل هذا كلام نابع من القلب صادر عن عقل راجح وبصيرة نفاذة تنظر الى المستقبل البعيد بالعناية التى تنظر بها الى الحاضر » هذا هو نص ماقاله الرئيس في مناسبات عدة وفي « فلسفة

الثورة » ، وهو كلام ولاشك يحدد مكاننا من خريطة العـالم ، ويوضح الرسالة التى يمليها هذا المكان .

ولقد مرت سنوات مملوءة بالعمل المتواصل ، منذ كتب الرئيس فلسفته ، وقد أثبتت النتائج الواقعية لهذا العمل المتواصل اننا قمنـا بدورنا ، ومازلنا نقوم به ازاء القارة الافريقية ، وليس هذا الدور دور زعامة ، وانما هو تفاعل وتجاوب مع كل هذه العوامل يكون من شـأنه تفجير الطاقة الكامنة فى كل اتجاه من الاتجاهات المحيطة بنا ، ويكون من شأنه خلق قوة كبيرة فى هذه المنطقة ترفع من شأن نفسها ، وتقوم بدور ايجابى فى بناءمستقبل البشر . فاذاجاء اليوم الكاتب الألمانى ر .ايتاليندر المولود فى أوائل سنة ١٩١٣ بمدينةلايبج واقام بمدينتى فالفيك وهامبورج ورحل مرات الى أفريقية وسبق له تأليف كتاب « شمالى افريقية اليوم » سنة ١٩٥٢ وكتاب «أرض التباين اللونى : البيض والسود» سنة ١٩٥٣ وكتاب « فى بلاد البرت شفايتر » سنة ١٩٥٤ ، وكتاب « متى الرحيل أيها الرجل الابيض » سنة ١٩٥٤ وكتاب « من مجـاهل الغابة الى قلب الصحراء » سنة ١٩٥٥ ، أقول اذا جاء الينا اليوم هذا المؤلف بكتابه عن « رجالات افريقيـة » الذى اقتطفنا منـه أعظم عشرة من رجـالها ، فى مقدمتهم رئيسنا جمال عبد الناصر ، فاننا ننشره بما ذكره فيه من بيان عن التيارات السياسية فى افريقية الجديدة وهى التيارات التى تتمثل فى زعماء هـذه القارة . واذا كان الكتاب فى مجموعه يمثل وجهـة نظر مؤلفه ر . ايتاليندر ، فانه لايخلو من فوائد جمة لقراء العـربية ، ذلك لأنه كان بارعا وموضوعيا فى الكثير مما كتب ، ولو أنه لم يقرر وجهـة نظره تقريرا مباشرا صريحا .

أما الشخصيات التى اشتمل عليها هـذا الكتاب فهى شخصية الرئيس جمـال عبد النـاصر ، والرؤسـاء سيكوتورى ، ونـكروما ، وهيـلاسلاسى ، وادريس السـنوسى ، ومحمد الخـامس ، والحبيب بورقيبـة ، وابراهيم عبـود ، وتوم مبـويا ، ويوليوس نيريرى ، وهى الشخصيات التى تضع السياسة لافريقية الجـديدة اليوم ، وتلقى أضواء قوية للقارىء العربى على مايدور فى القارة من خلال منظار يطل به كاتب أوربى .

قال الرئيس عبد الناصر فى فلسفة الثورة : « ولسوف اظل احلم باليوم الذى أجد فيه فى القاهرة معهدا ضخما لافريقيـة ، يسعى لكشف القارة أمام اعيننا ويخلق من عقولنا وعيا افريقيا مستنيرا ، ويشارك مع كل العاملين فى كل انحاء الأرض على تقدم شعوب افريقية ورفاهيتها .

واعتقد ان ماجاء بين دفتى هذا الكتاب من خير مايعبر عن وجهة النظر الاوربية وطريقـة تفكير الأوربيين فى سبيل العثور على مفـاتيح افريقية الجديدة .

ولهذا كله أرجو ان يحظى الكتاب باهتمام القارىء لما جاء به من بيان لاغنى عنه .

القاهرة فى ابريل سنة ١٩٦٣

الدكتور احمد موسى

رجال جدد
في عالم جديد

ان كل شيء يتغير اليوم سريعا ويجب علينا أن نلاحق خط السير فالقاطرات والطائرات قد فتحت آفاقا جديدة لم يكن الأجداد ليحلموا بها .

« بووى . ت . مورى »

ان المرء يتخيل انسان القرن الثامن عشر ينقل الخطى بعد ثباته غير العادى فى يقظة غير عادية فى أرجاء عالمنا الجديد ، فهل سيجد أنه يعيش فى الحقيقة ؟ وهل سيكون مصدقا ؟ ربما يحدث ذلك . وربما يفقد عقله أمام هذا التجديد الشامل ، وربما أيضا يفقد الرغبة فى الحياة تماما ، ولا يشوقه أكثر من أن يستغرق فى سبات عميق لا يستيقظ منه أبدا .

ان أناسا فى افريقية يقفون مثل هذا الموقف . ينقلون الخطى عبر القرون ، فبالأمس القريب كان مجال حياتهم منحصرا فى الصحارى أو الأحراج أو أعماق الغابات العذراء ، وليست تقاليدهم وعاداتهم سوى عادات الانسان البدائى ، أما اليوم فان مجال حياتهم قد أصبح فجأة فى المدينة الكبيرة الحديثة بجميع وسائلها الفنية والتنظيمية .

حقا لابد للمرء أن يتعجب دائما عن كيفية تمكن الأفريقيين من اتخاذ خطوة غير طبيعية كهذه من عصر لآخر دون ارشاد محطمين جميع الحواجز دون مراعاة لأى شيء يمكن أن يقف فى الطريق لتعويقهم عن بلوغ أهدافهم المنشودة فى بناء قارة جديدة تقوم على مبدأ التعاون المشترك بين جميع أقطارها وشعوبها الحديثة المتحررة من ربقة الاستعمار الاوربى .

حزب وزارى فى غينيا

كانت قد انقضت بضعة أسابيع بعد أن اختارت غينيا الاستقلال عن فرنسا بوساطة «سيكوتورى» وقد توقفت فى العاصمة «كوناكرى» وفى مساء يوم أحد دعيت الى أولى حفلات الاستقبال الليلية لمجلس الوزراء الجديد ، وكانت درجة الحرارة عالية والرطوبة كثيفة • واقتربت من وزير الداخلية «كيتا فوديبا» الذى كنت أعرفه من قبل كشاعر وأستاذ للباليه ، واستفسرت منه : هل يجوز للمرء أن يحضر فى حلة عادية خفيفة ؟ فنقل الى سكرتيره تحيات الوزير ، وأبلغنى أنه قد دعانى ولم يدع حلتى ، فكل يستطيع الحضور مرتديا ما يحلو له •

وبعد انحسار الظلام استدعانى وزير الاشغال العمومية ورآنى بعض البيض فى حديث مع الوزير ، ومن تصفح وجوههم أدركت ما يجـــول بخواطرهم : « أن يكون هذا خائنا للجنس الابيض ؟ » •

انه لشىء مفزع بل أليم أن يفقد المرء فى افريقيةأفراحه فى هذا اليوم بهذه البساطة ، لقد دفعنى عملى ككاتب أن أحضر الى افريقية من جـديد ، ولا أقصد عقد معاهدات ، كما لم أبعْ بيعا أو شراء لأى شىء،وكذلك لم يدفع لى أحد شيئا ، وكنت آمل أن يتركنى الناس فى هدوء مع شكوكى وأفكارى •

لقد سافرنا الى طرف المدينة ، و « كوناكرى » هذه مدينة على احدى الجزر التى كانت ملتحمة باليابسة منذ سنوات بخـــط حديدى وطريق للسيارات ، وقد مررنا بصف من المنازل الريفية (الفيلات) التى تبهج النظر بحدائقها المنسقة • وكانت هذه منازل للوزراء جميعا مما شـــيده الفرنسيون • هذا ما علمته ، وقد أبطأنا فى سيرنا أمام واحدة من هـــذه البنايات وسرنا فى الحديقة الامامية حيث تنتظر عدة عربات وسيارات •

كانت الليلة بمناخها المدارى مظلمةوالسماء زاخرة بالنجوم،وجسنا خلال الفيلا التى امتلأت حجراتها بأثاث ضخم كثير الزخارف ، ومر علينا خدم يرتدون زيا أبيض حاملين المشروبات ، وفى الحديقة وقف الضيوف والوزراء وبعض كبار موظفى الحكومة الجـــديدة • كان كل منهم يرتدى زيا داكنـــا ، وقد بدا لى حينئذ أنه من غير اللائق حقا ارتداء حلة عادية فاتحة اللون ولاسيما أن معظم المدعوين اصطحبوا زوجاتهم اللائى كانت بعضهن يرتدين ملابس أوربية وبعضهن الملابس الافريقية •

وجاء وزير الداخلية واصطحبنى ممسكا بذراعى وقدمنى الىمجموعة من الضيوف ، وقد شملنى الرئيس « سيكوتورى » بود خاص ، وتعرفت على زوجته التى كان ينبغى على أن أقابلها كثيرا ، والتى كانت تقابل بعبارات المديح سواء من البيض أو السود فى كل مكان تظهر فيه ، لقـد اكتسبت

السكرتيرة السابقة وسيدة غينيا الأولى لونا من الجمال والرشاقة العجيبين.

وبدأ العشاء بعد وصولى بوقت قصير . رأيت على البعد « خروفا » معلقا بحامل حديدى فوق نار فى العراء ، وقد ناولنى وزير الداخلية طبقا وهو يقول « انك بين الافريقيين صديق عزيز ، واليك أقدم مثلا طيبا يريك مدى براءتنا وصفائنا أليس كذلك ؟ ففى أوربا عندكم يقولون اقطع اللحم بالسكين والشوكة، اما عندنا فلا داعى لاستعمالهما، حقا اننا مزعجون نحن السود ! فقلت : « ان هذه العادة ليست معروفة لى برغم انى قد سبق ان دعيت فى شمالى افريقية الى ولائم خاصة غالبا ، وكذلك فى الصحارى ، فأجاب الوزير : « آه . اذن فانت افريقى أبيض » .

ونزعنا معا قطعة كبيرة من اللحم بعظامها من الخروف ، وعند انتهاء الطعام دارت أطباق فيها ماء ساخن تطفو فوقه أنصـــاف من الليمون الى جانب المناشف .

وتطرقت فكرة بدائية الى راسى « يا للعجب ! ان هنـــاك مجتمعات قوم سود يعامل فيها المرء الابيض كأنه غريب ، أماهنا فلم يكن الامر كذلك، لقد كان شعورى دائما اننى لست الأبيض الوحيد كما أشعر باننى لست غريبا .

لقد كانت ذروة أحلامى الباطنيـــة لا تحتوى سوى بعض التمنيـــات البسيطة للاستمتاع بجو شاعرى تظلله انغام الموسيقى ، فبعد العشـــــاء وتناول الشمبانيا ظهر فتيان زنجيان حسنا المنظر، أحدهما يرتدى بلوجين وقميص بحار مخططا بخطوط بيض وسود . والآخر يرتدى سترة أوربية، وبدأ احدهما يعزف على قيثارته على حين شرع الآخر فى الغناء. وكان الفتيان فنانين من فريق البـــاليه الذى كونه وزير الداخليـــة المضيف فى الخارج ، وبعد انتهاء الأغنية الأولى غنيا معا اغنيتين من اغانى الحرب : احـــداهما تنساب أنينا وشكوى ، والاخرى أغنية ايقنت أنها واحدة من أغانى الحب القليلة فى الموسيقى الشعبية الغينية ، وقد أصغيت اليها شارد الفكر فى حين كان بقية الضيوف يتابعون الأنغام باصواتهم .

لم يكن هناك حديث عن السياسة أو مشروعات المستقبل ، وربما كانوا فخورين جميعـــا لاستطاعتهم تقـــديم موسيقى الوطن المتعـــة لاحد البيض .

وما ان انتهى الفنانان من الغناء حتى توجهت الى رئيس الجمهورية لتقديم عبارات الشكر لانه أتاح لى فرصة الاستمتاع الفنى هذه، ثم توجهت الى الفنانين ومدحت مهارتهما الفنية ، وقدما بعد ذلك مفاجأة أخرى ، فقد عزفا ألحانا فرنسية أخرى أثارت ذكريات قديمة فى نفسى ، اذ منذ سنوات

قلائل منع مجلس المدينة فى احدى مدن منطقة الرور الالمانية أحد الزنوج من أن يغنى اغانى عيد الميلاد الالمانية ، فتدفقت حمرة الخجل الى وجهى ، وسألت نفسى : « هل ينبغى لنا أن نتعلم الصبر من الافريقيين » ·

ونهضت وحدى أسرى عن نفسى بالسير فى الحديقة ، ومن ركنى المظلم أخذت أرقب مجتمع الوزراء الأفريقيين للجمهورية الغينية الذى اكتسب حلة من السرور ، وفى عودتى اعترضنى وزير الداخلية مستفسرا : هل هناك شيء لا يسير على ما يرام بالنسبة لى ؟ فأجبت : ان كل شيء طيب جدا ولكننى ازددت يقينا من المدى الواسع الذى يفصل أنموذجا انسانيا عن آخر ·

وفى الفندق أمضيت الليل فى شرفة حجرتى ساهرا ، أتأمل انعكاس الهلال على صفحة المستنقع وتمايل النخيل على حفيف رياح منتصف الليل الناعمة ، ودار برأسى خاطر جميل: حقا ان هناك أشياء لانهاية لها تستحق أن نعلمها ، وهنا فى أفريقية تبدو جميع الاحتمالات فى صيرورة جميع البشر طيبين ، جائزة التحقيق ، الاحتمالات فى أن يصيروا بشرا لا شيئا آخر سوى بشر !

من الصعب اكتشاف الافريقيين

ان كل شيء لايسير دائما فى خط متلاحق ، فالمرء يستطيع أن يجرب المفاجآت الانسانية وخيبة الآمال فى افريقية ، كالحال فى كل مكان آخر فى العالم ، فقد صدمت بعدمقابلتى لرئيس وزراء غانا دكتور «كوامى نكروما» وحتى لا يكون هناك أى مجال لسوء الفهم فسأروى ما حدث بالتفصيل : كان من المفروض أننى سأشاهد (نيكروما) على أنه واحد من الرءوس الذكية فى افريقية اليوم ·

وللحق أن الرجل كانت لديه مظاهر العظمة ، فعندما استطعت الوصول اليه كان على جانب ظاهر من الاحترام دائما ، وخاطبنى باسمى ، وبعد محادثاتنا حضنى على التجاوز عن جميع قواعد البروتوكول · وقد خصنى نيكروما بالكثير من الاحاديث الصادقة ، وأحسست لديه بعطف فى أثناء اقامتى الاخيرة ، وسرعان ما عرفت أنه من المستحيل أن يوزع المرء عطفه فى كل مكان · فقد أعطانى درسا غير سار فى قسم التصوير بمصلحة الاستعلامات الحكومية أستطيع أن أتذكر : ذلك أن رئيس الوزراء أصدر أمره باجراء عملية تحميض جميع أفلامى فى مصلحة الاستعلامات هذا بالاضافة الى أن واحدا من الموظفين أفهمنى فى بساطة أن رئيس الوزراء

لا يفكر فى مساعدتى بتحميضه أفلامى فى المصلحة ، وانما لانه لا يحب البيض ولذا فنحن نحبه كثيرا .

وقد استطعت أن أتحدث مع بعض رجال ونساء المعارضة الذين أوضحوا لى أن (نيكروما) يطالب بالسلطة العليا لحزبه الخاص ، ولذا كان على الدكتور (بوزى) أبرز أعضاء المعارضة أن يهرب الى هولندا مع عائلته فى هذه الاثناء على حين أودع بعض زعماء المعارضة الآخرين السجن . وحددت اقامة البعض الآخر ، حيث تقام عليهم الحراسة ليلا ونهارا ، ولقد أخبرنى بعض أعضاء المعارضة وبعض الاوربيين والامريكيين أن « نكروما » يقول لكل فرد مايود أن يسمعه .

اذن ما الوجه الحقيقى لهذا الرجل الذى اختير فى هذه الاثناء كأول زنجى فى مجلس التاج للملكة اليزابيث الثانية ؟.

انه من الصعب الاجابة عن هذا السؤال حاليا ، بل من المؤكد هنا أنه من المستحيل بالنسبة لرجل أبيض أن يقيم الحجة على ما فى نفس زنجى ، وعلى الخصوص اذا كان زنجيا نابها . وفى نهاية مؤتمر الشعوب الافريقية فى (أكرا) طلب (كوامى نكروما) الكلمة أمام الوفود والمراقبين. وهنا عرفت (نكروما) آخر يختلف عن ذلك الذى رأيته حتى الآن فى مقابلات خاصة ، حيث لم يكن واحد من الافريقيين أو الاوربيين حاضرا آنذاك . ولو لم أكن قد عرفته قبلا وأجريت معه محادثات كثيرة ما استطعت أن أعرفه فى صورته الجديدة : ذلك أن الذى كان يتحاشى ذكره فى أحاديثه الشخصية والذى بدا الآن واضحا ، هو التعصب والكراهية العمياء والحدة فى هجومه على كل البشر الذين ليسوا افريقيين أصلا ، وحين أخبرت أحد الدبلوماسيين الانجليز بذلك قال لى : «اذن فقد عرفت «نكروما» الحقيقى ، وهكذا جميع الافريقيين فى الحقيقة ، فانهم لا يعرفون المثل العليا ، وعندما يتحدثون عنها ، فليس حديثهم هذا الا قناعا مسرحيا فقط !

ان الفرد منهم لهذا السبب يريد أن نقيم له جوا طيبا لدينا نحن البيض . فلماذا ببساطة ؟ لانه ما زال فى حاجة الينا ، ولكن عندما تنتهى حاجته الينا يصبح أكثرعداوة عما كنا عليه نحن البيض فى افريقية دائما. اننى أوافق (نكروما) فى قوله : « ارفعوا أيديكم عن افريقية » . ولكننى كانجليزى لى بالتأكيد نظرة أخرى مختلفة عن (نكروما) ، اننى أقول : انكم لم تكسبوا شيئا بمساعدتكم لهم ، فان أية مساعدة سترتد ضدنا فى يوم ما ، انزلوا عن مصيركم ، انكم لا تكسبون أى شىء !

حقا انكل من يتتبع المناقشات فى مختلف لجان هذا المؤتمر التاريخى

لا بد أن ينزعج كأوربى ، فقد همس لى أحد الفرنسيين الاحرار الذى كرس نفسه لمعارضة الاستعمار والاحتلال فى أثناء احدى الجلسات بصوت منفعل قائلا : أتعلم أننى أحيانا أسأل نفسى أفلم يكن « البرت شفيترز » وحزبه مع تطرفهما تجاه الوطنيين على جانب من الصواب ؟ .

بين التجاذب والنفور الروحى

ان الذى يجهد نفسه لتفهم افريقية الجديدة سيكون غالبا موزعا بين العطف وبين النفور الروحى ، ولكنه اذا راقب الامور فى هدوء فانه لابد ن يصل الى نتيجة محدودة المعالم .

سيعرف أن رجالا منهم نكروما ربما يجب أن يكونوا على ما هم عليه فى مثل هذا الوقت : ذلك لانه ليس فى افريقية أى هدوء أساسى متناسق، بل ثمة ثورة عارمة ظلت افريقية تحلم بها طوال قرون سكوتها ، والآن أيقظها بعض الزعماء الثوريين ، ومن المسلم به أنه حين يتيقظ المرء فلا بد أن يتدرج فى اليقظة ، فهو يحك عينيه بيديه أولا طاردا النوم ، ثم يبدأ فى الانتعاش ويأخذ فى التفكير فى عمل يومه .

واذا نظرنا الى الشعوب الافريقية فسنجد الامر فى يقظتها لا يسير وفقا لهذا المنطق التدريجى ، فقد استيقظت هــذا الشعوب من العصور الوسطى لتأخذ مكانهـــا فى العصر الحديث ، وقد أورثت هـــذا اليقظة المفاجئة كثيرا منهم صدمة عنيفة ، ذلك لانهم فوجئوا بانتزاعهم من أحلامهم.

ولم يعد هناك مجال للشــك فى أن كثيرا منهم عاد ينظر الى العصر العديم للواقع الافريقى متأملا فيه مرارا ، ولكن أمثال نكروما أوتوبمـــان رئيس ليبيريا ، أو جميع الوطنيين الآخرين ، أمثال يقومون بعملية نفسية واسعة النطاق ، انهم يلهبون الجموع الشعبية فى حال من الثورة المستمرة .

هذا ، واذا تتبعنا الديمقراطية عند أغلب الشعوب الافريقية الفتية فسنجد أنها ليست قادرة على تحقيق الديمقراطية التى نتمناها للعالم كله: ذلك لان أنظمة السيادة التى خبروها تحت سلطة الاحتلال الابيض كانت غير ديمقراطيـــة ، بل كانت هذه الانظمة قريبة الشبه بنظامهم الملكى أو الرياسى الاقطاعى القديم الى حد كبير .

ومن المنطق اذن أن زعمـاءهم سيتخبطون بين الانظمـة الديمقراطية وبين الانظمة المطلقة حتى يعلموا عن طريق تجاربهم الخاصـــة أى الطرق أصوب ؟ وأى شكل للدولة أكثر ملاءمة لهم ؟ .

ولقد كشف لى نكروما عن مثله الرئيسية قبل الحصول على الاستقلال حيث قال : « ان العزف على الجيتار شىء بسيط للغاية ، ولكن أفضل طريقة لتعلمه هو أن يغض النظر عن الامساك الخاطىء بالآلة وعن النغمات الخاطئة المنبعثة منها مهما استقرت » ·

ان الطريق الممتد أمام الشعوب الافريقية صخرى وعر ، ولذلك فان علينا نحن البيض واجبا جديرا بالاداء تجاههم ، فلنبذل المساعدة بالرغم من تعصبهم وبرغم أنهم لا يحوزون اعجابنا ولا يحبوننا ، وهم يضعون العقبات فى طريقنا ونعتقد وجوب رفض معتقداتهم· ذلك لاننا اذا تركناهم وحدهم فان تعصبهم يزيد نموا وتصبح أعمالهم مفزعة للبشرية وذلك لانهم على استعداد دائم نادر المثال للتضحيات الضخمة ، أكثر من أغلب رجال الغرب القادرين · وفى امكانهم أن يكونوا جنودا شجعانا مسلمين كانوا أو مسيحيين ، فان مبادئهم فى المقام الاول تدعو الى تحرير افريقية كلها من أى اضطهاد أو استعمار ، وكذا تنادى بوحدة افريقية ، وهذا هو الدافع الحق وراء استعدادهم الفدائى العجيب للتضحية ·

ولذا فانه من الاهمية بمكان للرجل الابيض أن يخط طريقا سياسيا جديدا فى افريقية اليوم قبل الغد ، مهما كانت التضحيات ، ومهما بلغت قيمتها ·

وأعتقد أننا يجب أن ندين بالفضل للمؤرخ البلجيكى «م · أ · ج · فان بلزن بروليس » لانه قد أكد دائما أن جميع أنظمتنا السياسية الحالية فى افريقية ليست من السياسة فى شىء ، وما هى الا حلول مؤقتة عرجاء تخطر لواحد فيدعو لها بلا حياء على أنها سياسة هامة مركزة ·

ان الاستعمار فى طريقه الى الزوال بالتأكيد ، ومن ثم فانه يلزمنا وضع خطة تعد بدقة زمنية حقيقية والتزامها والارتباط بها ارتباطا شديدا لكسب ثقة الصفوة الوطنية ·

درس تلقيته على خادم فندق

واذا كان ينبغى لنا أن نتفهم جانب الشعور بالشخصية ، فسأعرض التجربة التالية ، انها لا ترتبط بأى من قادة افريقية ، بل انها ترتبط بخادم فندق بسيط ، الا أن العبرة التى خرجت بها من هذه التجربة ربما توضح بجلاء ما يعتمل فى نفوس زعماء سياسيى الساعة فى افريقية ·

فقد حدث عند وصولى الاخير الى « أكرا » أن علمت بعدم وصول

برقيتى التى أرسلتها من تمبكتو لحجز حجرة لى بأحد الفنادق،وعلى هذا لم تكن لى به حجرة محجوزة ، بل وبدا مستحيلا الحصول على أية حجرة نتيجة لوجود أعضاء المؤتمر ، وقد ثابرت على الرغم من ذلك على البحث عن حجرة فى واحد من الفنادق المعروفة لى من قبل، وما ان رآنى صاحبه حتى تذكرنى وعمل على تيسير حصولى على حجرة أبيت فيها .

وحين استسلمت لقيادة شاب يعمل كخادم فى الفندق فى طريقى الى الحجرة وكنت قد عرفته فى المرة الاولى ، قلت له : « طاب مساؤك أيها الفتى ، (يا ولد) انه لجميل أن تكون هنا دائما . ولكننى لم أتلق منه ردا، وكان الفتى بجموده هذا أول أبناء غانا الذين صادفتهم على جانب ينافى حسن اللقاء .

وعندما انتهى من ترتيب حقائبى سألته : لماذا هذا الاعراض ، وقد كنا على جانب من المودة قبلا ؟ فأغلق الشاب باب الحجرة ، واتخذ مكانا مناسبا ثم تكلم بصراحة : « سيدى : ربما يسرنى أن أراك ثانية فى أتم صحة ، ولكن هذا السرور قد تكدر صفاؤه ، لانك يا سيدى برغم اعتبارنا لك الصديق الوحيد للافريقيين ، لم تستطع تطوير تصرفك ، لتراعى الحقائق الجديدة فى بلادنا » .

وظللت صامتا أفكر فيما يعنيه هذا الفتى ، على حين استمر هو فى حديثه : «عندما توقفت هنا ياسيدى فى آخر مرة كنا شعبا مستعمرا ، أما الآن يا سيدى فاننا أحرار مستقلون ، كنت فيما مضى لا أعترض على صيغة ندائك ، أما الآن يا سيدى فلا أريدك أن تدعونى « ولدا » بل الذى أريده هو أن تدعونى باسمى، باسمى الشخصى وهو بيوس ، نعم ان الذى أرغبه هو أن أنادى بهذا الاسم دون سواه ، وصدقنى يا سيدى اذا قلت لك : ان هذا امتياز اختصصتك به،أما عندالآخرين الذين لا يعرفوننى ولا ينظرون الى مثلك كصديق ، فاننى بالطبع « السيد بيوس » . ثم استدار « السيد بيوس » بانحناءة صغيرة وانصرف !

والحق أشهد ، لقد شكرت له هذه الموعظة وهذا الدرس ، فقد جنبنى الوقوع فى خطأ كبير هنا وهناك .

ولذا فقد كنت أوصى دائمـا بعد ثورة يناير الدامية فى عام ١٩٥٩ فى الكونغو البلجيكى ، باستبعاد لفظة « الولد » مستقبلا ، ولكن الكثير من البلجيكيين ظلوا يقولون من باب السخرية « السيد ولد » غير مقدرين الى أى حد قد أهانوا شخصية الافراد بذلك ؟

أخطار الثقافة النصفية

لابد من أبداء ملاحظة صغيرة على نمـوذج أولئك الافريقيين الذين يسافرون من آن الى آخر الى أوربا وأمريكا ، للقيام بمهام خاصة بالأحزاب أو النقابات أوالارتباطات الاقتصادية أو لاجراء مشاورات حكومية ، ذلك لان المرء اذا تعرفهم فى افريقية نفسـها لا يستطيع أن يضـع لهم مقاييس طبيعية تختلف فيمجملها عن تلك التى يمكن أن نضعها فى أوربا،فالواحد من هؤلاء فى افريقية انسان يختلف عنه تماما فى أوربا ٠

ولـكى يكون الامر أكثر وضوحا ، نستطيع أن نقرأ معـا فقرات من التقرير الشخصى الذى كتبه أحد مديرى المجلات الاوربيـة العمومية حيث يقول : «اذا أتى الافريقيون فانى أرى أنه من الافضل لى أن أستقبل ، لان تصرفاتهؤلاء السادة تذهب بأعصابىفمنذ فترة وجيزة كانلدينا الرئيس (٠٠٠٠) وعلمـنا أنه يشرب الويسـكى بشراهة ويدخن نوعا معينـا من السيجار ، فأحضرنا له ثمانية أصناف من الويسكى لـكى يختار من بينها ما يشاء ، وعشرين صـنفا من السيجار ، الا أنه رفضها جميعـا ، ورأيت واجبا على شخصيا من أجل اكرام الضيف الكبير أن أدور فى المدينة باحثا عن الاصناف التى يشتهيها ، وعندما قدم له ما يروقه لم يتفوه حتى بكلمة شكر وانما قال بعجرفة « آه ! أخيرا » ٠

واذا كانت هذه الصورة قد أصبحت واضحة المعـالم ، فانى أود أن أضيف اليها شيئا: فغالبا ما يأتى افريقيون لزيارتىمرتدين أفخر الثياب، وهم دون استثناء مؤدبون ،ولكن فى الحق أن أى واحد منهم يحدثضوضاء عندما يرتشف الحساء فيمصه مصا ، ولا شك عنـدى فى وجود أوربيين وافريقيين لا يعرفون الاصـول السـليمة لتناول الاطعمة وآداب الليـاقة للمائدة ، ولكنه يصبحواضحا أن استعمال الملاعقوالشوك والسكاكين على مائدة الطعام يعد شيئا جديدا لأغلب الافريقيين !

لقد أبدى أحد ضيوفى عجبه ودهشته عندما تلقى منشفة من الورق الرفيع بدلا من منشفة من قماش التيـل ، ولا بد للمـرء أن يضيق ذرعا بذلك مثلما حدث منالرئيس الذى أراد بلا قيد ولا شرطنوعه المفضل من الويسكى ٠

ان السـمعة الواضحة فى حديث الاوربيـين عن الافريقيـين الذين يسافرون فى أية مهمة ، هو التعجب من ثقافتهم النصفية ٠

جمال عبد الناصر

ضابط بسلاح الفرسان
يصنع تاريخ العالم

« اننا جميعا نتمتع بالثقة فى مستقبل مشرق سعيد كريم ، نسعى اليه معتمدين على القومية العربية التى نعلنها ، والتى طالما دعونا اليها منذ وقت طويل ، والتى كانت آمالنا معلقة بها ، وسنعمل بعون الله على تدعيم أهدافها وأسسها وسنتعاون مع القوميين العرب والشعوب العربية أينما كانوا ، راجين الله العلى القدير الهداية والتوفيق » .

جمال عبد الناصر

من خطبته بمناسبة اعلان دستور الجمهورية العربية المتحدة

***

لقد كان هذا فى يناير من عام ١٩٥٦ بالقاهرة ، عندما أراد الرئيس جمال عبد الناصراعلان دستور جمهورية مصرالفتية : ففى الصباح حصلت على تصريح لمشاهدة قصر عابدين ، المقر الرسمى والمسكن الخاص للملك المخلوع المنفى فاروق ، المولود بالقاهرة فى ١٩٢٠/٢/١١ ، والذى سمعت عن وصفه من بعض معارفى ما لم أكن أستطيع تصديقه ، مما جعلنى مشوقا لمشاهدته .

فماذا رأيت بنفسى فى ذلك القصر الملكى ؟ رأيت ركاما بغيضا من منتجات الفن الرخيص ، ومجموعات من التماثيل والحلى العديمة الذوق ، الوضيعة القدر الفنى ، البدائية الطابع ، لا تربط بينها رابطة فنية ، وعلى الاثاث الاملس نقشت رسوم فارغة اللون كثيفة .

أما مكتبته الخاصة فهى مجموعة كبيرة من كتب الجنس والادب الاباحى الرخيص فضلا عما اشتملت عليه من صور تأباها أبسط قواعد الادب

والليافة ، ولعـل كتب جون جونتر وما يشـبهها خير دليل على ما كانت تنطوى عليه نفس ذلك الرجل : فمجموعة كتب ناروق تتنـاول موضوعا واحدا انحصر فى الخـلاعة والجنس ، انغمس فى قراءتها رجـل بلغ الثانية والثلاثين عنـدما نزل عن العرش ، بعدما انطبعت حيـاته بطابع الرجـل المستهتر الذى لم يستطع أن يبقى سيرة حيانه الداعرة سرا ، والذى لم يكن ليستحق أن يكون ملكا على شعب له تاريخه وحضارته ، ولذا فان مصر لم تفقد شـيئا بطرد الملك الذى اختفى هو وحاشيته التى عاشت معه على الفساد ، وقد أوضح أنور السادات فى كتابه « مذكرات الثورة المصرية » الكثير عن هذا فى وضوح وجلاء ، فقال : « ان فاروقا قد حصل على الجزاء الذى يستحقه ، ولم يكن أى عهـد سابق أقرب تعرضا للانهيار من عهـد فاروق ، وبرغم تغيير رجال حـكومته مرارا ، فان عيشته ظلت قائمة على الفساد ، اذ لم يجرؤ واحد منهم على توجيهه أو حتى التلميح بما يعتمل فى نفس الشعب نحوه من علائم الكراهية والغضب ! »

من خلال العدسة المقربة

حصلت فى الصباح على هذه الانطباعات العينيـة السلبية ، وكنت بعد الظهر ضيفا على الرئيس عند اعلان الدستور ، حيث اقيم سرادق ضخم بجـوار قصر عابدين ، وكان فسـيحا ضم آلافا من البشر ، وقـد أحيط بالعسـكريين ، فلا يدخله الا من يحملون بطاقة معينة ، ولما كان الرئيس جمال عبد الناصر لا يستطيع دعوة شعبه البالغ ٢٣ مليون نسمة للحضور، فقد دعا وفودا عن جميع الطوائف المهنية ،وحصلت أنا بمحض المصـادفة الزمنية لانى حضرت مبكرا على مقعد مناسب فى مقصورة ضيوف الشرف، وكان يجلس الى جوارى مراسل وكالة تاس السوفيتية الذى كان يقاطع خطاب الرئيس بصيحات الابتهـاج والاعجاب بين آن وآخـر ٠ وقد ظهر الرئيس ووزراؤه من ممر جانبى ، وكانت الساعة قد بلغت الخامسة مساء ، وهو موعد صلاة المغرب ، ورأيت ناصرا ورفاقه يخلعون الاحذية يصطفون للصلاة ، واستغرق آلاف الناس الذين شهدوا ذلك فى سـكون وجلال ، أما أولئك الذين وجدوا مكانا للصلاة على الرغم من ازدحام السرادق ، فقد اشتركوا فى أداء هذه الفريضة ٠

حقا لقد حركت هذه الصلاة مشاعرى ، ولم آكن أبعد عن ناصر أكثر من أمتار خمسة تقريبا ، وقد تفحصت وجه هذا الانسان المصلى بدقة تامة فكان خاليا من تأثيرات استعراضه للجماهير المجتمعة ، وانما كان معبرا عن ايمانه الخالص فى أثناء أداء صلاة خاشعة خالصة ، واقفـا بين يدى الله فى خشوع ، قبل أن يعلن الى شعبه الدستور الجديد ٠

وقد عقب الرئيس على الدستور بنفســه فاستعرض الماضى ، وألقى نظرة على المستقبل ، وتحدثعما يمكن أن تجنيه مصر اذا سارت على أسس هــذا الدســـتور الثورى والمعروف أن البـــلاد التى تبلغ مليونا من الكيلومترات المربعة ، لا يزرع منها سوى خمســة وثلاثين ألف كيلومتر فقط ٠

وحين رأيت جارى السوفيتى قد وقف بضع مرات لالتقــاط بعض الصور الفوتوغرافية لناصر وهو يتحدث من فوق المنصة عن قرب ، فعلت الشىء نفسه بعدما زودت آلة التصوير بالعدسة المقربة ، تيسيرا لالتقاط صور أقرب وضوحا ، وقد قربت العــدسة الوجه من عينى تماما ، كما لو كنت أنظر اليه من خلال منظار البحرية المقرب وقد أدهشنى ما رأيته فى تلك اللحظات ، فوجه ناصر يعبر أمام عينى الآن عن الصرامة ٠

فلاح وتاجر وجندى

ان «جمال عبد الناصر » فى حياته الشخصية رجــل ودود ، جذاب وعطوف ، وعلى أدب جم، وكثيرا ما يضحك من قلبه فى الاجتماعات العامة، فتتلألأ أسنانهالبيض الجميلة ، ويبدوعندئذ وكأنه نجم سينمائى، وينطوى كيانه على طاقة هائلة من الحيوية ، وقسط كبير من المرونة ، وجانب أكثر من المألوف من النشاط، ويقولون عنه فى القاهرة: انه « مصبوب من الثلج والنار معا » ٠

وقد التقيت بالرئيس عبد الناصر فى أثناء حفل استقبال القاهرة ، ودارت بيننا أحاديث قصيرة ، وعلى الرغم من قصر هــذه الاحاديث ، فقد استطعت أن أستشف منها عدم ثقته الكاملة بالاوربيين ، وظهر لى جليـــا أنه لن يتخلص من عدم ثقته هذه، فبرنامجه السياسى كان وما يزال منطلقا عكس ذلك فهو يبغى دائما عقد اتفاقات غير مشروطة مع الغــــرب شأن اتفاقاته مع الشرق تماما ٠

ولقــد كتبت الصحفية الــكاتبة الالمانية « جيزلا بون » فى كتابهــا « عالم جديد على ضــفاف النيل » تقول : « انه من العسير الحــكم على هذه الشخصية الفذة » ٠

وقد حلل شخصيته الكاتب الصحفى بيتر جروبه قائلا : « انه مزيج من الفلاح والتاجر والجندى ، وأضاف قائلا : « قبل جمال عبد الناصركانت الناس تستنكر أغلب الاساليب الحزبية والمبادىء السياسية ، فما عساها أن تقول اليوم؟ انه ليس شيوعيا ولكنهرجل يمكن أن يوثق به، انهمصرى٠ وبما أنه مصرى فهو عربى » ٠

وهو مزيج من الشخصية والموضوعية ، ولزيادة الايضاح اذكر ان الموضوعية والبرنامج من سمات التاجر فى الغالب ، أما الشخصية فعلى النقيض ، لها تأثير مغناطيسى ساحر ، ينبثق من رأس ذكى متوقد ، قال جون جونتر ، الذى امتدح ناصرا وثورته ، والذى وزعت كتبه بكميات ضخمة فى مصر :

« نعم ، ان رئيس هذه الدولة الافريقية الهامة المتقدمة خليط من الفلاح والتاجر والجندى ، ذلك لان أجداده لأبيه كانوا من الفلاحين ، وكان أجداده لأمه يشتغلون بالتجارة ، أما مجرى حياته فقد خلق منه رجلا عسكريا ، وهو شخصيا قد أصبح جنديا بكل معانى الكلمة عن اقتناع ذاتى من جانبه كما أوضح ذلك فى كتابه « فلسفة الثورة »

ابن موظف بالبريد

ولد جمال عبد الناصر فى اليوم الخامس عشر من يناير عام ١٩١٨ بمدينة الاسكندرية ، وهو يشير الى أفراد عائلته وأجداده فيقول : انهم أبناء هذه الارض أو أنهم ثمار الارض الطيبة · عاشوا جميعا فى الريف ، وكان معظمهم فلاحين من صغارالزارعين والملاك ، فى محيط قرية « بنىمر» ووالده عبد الناصر حسين ، المولود فى سنة ١٨٨٨ ممن يحسنون القراءة والكتابة ، وكان هذا الوالد شاذا بالنسبة لافراد عائلته الفلاحين ، اذ كان موظفاصغيرا بالبريد، بدأوظيفته فى القاهرة أولا، ثم فىمدينة الاسكندرية؛ وهى أول ميناء للتصديروالاستيراد فى الاقليم المصرى ، ويبلغ عدد سكانها اليوم مليونا ومائة ألف نسمة ، وقد تزوج فى أثناء عمله بالاسكندرية من ابنة رجل أعمال اسمه محمد حامد وتوفيت الزوجة بعد تسع سنوات من زواجها ، تاركة وراءها ثلاثة أبناء أكبرهم جمال عبد الناصر ·

وقد تلقى « جمال عبد الناصر » تعليمه الأول فى الكتاب ، ثم فى مدرسة الاسكندرية الابتدائية ، ثم فى القاهرة حيث التحق بمدرسة النهضة المصرية الثانوية ، وما زال جمال عبد الناصر فخورا حتى اليوم بأنه « فتى الريف » قد تخرج فى هذه المدرسة بامتياز فى عام ١٩٣٦ ، على الرغم من أنه قد ساهم بقسط فى الآراء والاعمال المعادية لنظام الدولة آن ذاك ، مما كان يمكن أن يعرقل دراسته .

وقد أراد عبد الناصر بعد انتهاء دراستهبالمدرسة الثانويةالالتحاق

بالكلية الحربية ، ولما كان ابن فلاح ولا واسطة له ، عـلاوة على إنه يحمل أفكارا تحررية ثورية ، فقد رفض طلبه بالكلية الحربيـة فى المرة الأولى ، ولذا فقد درس القانون فى كلية الحقوق بجامعة القاهرة ، الى ان عرف فجأة حاجة الكلية الحربية الى طلبة جدد ، مما دفع به الى بذل الجهود واعادة المحاولة للالتحاق بها ، ونجحت جهوده ومحاولته فى هذه المرة ، ودخل الكلية الحربية فى عام ١٩٣٧ وكان عمره وقتئذ تسعة عشرة عاما . وفى سنة ١٩٣٨ أصبح ملازما فى سلاح المشاة .

وبعد اتمام دراسته فى الكلية الحربية : نقل الى اللواء الثـالث « فرسان » بمدينة منقباد بالقرب من مدينة أسيوط ، وفى عام ١٩٣٩ عند اندلاع الحرب العالمية الثانية ، نقلت وحدته الى الاسكندرية ثم الى العلمين ، وأخيرا خدم سنتين فى السودان .

وقد كان عبد الناصر سعيدا عند نقله فى عام ١٩٤٢ الى الـكلية الحربية برتبة نقيب . وقد التحق أيضا بكلية أركان الحـرب حيث حصل على عدة امتيازات نظرا لتفوقه ، وأخيرا ، من أجل ازاحته عن الطريق ، اعادوه ثانية الى الكلية الحربية ليعمل مدرسا بها .

يمثل دور « قيصر » وهو طالب

وهنا أود أن أقف قليلاً لألقى بعض الضوء على ثقافة عبد النـاصر الفكرية ، وأقول : انى لست أول من حاول ذلك ، اذ سبقنى اليه آخرون كما أود البدء بملاحظة عابرة ، هى أنه غالبا مايحدث فى أوروبا وأمريكا أن تنطرق الى السمع معلومات أو ملاحظات غير مهذبة جارحة عن الشرفيين فتسمع مثلا قول البعض ، ألا فلنذهب بعيدا عن تجار السجاد وقائدى الجمال ، وأنا أعد مثل هذه الأقوال أكثر من مجرد الاهانة ، انى اعتبرها افتراء صريحا ، ومهما يكن من الأمر ، فان تفكير أى فرد فى شخصية هذا الابن المنتمى الى عائلة الفلاحين ، وهى العائلة التى جاءت من صعيد مصر يؤدى به الايمان الى أن عبد الناصر قد أعد نفسه لمسئوليات المسـتقبل بجد ونشاط وطموح، وهذه صفات تنطبق كذلك على كثير من الشخصيات الاخرى التى تناولتها أبواب هذا الكتاب ، وان لم تكن تظهر واضـحة كظهورها فى شخصية عبد الناصر .

ولكن نلمس مدى هذا الاستعداد الخارق فى وضوح وجلاء ، يكفى أن نذكر أن جورج فوشيه مؤلف كتاب «عبد الناصر وصحبه» قد لقى عناء كبيرا فى سبيل التيقن من نوع الكتب التى قرأها ناصر ، عندما كان طالبا فى الدراسات العليا ، وعضوا فى هيئة التدريس بالكلية الحربية ، فقد

اتضح له أن ناصرا قد قرأ فى أثناء دراساته معظم الكلاسيكيات العربيـة والمصرية ، كما قرأ المؤلفات اللازمة لتكوين الثروة الفكرية لطالب أرفع كثيرا بمستواه العقلى عن الطالب المصرى العادى .

هذا بالاضافة الى ماقرأه باللغة الانجليزية فى أثناء دراسته بالكلية الحربية ، مثل مذكرات ونستون تشرشل ، وكتاب أوربا لجون جونتر ، ومؤلفات العلوم العسكرية للبيدل هارد ، وتاريخ حيـــاة أميل لودفيج مؤلف كتاب «النيـــل» وتاريخ «حياة مصطفى كامل» وجنرال جوردون ونابليون ، والاســـكندر الأكبر ، وبسمارك ، وفوش ، وغاريبا لدى ؛ وهندنبرج ، ولورنس ، ومالبرو ، ومارابورد .

وكذلك قرأ حينما كان نقيبا فى الـكلية الحربية بين سنة ١٩٤٣ وسنة ١٩٤٦ كل مجلدات دائرة المعـــارف البريطانية الاربعة والعشرين تقريبا ، وغيرها من المؤلفات الخاصة برجال الحربين العالميتين الأولى والثانية وكذلك تاريخ حياة كتشنر ، وموسولينى ، وهتلر (لكونراد هايدن) ، ودرس جميع مؤلفات ك . بفننسى ، وقرأ كتبا سياسية لا حصر لها عن مشـــاكل مصر وافريقية ، وكذلك عن الحرب فى الشرق الاقصى ، وأخيرا مؤلفات أمثال « دال كارنيجى » فى كتابه (كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر فى الناس) .

هذا وقد كان ناصر فى شبابه مولعـا بالشعر والمسرح ، وشارك وهو فى السابعة عشرة من عمره بالتمثيل فى احدى المسرحيات المدرسية على مسرح برنتانيا فى يناير سنة ١٩٣٥ بالقاهرة،فقام فيها بتمثيل الدور الوحيد فى حياته على المسرح ، وهو دور « يوليوس قيصر » .

والآن أعود الى متـــابعة تاريخ حيـــاة ناصر ، فقـــد عقـــد قرانه فى عـــام ١٩٤٤ بمـــدينة القاهرة ، وهو أب لبنتين (هـــدى المولودة فى عام ١٩٤٦ ، ومنى المولودة فى عـــام ١٩٤٧) ولثـلاثة أولاد هم : (خالد المولود فى عام ١٩٤٩ وعبد الحميد المولود فى عام ١٩٥١ ، وعبد الحكيم المولود فى عام ١٩٥٥) ويحب ناصر صوره الفوتوغرافية مع أولاده ولكن من النادر أن تظهر السيدة زوجته فى المجتمع ، كما أنه لا يتحدث عنها مطلقا ، حتى فى دائرة أصدقائه المقربين .

وقد اشترك ناصر فى حرب فلسطين وهو برتبة رائد (١٤ من مايو سنة ١٩٤٨) يوم أعلنت دولة اسرئيل ، ودخلت الجيوش العربية فلسطين فى اليوم التالى للحيلولة دون تقسيم البلاد ، وقد حاولت الأمم المتحـدة عبثا أن تضع هدنة ، ذلك لأن روح العداء قد وقفت حائلا دون ذلك ، حتى استطاعت عقد اتفاقية بالهـــدنة فى أوائل عام ١٩٤٩ بين كل من مصر ولبنان وسورية ، وبين اسرائيل ، وقد جرح ناصر عام ١٩٤٨ فى كتفه

فى أثناء قيامه بحركات استطلاعية ، وأرسل الى مستشفى غزة لمدة شهر ، ولكنه غادره بعد أيام ليلتحق بالقوات المقاتلة فى الفالوجا .

قيام حركة تنظيم الضباط الاحرار

فى أثناء اقامة ناصر فى منقباد معسكرا مع الكتيبة الثالثة «فرسان» تناقش مع زملائه وتلاقى بأفكارصحبه السياسية ، وقد قوى هذا الشعور المشترك وتزايد باستمرار فى الكلية الحربية وفى جبهة فلسطين . وكتب أنور السادات فى كتابه « مذكرات الثورة المصرية » يقول : ان نجاحنا على ما أعتقد تركز فى موقفنا المحدود ، وخاصة فى تضامننا القوى القائم على أساس من الاخلاص والصداقة ، ولولا هذا التضامن الخالى من وجود أى خائن أو متردد فى صفوفنا ، ما انبعثت « ثورة ٢٣ يوليه » .

وقد زاد عدد أفراد تنظيماته على ألف ضابط ، ولم يضع اللبنات الأولى سوى قليل من هؤلاء الضباط ، وقد أطلق هانز بلوهر على الثورة المصرية « رابطة الرجال » وكان جمال عبد الناصر نفسه هو الذى أسس رابطة الرجال هذه ، ونظمها وطورها حتى أوصلها الى « تنظيم الضباط الأحرار » وهى التسمية الواردة فى المؤلفات المصرية الرسمية والتى يتلخص هدفها فى القضاء على السياسة القديمة ونظام الاقطاع والفساد فى صفوف الجيش والحكومة ، وكانت تقف موقفا صلبا ضد الاحتلال الأجنبى وسيطرة رأس المال ، وبعد أن أصبح ناصر مدرسا فى الكلية الحربية فى عام ١٩٥٠ ، وعقيدا فى مايو عام ١٩٥١ ، اختاره صحبه رئيسا للضباط الأحرار ، وكان عمره وقتئذ ثلاثة وثلاثين عاما ، ثم أعيد انتخابه رئيسا بعد ذلك واستمر رئيسا للضباط الأحرار حتى اشتعال الثورة .

ثورة ٢٣ يوليه سنة ١٩٥٢

كان جمال عبد الناصر ولا شك هو الرجل الذى رسم ودبر الثورة البيضاء المفاجئة ، « ثورة ٢٣ يوليه سنة ١٩٥٢ » وكذلك هو الذى طوح بفاروق الى المنفى وقضى على أسرة محمد على ، وهو الذى أعلن الجمهورية بعدئذ فى ١٨ من يونيه عام ١٩٥٣ .

وفى البداية كان الثوار قد قدموا مطالب الجيش الى الملك عن طريق

رئيس الوزراء علي ماهر ، وكانت هذه المطالب متضمنة الوثيقة التاريخية التى كانت ايذانا ببداية عهد جديد وهى بالنص :

« انه نظرا لما لاقته البلاد فى العهد الأخير من فوضى شاملة عمت جميع مرافق البلاد ، نتيجة سوء تصرفكم وعبثكم بالدستور وامتهانكم لارادة الشعب حتى أصبح كل فرد من أفراده لا يطمئن على حياته أو ماله أو كرامته» .

ونظرا لأن سمعة مصر بين الشعوب فى العالم قد ساءت من تماديكم فى هذا المسلك ، حتى أصبح الخونة والمرتشون يجدون فى ظلكم الحماية والأمن والثراء الفاحش على حساب الشعب الجائع الفقير .

وقد تجلت آية ذلك فى حرب فلسطين وما تبعها من فضائح الأسلحة وما ترتب عليها من محاكمات ، تعرضت لتدخلكم السافر ، مما أفسد الحقائق وزعزع الثقة فى العدالة وساعد الخونة على ترسم هذه الخطى ، فأثرى من أثرى وفجر من فجر ، كيف لا والناس على دين ملوكهم ؟ .

لذلك فقد فوضنى الجيش الممثل لقوة الشعب أن أطلب من جلالتكم النزول عن العرش لولى عهدكم أحمد فؤاد اليوم السبت السادس والعشرين من يوليه سنة ١٩٥٢ وتغادروا البلاد فى الساعة السادسة من اليوم نفسه . وسيحملكم الجيش كل النتائج المترتبة على رفضكم ارادة الشعب » .

القائد العام للقوات المسلحة

أصبح ناصر بصفته رئيسا للضباط الأحرار سكرتيرا عاما لمجلس الثورة ثم نائبا لرئيس الوزراء ، وأخيرا فى ١٧ من أبريل عام ١٩٥٤ رئيسا للوزراء . وكان عمره وقتئذ ستة وثلاثين عاما ، ولذلك كان أصغر رئيس وزراء فى العالم . وفى يونيه عام ١٩٥٦ انتخبه المصريون الذين لهم حق التصويت بنسبة ٩٩٫٩٩ ٪ ، كما جاء فى البلاغ الرسمى رئيسا للجمهورية الجديدة .

ولم يمض شهر على ذلك حتى أعلن ناصر تأميم قناة السويس العالمية شركة مساهمة مصرية ، الأمر الذى أدى الى حرب السويس فى شهرى أكتوبر ونوفمبر من سنة ١٩٥٦ التى كتبت عنها كتيبات التاريخ المصرى الرسمية ، مقررة أن عبد الناصر ظل منتصرا على الرغم من هجوم القوات الفرنسية والانجليزية والاسرائيلية برا وبحرا وجوا .

وفى أوائل فبراير من عام ١٩٥٨ أعلنت الجمهورية العربية المتحدة من مصر وسورية ، وفى ٢١ من فبراير من العام نفسه ، انتخب ناصر

رئيسا للجمهورية بنسبة بلغت ٩٩ر٩٩٪ في مصر و ٩٨ر٩٩ ٪ في سورية من بين مجموع الأصوات ، كما ورد ذلك بالكتيبات التاريخية الرسمية ، وفي ٨ من مارس من سنة ١٩٥٨ انضمت المملكة اليمنية الى الجمهورية العربية المتحدة ، وكونت الدول الثلاث الاتحاد العربي الذي كان مقره « الحديدة » أهم ميناء يمنى على البحر الأحمر ٠

« فلسفة الثورة »

يرى عبد الناصر في نفسه تجميعا للقومية العربية ، فهو الذي بعثه الله لتحرير جميع الشعوب العربية ، وانه لمن العسير على أي انسان من أبناء الغرب ، أن يفهم أيديولوجية جمال عبد الناصر الذي ترتكز سياسته العامة في الحياد الايجابي ، ولكنها في الوقت نفسه قائمة على التعاون مع الشرق والغرب ٠

وقد وضع الرئيس جمال عبد الناصر كتيبا بعنوان «فلسفة الثورة» يعد صورة لشخصية مؤلفه ، ويلقى أضـــواء قوية على الأسس المختلفة لسياسته ٠

هذا وقد ذكر عبد النـــاصر في بداية الكتيب أنه أشبه ما يكون بدورية كشف ٠ « دورية كشف في الميدان الذي نحـارب فيه معركتنا الكبرى من أجل تحرير الوطن من كل الأغلال » ٠

ثم يعود «ناصر» متسائلا : لماذا كان أمرا حتميا على الجيش وليس على أية قوة أخرى القيام بالثورة ؟ ويجيب : «لقد آمنت بالجندية طوال حياتي ، وعلى الجندي واجب واحد ، هو أن يذود عن حدود وطنه ويموت في سبيل الدفاع عنه » فلماذا وجد جيشـــنا نفسه مضطرا للعمل في عاصمة وطنه ، وليس على حدوده ٠

لم تكن النتائج التي أسفرت عنها حرب فلسطين ، ولا الأســلحة الفاسدة ولا أزمة انتخابات نادي ضباط الجيش ، هي الينابيع الحقيقية التي تفجرت منها الثورة ، فقد كانت هذه كلها أسبابا عارضة كان لهـا أكبر الأثر في السير قدما نحو اشعال الثورة ، وقد ساءلنا أنفسنا اذا لم يقم الجيش بهذا العمل الحاسم فمن ذا الذي يقوم به اذن ؟

لقد كنا نحن الشبح الذي يبدد به الطاغية أحلام الشعب ، وقد آن الوقت لان يدير هذا الشبح وجهه الى الطاغية نفسه ، ويبدد أحـــلامه ويمحو كيانه ، اننا كنا نشعر شعورا يمتد الى أعماق الروح ، بأن واجبنا الوحيد ، هو أن نقوم نحن بهذا العمل ٠

وبعد صفحات قليلة يعلن ناصر على أساس هذه الحقائق شعارات الثورة الثلاثة : الاتحاد والنظام والعمل · وقد اتخذ جمال عبد الناصر هذه الشعارات لتكون رائدا للرجل المصرى الجديد ، بل وللرجل العربى أينما وجد ·

ثم يعود جمال عبد الناصر ليقول مؤكدا : اننـا الآن لانعيش فى ثورة واحدة ، بل فى ثورتين ، لانه لا بد لكل شعب من شعوب الارض أن ينفذ من خلال ثورتين : الأولى ثورة سياسية ، يسترد بها حقه فى حكم نفسه من يد طاغية فرض عليه ، أو من جيش محتل أقام فى أرضه دون رضا منه ، والاخرى ثورة اجتماعية تتصارع فيها الطبقـات ثم يستقر الامر فيها على أن يحقق العدالة لابناء الوطن جميعا ·

ثورتان

قال جمال عبد الناصر ، عن كل من الثورتين : يتطلب نجـــاح الثورة السياسية تذويب جميع عنـــاصر الامة ، وخلق عنصر واحد مترابط متسـاند ، يدين بنكران الذات فى ســبيل وطنه ، وعن الثورة الاجتماعية : ان من أول ظاهراتها زنزلة القيم وتخلخل العقـــائد ، وتصارع المواطنين مع أنفسهم ، أفرادا وطبقـــات ، وتحكم الفســاد والشك . وبين شقى الرحى هذين قدر لنا أن نعيش فى ثورتين : الأولى تحتم علينا أن نتحد ونتحاب ونتفانى فى سبيل الوصـول الى الهدف ، والأخرى تفرض علينا ضد ارادتنا أن نتفرق ، وتسودنا البغضاء ولايفكر كل منا الا فى نفسه .

وقد رأى ناصر أن امكانية تحـــاشى الصراع ترتـكز فى الجيش وحده ، كان الموقف يتطلب أن تتقدم قوة يحيط بأفرادها اطار واحد ، يبعد عنهم الى حد ما صراع الأفراد والطبقات وان تجمع الثقة الكاملة بينهم ، وأن تكون فى يدها من عناصر القوة المادية ما يكفل لها عملا سريعا حاسما ، ولم تكن هذه الشروط تنطبق الا على الجيش وحده .

وفى الفصل الثالث من كتابه « فلسفة الثورة » يقول عن « عناصر قوته » : ان أول مصادرها يرتكز فى أننا مجموعة من الشعوب المتجاورة المرتبطة بكل رباط مادى ومعنوى وروحى ، يمكن أن يربط بين مجموعة من الشعوب ، ذلك لأن لشعوبنا خصائص ومقومات وحضارة : انبعثت فى بيئتنا الأديان السماوية الثلاثة ، ولا يمكن بحال اغفالها فى بناء عالم حر سليم يسوده الاستقرار .

أما المصدر الثانى لقوتنا فهو أرضنا نفسها وموقعها على خريطة العالم ، ذلك الموقع الاستراتيجى الهام الذى يعتبر بحق ملتقى طرق العالم التجارية والمدنية وممر جيوشه .

يبقى مصدر القوة الثالث ، وهو البترول الذى يعتبر عصب الحياة المادية للمدنية ، والذى بدونه يستحيل توافر أدواتها ، فالمصالح الكبرى الهائلة لجميع أنواع الانتاج ، وكذلك وسائل المواصلات فى البر والبحر والجو ، الى جانب أسلحة الحرب سواء فى ذلك الطائرات المحلقة فوق السحب او الغواصات المستترة تحت طبقات أمواج البحار ، تصبح هذه كلها هياكل من حديد يعلوها الصدأ مجردة من الحركة والحياة بدونه .

هذا وقد قرر المجلس الاقتصادى لجامعة الدول العربيـــة فى مايو سنة ١٩٦٠ بالقاهرة انشاء سوق عربية مشتركة بضغط من ناصر . وقد شكلت لجنة خاصة من دول الجامعة . لاتخاذ اجراءات على مراحل لتحقيق الغاية من انشاء هذه السوق العربية المشتركة .

ناصر الافريقى

لا يمكن أن ننظر فى جمود ودون اهتمام الى خريطة العالم ، ذلك لأننا ملزمون بادراك حقيقة موقعنا على هذه الخريطة ، والدور الذى خصنا به هذا المكان . كما اننا لا يمكننا أن نتغاضى مثلاعن حقيقة واضحة، هى أننا محاطون بدائرة عربية ، هى جزء منا ونحن جزء منها ، امتزج تاريخنا بتاريخها واندمجت مصالحنا بمصالحها ، وهذه حقائق راسخة وليست مجرد كلام أجوف .

هذا الى جانب أننا لا يمكن أن نتجاهل وجود قارة افريقية شاء القدر أن وضعنا فيها ، كما شاء لها آن تكون اليوم فى صراع مروع من أجل مستقبلها ، وهو صراع يمس كياننا سواء أردنا آم لم نرد ، فهل من سبيل الى تجاهل هذه الحقائق ؟

وهل من سبيل الى غض النظر عن وجود عالم اسلامى تربطنا به روابط العقيدة الدينية كما تربطنا به حقائق التاريخ وأحداثه ؟

واذا وجهنا انتباهنا الى القارة الافريقية ، فانى أريد القول فى وضوح ودون اسهاب : اننا لن نستطيع بحـــال حتى اذا شئنا أن نقف بمعزل عن الصراع الدامى الرهيب الذى يجرى اليوم فى هذه القـــارة

بين خمسة ملايين من البيض ومائتي مليون من الافريقيين ، لن نستطيع الوقوف بمعزل عن هـــذا الصراع ، لسبب هام بســـيط هو اننا فى افريقية ، وستظل شعوب هذه القارة جمعا تتطلع الينا نحن حارسى مدخلها الشمالى وعصب اتصالها بالعالم الخارجى كله ، ولن نستطيع بحال التخلى عن مسئولياتنا فى المعاونة بكل ما نستطيع من الوسائل ، على نشر النور والمدنية حتى أعماق الغابة العذراء .

الملايين تؤمن بناصر

وهنا نتساءل : هل اسم « جمال عبد الناصر » قد انطلق من مصر الى افريقية ؟ . وهل شعوب اخرى فى هذه القـــارة ترى فيه الزعيم المنتظر ؟

علينا ان نجيب فى وضوح ودقة : ففى الحق اننا لا نرى صورته فى الأسواق الليبية والواحات والمدن المراكشـــية بجوار صـــور ملوكها فحسب ، بل نراها كذلك فى السنغال وغانا والكونغو ، وقد وجـدت صورته فى احدى سيارات الأجـــرة بمدينة « داكار » وحينما سألت سائق السيارة عن صاحب هذه الصـــورة اجابنى بقوله : انها صورة « جمال عبد الناصر » رئيسنا نحن ايضا !

وحدث فى اثناء زيارة « ناصر » الرسمية للهند فى مارس سنة ١٩٦٠ ان دعا الرئيس الهندى « براساد » الضيف المصرى على اعتباره رمز احياء العالم العربى ، ولا يعتبر « ناصر » فى الحقيقة معقد آمال ملايين العرب فحسب بل انه معقد آمال ملايين الافريقيين ، فضلا عن انه حاز اعجـــاب المسلمين الذين يتطلعون اليه اليوم كزعيم للعـــالم الاسلامى كله بلا منازع .

وقد اصدر « ناصر » امره بالاسراع فى تنظيم مؤتمر الشـــعوب الاسلامية ، ومن الجدير بالذكر ان هذه الفـكرة سبق ان نوقشت أول مرة فى الدوائر الدينية السورية ، حوالى عام ١٩٤٧ . وذلك انه ينبغى على الحجاج المسافرين سنويا الى مكة اصدار تصريحات ســـياسية باسم جميع مسلمى العالم ، يؤيدون فيها حق الشعوب التى ما زالت مستعمرة فى الاستقلال .

وقد وضعت الحكومة السعودية عدة مشروعات لاعادة بناء الأحياء السكنية المحيطة بالكعبة المقدسة فى مكة ، على اعتبـــارها مكان مولد الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) والمركز الدينى للاســـلام ، وذلك

لكى يتمكن أكثر من نصـــف مليون حاج من الاجتماع فى وقت واحد للصلاة الجامعة .

وقد بدأت الاعمال التمهيدية فى ســـنة ١٩٥٦ على أن تنتهى فى سنة ١٩٦٢ ، ونفقات البناء التى قدرت مبدئيا بما يقرب من مائة مليون مارك ، لم تدفعها المملكة الســعودية وحدها ، بل ســـاهمت معها فيها البلدان الاسلامية الأخرى .

واصدر « ناصر » أمره بانشاء وظيفة ملحق دينى فى جميع البعثات الدبلوماســية الخارجية للجمهورية العربية المتحدة ، تـكون واجباته توثيق عقـــود الزواج ، كما يكون اماما وواعظا للمصـــلين فى الاماكن الاسلامية ، والرد على نشرات الدعاية المغرضة ضد الاســـلام ، هذا وقد افتتحت مكاتب اسلامية فى ألمانيا وانجلترا والسويد وايطاليا وسويسرا والولايات المتحدة الأمريكية .

وكتب « ناصر » فى الصفحات الأخيرة من كتابه «فلسفة الثورة» لقد زاد ايمانى بمدى الفاعلية الايجابية التى يمكن أن تترتب على تقوية الروابط الاسلامية بين جميع المسلمين ، ايام ذهبت الى المملكة السعودية مع بعثة الحج المصرية ، فمـــا ان وقفت أمام الـكعبة ، حتى أحسست بخواطرى تطوف بكل ناحية من نواحى العالم التى وصل اليها الأسلام ، وواتتنى فكرة تغيير نظرتنا الى الحج ، فلا ينبغى اعتبار الحج الى بيت الله الحرام تصريحا بدخول الجنة بعد عمـــر مديد ، أو وسيلة لشراء الغفران بعد حياة آثمة ، بل ينبغى أن يتمكن كل قادة الدول الاسلامية ورجال الرأى فيها وعلماؤها فى جميع نواحى المعرفة ، وكتابها وأرباب الصناعة فيها ، ورجال الأعمال والتجار والشباب من الحضور الى هذا المؤتمر ، ليضعوا فى هذا البرلمان الاســـلامى العالمى خطوطا عريضـــة للسياسة الوطنية لبلادهم ، وتعاونها معا من سنة الى آخرى .

وهكذا ينبغى أن يلتقوا خاشـــعين ضـعفاء بين يدى الله ، ولكنهم أقوياء متجردين من المطامع الشخصية ، اشـــداء فى نضالهم مع مشاكلهم ، وضد أعدائهم ، تواقين فى شغف الى حياة أفضل ، مؤمنين بأن لهم مكانا تحت الشمس يتعين عليهم شغله والتمسك به فى هـذه الحياة .

وحين أجول بأفكارى فى احوال الثمانين مليونا من المســـلمين فى اندونيسيا ، والخمسين مليونا فى الصين ، وعدة الملايين فى الملايو وبورما ، وما يقرب من مائة المليون فى الباكستان ، وأكثر من مائة المليون فى منطقة الشرق الأوسط ، والأربعين مليونا داخل الاتحاد السوفييتى ، وكذا جميع المسلمين الآخرين المنتشرين فى أرض الله الواسعة ، أقول عند م

أفكر فى هذه المئــــات من الملايين الذين تربط بينهم عقيدة واحدة . يستولى على احساس عميق بالامكانيات الهائلة التى يمكن أن يحققها تعاون هؤلاء المسلمين جميعا .

القومية العربية والحياد الايجابى

كتب « ناصر » عن القومية العربية قائلا : انى عربى دخلت الثورة المصرية بوصفى عربيا وطنيا مخلصا ، ان القومية العربية بالنسبة الى ، تعنى أشياء كثيرة : منها الدافع الروحى ، ومنها التضامن الحر المنطلق لجميع الشعوب العربية ، القائم على رباط مشترك من اللغة والحضارة والتاريخ ، فهو شعور نابع من القلب ، نابع من المــــاضى العربى الذى يمكن اليوم ان يجلب للعرب فوائد عملية جمة . فالتضامن العســـكرى والتعاون المدنى والادارى فى الاقتصاد والثقافة والسياسة الخـــارجية ، لا بد أن يدعم كيان الامة العربية .

وقال عن فكرة الحياد الايجابى : « ان بعض الناس يجدون صعوبة فى فهم سياستنا الحيادية الايجابية . يحـــــاول الآخرون تحطيمها عن طريق المناورة والمداورة ، اننى أخشى كل ارتبـــاط بأية كتلة خارجية ، ذلك لانى أعرف تاريخ العرب ونفسية الشعوب العربية . فقـــــد اعتاد العرب منـــــذ عدة قرون أن ينظروا الى حكوماتهم فى خوف وريبة ، على اعتبارهم عملاء للدول الاجنبية ، وكحكومات تتلقى توجيهاتها من السفراء الاجانب .

هذا بالاضافة الى أنى أعلم أن المشاركة فى أى حلف خارجى تضعف عناصر قوميتنا ، وتنتهى بدفع الشعب اما الى الشيوعية واما الى الجماعات المتعصبة كالاخوان المسلمين مثلا ، واذا كان هنـــــاك لزوم لقيام أحلاف دفاعية من العالم العربى يجب أن تشكل هذه الاحلاف الدفاعية من البلاد العربية نفسها .

وهناك سبب اضطرارى آخر لمعارضتى ارتباط الدول العربية بأية دولة من الدول الكبرى : ذلك لان مثل هذا الارتبـــــاط لو حدث ، فانه يفتح الابواب أمام الدولة الكبيرة ، ممــــا يترتب عليه تمكينها من فرض سياستها وعودة الاستعمار والاحتلال الى البلاد العربية .

ان السبب فى فقدان الثقة فى الغريب يرجع الى العوامل المستمرة ، التى خلفتها الحركات الكثيرة المعادية للاحتـــــلال والاستعمار ، الى حد أصبح معه الاحتلال والاستعمار صفة مرادفة للغرب ، ولذا فانه ينبغى

على المرء فى الغرب أن يفهم ذلك وأن يقاوم هذه الفكرة مهما تكن الحال أكثر تعصبا ، اذ أن الامر لا يدور حـــــول مشكلة تخص الافريقيين من جانب ، والاوربيين والامريكيين من جانب آخر ، وانما هى مشكلة تفصل بين افريقية كلها وآسيا كلها والشرق الاوسط جميعه ، وبين الغرب ٠

وقد صرح رينيه حبشى وهو فيلسوف لبنانى فى بيروت فى أحد مؤلفاته بقوله :

« ان بيننا وبين الغرب هوة سحيقة أكثر عمقـــا مما تبدو نتيجة تصدع بين سياسيينا فى موقفهم وبين الغرب ، وليس هـــذا التصدع سياسيا فحسب بل انه حضارى وتاريخى » ٠

وهذه الاقوال تكمل تصريحات « عبد الناصر » فيما يتعلق بالقومية العربية والحياد الايجابى ٠ ان كليهما يؤثر فى الآخر ويتأثر به ، فالعرب يفكرون فى قيمهم التاريخية والحضـــارية ويؤمنون بأنه لا يوجد طريق آخر للخروج من مأزق الشك ، سوى الرجوع الى المنـــابع الفكرية التى منها انبعثت حضارتهم والتى استطاعوا أن يخلقوا منها شيئا جديدا ٠

وكل هذا الضوء الجلى يثبت أن « جمال عبد الناصر » ليس فرعون النيل الجديد كما يقولون وانما هو محقق لمهمة تاريخية أكبر ٠

الحبيب بورقيبة
رئيس ومفسر ومقرر

لقد ارتوت أرض تونس بدماء المعـــارك التى اشتعلت هنا على مر السنين والقرون حيث وقف الغرب الرومانى والجرمانى والشرق البوذى والاسلامى وجها لوجه ثم اندمجوا فى دولة جديدة ، واليوم فى هـــذا العالم الذى يبحث الناس فيه عن الوفاق ، تقـــدم تونس نفسها كأرض للصداقة والتوفيق بين الافراد والديانات والشعوب ٠

« الحبيب بورقيبة »

***

فى المعبر الى وســـط افريقية ٠ فى تونس توقفت فى الثـــامن والعشرين من يناير عام ١٩٥٦ ، وفى هـــذه المدينة أحسست بجو غيبى غامض يحيط بى بضعة أيام ٠ اذ ردا على استفسارى عن امكانية التحدث الى الرئيس الجديد لجمهورية تونس الفتية قيل لى : ان الرئيس مـــع الاسف مثقل جدا فى هذه اللحظة بأعمال ملحة ولذا واصلت المحاولات المستمرة للاتصال بالرئيس عن طريق أصدقاء مشتركين ٠

سيارة جيب مسلحة

وأخيرا فى صباح الثامن والعشرين من يناير أخبرت تليفونيا بأنه ينبغى على أن أكون على أهبة الاستعداد خـــلال نصف ساعة للسفر الى الدكتور بورقيبة ٠

وبعد انقضاء نصف ساعة تماما من المخابرة التليفونية توقفت أمام ممر الفندق عربة جيب قديمة قفز منها تونسى فى جلباب أسود واندفع نجاهى سائلا اياى : هل أنا كذا وكذا ؟ وبعد لحظة كنا نجوس خلال عدة شوارع الى الضاحية بلفيدير ٠

وأمام فيلا بيضاء اللون يحوم حولها رجال مسلحون هنا وهناك ، وقفنا ، وخلال حجرات مختلفة ينتشر فيهـــا رجال مسلحون يحملون البنادق أو المدافع السريعة الطلقات قادنى رجل ما ، وأخيرا وصلت الى حجرة مزدانة جدرانها بالموزايكو ومؤسسة بمقـــاعد ذات وســائد ، وفى وسطها منضدة صغيرة وأمرت بالانتظار فيها ، وأمام الحواجز الحديدية المثبتة على النوافذ انتابنى شـــعور غامض ، أحسست كمـــا لو كنت سجينا ، وهنا دخل الرئيس الدكتور الحبيب بورقيبة مرتديا حلة زرقاء أنيقة ، فحيانى بحرارة ، وعقد معى محادثة طيبة وبدأنا الحديث كأصدقاء قدامى ، وخلال الحديث عرف بورقيبة شيئا عن رحلتى الطويلة فرجانى أن أمده بدقائقها بقدر الامكان ٠ عجبا! لقد أتيت لاستجوابه فاستجوبنى هو !

انقضت نحو ساعات ثلاث تهيأت بعدها للانصراف ولكنه قال لى : انه يجب أن نتناول معا وجبة خفيفة ، ثم صفق بيديه فظهر بعض الرجال الذين امرهم باعداد الطعـــام ، وبعد لحظـات تكومت أمامنـــا الفطائر التونسية والكسكسى وازدحم جو الحجرة برائحة الفلفـــل والبهارات الفواحة وعند الانتهاء من الطعام قدمت الفاكهة وبعدها القهوة ٠

وقد تشعب حديثنا فى موضـــوعات شتى ، وتكلمنا فى سياسة أوربا وأحداث ما بعد الحرب وأحوال الشـــباب ومن خلال الحـــديث المتشعب كان تحيزه للغرب ظاهرا ومناهضته للشيوعية نغمة واضـحة ،

وما أن انتهينا من تنـــاول القهوة حتى ظهرت ســـيدة أكثر منه بياضا ، ظننت لاول وهلة أنها امرأة فرنسية وأكد الرئيس بورقيبة ظنى حين قال بالفرنسية هذه زوجتى ، ولم تمكث ماتيلدا بورقيبة ســـوى وقت قصير ، فقـــد كانت تريد أن تعرف : كيف حال زوجها ، كمـــا قالت هى ؟

وفجأة ضحك الجميع

أحسست بالتعب بعض الشىء على اثر تلك المحادثة الطويلة مع هذه الشخصية الديناميكية فنهضت شـــاكرا له متأهبا للانصراف وهنا ظهر

بعض الرجال المسلحين وبدءوا وكأنهم ينقلون الى الرئيس خبرا هاما ، وفجأة ضحك الجميع ، وبعدها وقف الحبيب بورقيبة وشد على يدى بكلتا يديه وشكر لى زيارتى ، ثم سألنى هل لدى نسخة من كتابه « تونس وفرنسا » ؟ فأجبت بالنفى فأحضر الكتاب وكتب على أولى صفحاته الاهداء التالى :

الى السيد / رولف اتاليندر تذكار لقائنا فى تونس مع عطفى وتمنياتى .

بورقيبة

وبينما كان يحرر تاريخ الاهداء (١٩٦٢/٢/٢٨) قال لى : « ان هذا اليوم يوم تاريخى » وعند الباب حيث اصطحبنى بورقيبة « قال وهو يضحك وقد أمسك بذراعى فى حماسة » حينما تكتب عنى عليك أن تذكر أنك قابلتنى وأنا فى أطيب صحة وأسعد حال .

وفى الفندق حينما أصبحت وحدى ، جلست محاولا التأليف بين أجزاء هذه الزيارة التى كنت أنظر اليها نظرة أخرى ، وفى نسيج واحد بغية تفهم الاسباب الكامنة وراء هذا المشهد الاخير ، الذى أثار ضحك بورقيبة والذى عددته منفصلا عن مشاهد الزيارة ، ولكنى لم أفلح الا فى المساء حيث علمت من مقابلتى مع المندوب السامى الفرنسى أن ثمة حالة متوقدة ، وأخيرا سألت بعض معارفى من موظفى القوميسارية : هل ثمة شىء فى الجو ؟ وعندئذ تطلع الى الصديق كما لو كنت رجلا هبط من القمر وبدا كما لو كان يشك فى أننى ما زلت أجهل أن السكرتير العام لحزب الرئيس (الحزب الدستورى الجديد) هو صالح بن يوسف الذى أصدر حكمه بالموت على الرئيس بورقيبة ، كما شمل الحكم بعض المحيطين به ، وان أسوأ ما فى الامر أن « صالح بن يوسف » قد استطاع الفرار (١) .

وسألت كيف حال الرئيس فأجابنى الرجل : انه غاضب وثائر ، لا بد أنه يقاسى انهيارا عصبيا ، ان زيارتك له لا شىء فيها على الاطلاق ،

---

(١) فر صالح بن يوسف الى القاهرة حيث قضى مدة ثم اغتيل فى ألمانيا . ويقال: ان لبورقيبة ضلعا كبيرا فى مقتله . فقد كانت العلاقات بينه وبين القاهرة حسنة فى هذا الوقت . على حين كان صالح بن يوسف حجر الزاوية فى تعكيرها . فانتهز هذه الفرصة للتخلص منه حتى لا تكلم القاهرة .

فقلت : لقد أمضيت معه معظم اليوم تقريبا ، وكان يبـــدو عليه الهدوء والارتياح ، وقد خضنا معا حديثا فى موضوعات شتى ٠

وبعد ذلك بأيام اتضحت الامور أكثر ، فقد علمت أن الرئيس تعمد احضار واحد من الاجانب المحايدين ليكون شاهدا محايدا يقر أن حالة الرئيس كانت طيبة فى ذلك اليوم المعتكر ٠

الوالد كان ضابطا لدى الباى

يبلغ تعداد تونس أربعة ملايين نسـمة يقتسمون ١٨٠ر١٢٥ كمم وقد احتلها الفرنسيون طبقا لمعاهدة حماية قصر السيد فى ١٢ من مارس عام ١٨٨١ ، وقد كرس الحبيب بورقيبة حياته لتحرير وطنه من هـذه الحماية ٠

ولد الحبيب فى ٣ من أغسطس سنة ١٩٠٣ فى مونستر بتونس ـ وكان أصغر ثمانية أخوة منهم ســـتة من الذكور وفتاتان ، وكان أبوه ضابطا فى جيش البـاى الصغير ، وينتسب الرئيس بورقيبة الى الطبقة المتوسطة ، ويمتاز سكان منطقة الصـــحراء حيث ينتمى بورقيبة بالجد والذكاء ٠

ونظرا لذكائه ومهنة أبيه فقد ارتقى سريعا الى الطبقة العليا ، ولكنه كان على اتصال شخصى بالفلاحين والعمال ، وقد قال لى بنفسه : « لقد كان هـــذا محددا لمعالم حيـــاتى ، ذلك لانى ركزت اهتمامى على جميع الطبقات ولم أعترف على الاطـلاق بأى فوارق طبقية ٠ وتهمنى أحـــوال الناس جميعا ٠

عاش أخوه الاكبر فى تونس العاصمة (٠٠٠ر٤١ نسمة) وتزوج وأخذ معه الحبيب سنوات واهتـــم بتربيته ، فبعث به للالتحاق باحدى المدارس الثانوية ثم الليسية وفى أثنـــاء دراسته مرض مرضا شديدا أجبره على التخلف عن المدرسة بضع سنين وأرســـل الى منطقة كيف للاستجمام ، واستطاع فى سن الحادية والعشرين الحصول على شهادة البكالوريا فى سنة ١٩٢٤ ، هذا بالاضـــافة الى حصوله على دبلوم فى اللغة العربية وآدابها ٠

ووافق الوالد على ارسال الفتى النـــابغة الى باريس للدراسة فى السوربون ، وهناك قرر الفتى دراسة القانون كما درس فى كلية العلوم

السياسية وقد قال لى فى هذا الصدد : « انها معجزة ، لقد درست العلوم السياسية ولكن ذلك لم يكن عبثا » .

وقد تزوج وهو ما يزال طالبا ، له من العمر ثلاثة وعشرون عاما . ويمكن تعليل موقفه الودى من الفرنسيين بزواجه احدى الفرنسيات المسيحيات التى سرعان ما أنجبت له أبنا هو ذلك الذى عين فى باريس مسقط رأسه كأول سفير لجمهورية تونس حيث أطلق عليه والده « سفير الوفاق» وقد اعتنقت الزوجة الاسلام بعد اثنين وعشرين عاما من الزواج.

وعاد بورقيبة الى تونس فى عام ١٩٢٧ حائزا لاجازة الدكتوراه بعد سنين ثلاث من الدراسة فى باريس ، وقيد نفسه فى سجل المحامين ، وسرعان ما كون له عملاء ولكنه لم يستمر فى الاشتغال بالمحاماة . اذ سرعان ما أغرته السياسة التى كانت اجتذبته منذ كان طالبا فى كلية « صدهى » حيث انخرط فى الدوائر السياسية وألقى خطبا نارية ضد الاستعمار نالته من ورائها كراهية المدرسين الفرنسيين له . وحدث فى أثناء وجوده بالليسيه أن أغلقت الجريدة الوطنية « الحق » وكانت محبوبة من الطلبة وفى سبيل الاحتجاج على اغلاقها انضم بورقيبه الى الحزب الدستورى الحر ، حيث أرسل الى المقيم العام لوسيان سانيت برقية احتجاج .

وفى عام ١٩٣٠ دخل معترك الحياة السياسية العامة للمرة الاولى وهو محام ، فكتب لجريدة الحزب الدستورى « صوت تونس » مقالات افتتاحية .

ومن تاريخ حياة الرئيس الرسمى الذى أصدره مكتب الاستعلامات، استطعت أن أعرف أنه لم يمكث طويلا فى محيط الحزب الدستورى القديم لانه رأى فيه حزبا للبروجوازيين الذين لم تكن السياسة لديهم سوى مادة للاحاديث المسلية ، ولم يتخذها عقيدة مكانها القلب أو الروح. وهكذا لم يستطع الحزب الدستورى القديم أن يتفق مع المشاعر المشتعلة ولا الافكار الاخاذة التى ازدحم بها وجدان بورقيبة وعقله فاتجه هذا الشاب المكافح الذى أحس بتماسك روح الشعب والذى كانت لديه صورة واضحة جلية عن أزمة هذا الشعب الى تأييد الشعب للمساهمة فى السياسة ، وكان طموحا نحو انضمام جماهير العمال والفلاحين الى صفوف حزب كبير .

وفى عام ١٩٣٣ ترك بورقيبة وبعض أنصاره « جريدة » صوت تونس ، لتأسيس جريدة العمل التونسية التى أصبح طريقها مميزا فى ألمع الاوساط . كان تفكير بورقيبة يتجه الى العمل السياسى الممثل

للشعب النابع منه والمتجه نحو مصالحه ، وبذلك تمكن من تعبئة الشعب عن طريق الافكار القوية التى بثها كما نظم فى جميع أنحاء البلاد الوعى المتجه الى العدالة والحرية السياسية الصحيحة ·

تأسيس الحزب الدستورى الجديد

وفى الاول من مارس من عام ١٩٣٤ عقد مؤتمر أعضاء الحزب الدستورى المبارك فى قصر هلال بتونس ، وفى هذا المؤتمر تقرر تأسيس حزب جديد هو « الحزب الدستورى » الحر الجديد ، وشغل بورقيبة منصب « السكرتير العام » ·

وقد أسس هذا الحزب الحر الدستورى الجديد تشكيلات محلية فى جميع البلاد أصبحت ذات نشاط فعال بعد أشهر قليلة ، حتى ان المقيم العام وممثل الحماية مسيو بيرلو خشى نشوب ثورة عاجلة ، فألقى القبض على بورقيبة ومعاونيه فى سبتمبر من عام ١٩٣٤ ، وتم نفيهم الى الجنوب الاقصى من الصحراء التونسية فى بوردى لابوف ، ومع هذا لم يتأثر الحزب الدستور الاصيل من جراء ذلك ، بل لقد حدث العكس تماما ، فان بورقيبة أصبح رمزا للوطنية فى الكفاح ضد السلطات الحاكمة فى نظر الشعب التونسى ·

ومن المعتاد فى المستعمرات والمحميات الافريقية أن يصبح أى سياسى رئيسا للوزراء بصورة مؤكدة ، بعد ما يتم القبض عليه وارساله الى المنفى وهذه العبارة تصدق على بورقيبة تماما · ذلك لانه فى ابريل من عام ١٩٣٥ قد أقيل بيرلو وعين خلفا له جويلون مقيما عاما ، فأطلق سراح المنفيين فى بوردى لابوف ودخل معهم فى مفاوضات وفى هذه الاثناء تولت الجبهة الشعبية الحكم فى فرنسا ·

وفى أغسطس من عام ١٩٣٦ أجرى الوزير فينوت اتصالات مع بورقيبة ، وبدأت سياسة التعاون الفرنسى التونسى ، واستقبل بورقيبة مرتين فى كواى دى أودسا ، ولكن سرعان ما فشلت جميع جهود التفاهم فى (كايم) وهذا راجع الى جهود القوى الرجعية فى كل من فرنسا وتونس ·

وكانت الشهور من ابريل الى مايو عام ١٩٣٨ هى ذروة الاضرابات التى اشتعل أوارها بعد أزمة المباحثات فى كل أنحاء تونس ، واعتبر بورقيبة ورفاقه الثمانية والعشرون مسئولين عن هذه الاضرابات ووقفوا جميعا أمام محكمة عسكرية فرنسية متهمين بالخيانة وتهديد أمن الدولة ،

وقد ظلت القضية منظورة أمام القضاء أشهرا طوالا ، حتى نشبت الحرب العالمية الثانية فى ٢٩ من أغسطس عام ١٩٣٩ : ففى الخامس والعشرين من مايو عام ١٩٤٠ أرسل المتهم بورقيبة الى قلعة سانت تبلولاوس فى مرسيليا ، وهناك ظل سجينا حتى ١٨ من نوفمبر من عام ١٩٤٢ .

وبعد احتلال القوات الالمانية للمنطقة التى كانت لا تزال غير محتلة من فرنسا حتى ذلك الوقت ، أرسل المساجين الى سجن (مونت لوك) فى ليون ، ثم أخيرا الى سجن فانسيا فى ديميارتمنت آين ، وفى الثامن من يناير عام ١٩٤٣ أطلقت حكومة فيشى سراح بورقيبة وأرسل الى روما فى اليوم التالى ، لاعتقاد الفرنسيين فى امكانية تجنب اساءة جمهرة الشعب .

وفى روما فتحت الحكومة الفاشستية له ذراعيها معتقدة أنه من الممكن كسبه الى جانب مصلحة ايطاليا الاستعمارية ، اذ كانت الجالية الايطالية فى تونس تعانى فى ذلك الوقت من الاضرار التى ألحقها بها الفرنسيون بضغطهم المستمر عليها ، فاعتقدوا أنه يمكنهم الآن القيام مع بورقيبة بعمل مشترك ضد الفرنسيين ، وقد لاقت هذه الفكرة قبولا ازاء توجيه بورقيبة النقد المستمر لسياسة فرنسا فى تونس بحيث لم يدع هذا النقد مجالا للشك فى أن بورقيبة ليس بحاجة الى المزيد من التحريض ، الا أن بورقيبة كان على النقيض من ذلك فقد كان يصرح فى دائرة أصدقائه بأنه لا ينتظر من ايطاليا الموسولينية شيئا بل انه كذلك لا يؤمن بانتصار دول المحور .

وفى سجن سانت نيقولاس فى الثامن من أغسطس عام ١٩٤٢ أخذ بورقيبة يتقرب من صديقه الدكتور تنهور مدير جريدة « افريقية الفتاة » الذى نصحه هو الآخر بأن يصرف النظر عن تأييد المحور ، لانه لا بد ملاق حتفه ، وعلى أية حال فقد رأى بورقيبة وزملاؤه أن من الحكمة عدم الانحياز الى احدى الكفتين وتحاشى التعليق بشىء على أى الجانبين سينتصر .

العودة الى الوطن فى أثناء الحرب العالمية الثانية

فى الثامن من أبريل عام ١٩٤٣ استطاع بورقيبة العودة الى الوطن وبعد انقضاء خمس سنوات على اعتقاله ، وقد استقبله الشعب باعجاب ورحبت به الدعاية الالمانية ، وقدمت له القيادة الالمانية

العليا طائرة للقيام برحلة الى ألمانيا (١) ، ولكن بورقيبة فضل أن يظل متواريا عن الأنظار حتى جلاء الالمان ، وبعدئذ قام باتصالات مع الحركة السرية وكذا مع عملاء الحلفاء ، وفى السابع من مايو نشر نداء على الشعب التونسى لمصلحة الحلفاء اقترح فيه اقتراحات بناءة لاعادة بناء البلاد والعالم أجمع ماديا ومعنويا .

ووقفت السلطات الفرنسية ضده من جديد ، واتخذ المقيم العام جيون من النداء مادة لاتهام بورقيبة ، ولكنه صرف النظر عن المحاكمة بناء على اتصال القنصل العام للولايات المتحدة ، وقد ظل بورقيبة تحت الحراسة بعد ذلك .

ولعلنا نلاحظ هنا تشابها معينا مع تونس بالنسبة لمراكش ، فقد تلقى الملك محمد الخامس بعد الحرب العالمية الثانية تأييدا خاصا من جانب الولايات المتحدة ، وقد أدى تسجيل التاريخ الحديث الى نشر جميع الوثائق التى ظهر منها الى أى مدى عملت الولايات المتحدة على استقلال تونس ومراكش على أساس القضاء على الاستعمار فيهما وكيف أن التحالف العربى والصداقة الامريكية الفرنسية اللذين كانا قد وصلا الى درجة عالية من السمعة فى الحرب العالمية الثانية تقلصا بالتأكيد من جراء ذلك .

وأخيرا أصبح بورقيبة رجلا خالصا وليس زعيم حزب ، ذلك أن الحزب الدستورى الجديد ظل ممنوعا من مزاولة نشاطه ، وعلى الرغم من ذلك فقد دارت مناقشات استشارية بين الرجال القياديين لما يمكن عمله فى المستقبل ، وقام بورقيبه باتصالات مع جنرال ناست (المقيم العام الفرنسى الجديد) وللمرة الثانية تلقى بورقيبة تعضيدا غير قاطع بشأن استقلال تونس فى المستقبل ، وبذا قرر بورقيبة استعراض أصدقائه الامناء الذين يستطيع أن يعتمد عليهم ولم يرتكن بحال على المشاعر الحارة التى تستند على ركيزة فارغة .

وهكذا ترك تونس سرا فى ٢٦ من مارس عام ١٩٤٥ وطاف خلال السنوات الاربع أو تزيد بجميع دول الشرق الاوسط مبتدئا بمصر لدراسة دساتيرها وللعناية بتبادل الافكار فيها مع السياسيين العرب .

وفى ٨ من سبتمبر عام ١٩٤٩ عاد الى تونس ليضع خبراته التى اكتسبها موضع التنفيذ ، واستقبله الشعب استقبال المنتصر حتى الباى الذى كان واضح التعاون مع الفرنسيين سياسيا اذ دعاه الى قصره فى (كارتاجو) ...

(١) احتلت قوات الحملة الالمانية الافريقية تونس فى ٣ من مايو عام ١٩٤٣م

وفى ٢١ من أبريل من عام ١٩٥٠ سافر بورقيبة الى باريس متجها الى الرأى العام الفرنسى ، عارضا برنامجه للحكم فى سبع نقاط ، وأخيرا وجد آذانا مصغية من جميع الاحزاب الفرنسية ، وفى هذه الاثنـاء أصبح بيرالبر مقيما عاما وروبيرت شومان رئيسا للوزراء فى فرنسا ، وأعلنت حكومة شومان أولى خطواتها نحو استقلال تونس استقلالا داخليا ، وأعلن بورقيبة باسم حزبه أنه مستعد للمشاركة فى أول حكومة تونسية والى أن حان الوقت لذلك كانت قد انقضت شـهور عدة عرف بورقيبة كيف يستغلها فسافر الى آسيا والولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا وكسب عطف هذ البلاد وتأييدها لقضية تونس ، ثم عاد الى وطنه ودعا الحزب الدستورى الجديد الممنوع من مزاولة أى نشاط الى عقد مؤتمر عام ، على الرغم من منع المقيم العـام « دى هاوتك كلو » فلم يمهله الفرنسيون ليستطيعوا القضاء على انبثاقة تونس الطيبة هذه . ولذلك انتهزوا هذه الفرصة وقاموا باعتقاله فى ١٥ من يناير من عام ١٩٥٢ مرة أخرى ونقل الى طبرق ، وفى نهاية مارس جاءوا به الى سجن ريماتا فى جنوبى تونس .

وأخيرا اعتقل فى جزيرة لاجالوت طوال عامين فى طقس مفزع وعزلة شاملة كما روى ذلك بنفسه .

وفى عام ١٩٥٤ رحل الى جزيرة جروكسى الفرنسية ومن هنـاك حول الى سجن اميلى ، وأخيرا الى باريس حيث عاش تحت حراسة بوليسية دائمة .

لقد دفع قليل من الساسة ورجال الدول الافريقية ثمنا غاليا من أجل الحرية ، وذلك بنضالهم فى سبيلها شأن المحامى التونسى دكتور الحبيب بورقيبة .

وقد سألته : كيف استطعت احتمال كل هذه المصـاعب نفسيا وجسديا ؟ وكيف استطعت التوفيق بينها وبين زواجك من فرنسـية وتربيتك وثقافتك الفرنسيتين واعجابك بالروح الفرنسـية ؟ فأجابنى « نعم .. ان المشاق والمهانة والخضوع ، كل هذه أشـياء فوق طاقة البشر ، ولكننى لو لم أتعلق بالعمل المستمر ما أصبحت شـيئا ، ان ايمانى لم يتزعزع ولذا فقد استطعت اجتياز جميع هـذه الامتحانات المروعة .

الاستقلال الذاتى وتأسيس الجمهورية

فى ٣١ من يوليو من عام ١٩٥٤ أقرت المعاهدة التى وضعتهـــا حكومة شومان فى باريس منح تونس الاستقلال الداخلى واعلان انشـــاء دوله تونس ، فاتهم بعض الوطنيين بورقيبة بسبب استعداده للموافقة على ذلك ، لان هذا البعض كان يريد الاستقلال التام عن فرنســـا ، وكان المتحدث باسم هـــذا البعض هو « صالح بن يوسف » سكرتير الحزب الدستورى الجديد الذى أصدر حكمه بالموت على بورقيبة فى ينـــاير عام ١٩٥٦ .

وهددت البلاد باشـــتعال حرب أهلية يضرم نارها الشيوعيون ، وهنا منحت الحكومة الفرنسية بورقيبة حرية التصرف الكامل لانه يتمتع بثقة الجميع ، وهذا الى جانب نفـــوذه الشخصى واليه يرجع الفضل فى هدوء الموقف واستقراره .

فما ان عاد الدكتور بورقيبة الى تونس حتى أفهـــم التونسيين أن الاستقلال الذاتى هو الخطوة الحاسمة نحو الاســـتقلال الكامل ، والواقع أن معاهدة الاستقلال وقعت فى العـــاشر من مارس عام ١٩٥٦ واستطاع بورقيبة تشكيل أول حكومة لتونس المستقلة .

وأنشأ كأول رئيس وزراء لتونس المستقلة بالتعـــاون مع حكومته جميع الاقسام الهامة لاجهزة الدولة من أجل تقسيم العمـــــل السياسى والاقتصادى والاجتمـــاعى والتربوى والتعليمى وانشـــاء جيش ونظام دبلوماسى .

وحصل الحزب الدستورى الجديد على أغلبية ساحقة من الاصوات فى أول انتخابات برلمانية للبلاد وهزم الشيوعيين هزيمة ساحقة .

وكانت تونس وما زالت حتى ذلك الوقت ملكية ، وكان باى تونس « سيدى محمد الامين » شخصية حيوية لكنها ضعيفة فهو رجل يهتـــم بالكيمياء والفلك ولكنه على جانب ضئيل من الثقـــافة ، وكان بورقيبة يعرف أن القوى الخبيثة استطاعت أن تحيـــط بالباى ، تلك القوى التى كانت تهدف فى الوقت نفسه الى القضاء على الحزب الدستورى الجديد . فضرب ضربته التى فرقت شـــمل الاقطاعيين باعلان الجمعية التشريعية الغاء الملكية وانشاء الجمهورية التونسية فى ٢٥ من يوليو من عام ١٩٥٧

وقد احتفـــظ بورقيبة بمنصبه كرئيس للوزراء وأصبح فى الوقت

نفسه اول رئيس للجمهورية ولا يمكن أى فرد فى تونس أن يدهش من ذلك فانه أنشأ تونس المستقلة ومنح التونسيين تونسيتهم وأعادها لهم مع الكرامة والعزة وهو يعنى ببذل جهده الآن لايقاظ الشعور بالمسئولية لديهم ·

البورقيبزم

أوجد الدكتور بورقيبة مخططا سياسيا كان وليد الظروف النفسية القاسية التى مر بها فى المنفى والمعتقلات والسجون الكثيرة ، ذلك المخطط الذى يشار اليه بالبورقيبزم (البورقيبية) ·· فما البورقيبية هذه ؟

ان التعريف الرسمى لها يقول : « ينبغى أن تعامل عدو اليوم دون أن تنسى أنه ينبغى أن يصبح صديق الغد ، فاذا قطعت الاتصالات حينا ما فينبغى أن يبذل المرء مجهودا شفويا بالاتصال الشخصى لاعادة استئنافها ، ولا ينبغى استخدام القوة الا فى الحالات الاضطرارية ويجب بناء الدولة على أساس القضاء على القومية وتوجيه النضال التحررى تبعا لمبادىء ايدلوجية وروحية معينة وألا يتحول هدف هذا النضال عن مبدأ الاستقلال ، وينبغى الانتباه الى خطواته المختلفة مع مواصلة جميع التسويات الهامة وساعة احراز النصر كما يجب التعاون بحرية ، مع نسيان جميع المنازعات الماضية · هذه هى التيارات الخاصة للثورة التونسية ، وقد أطلق بورقيبة على هذا المخطط اسم « البورقيبزم » ولقد حازت البلاد التقدير عن طريق أهدافها الواضحة أكثر من وسائلها الاخرى(١) ·

ان الحبيب بورقيبة ليس ثائرا ولا مصلحا فحسب ، بل انه مشرع ومفسر أيضا ، وهو بالاضافة الى ذلك متعصب ولكنه رجل له مزاياه فهو يقدر الصداقة أكثر مما يقدر العداء واحدى ميزاته الخاصة فكرة الانبثاق المتوثب ، والبورقيبية هذه تشهد بذلك ، وهو ينفذها بدقة ، فقد قطع العلاقات مع فرنسا بعد خضوع طويل ·

وبورقيبة غريب فى كثير مما يصدر عنه أيضا ، فقد أراد أن يوحد الشمال الافريقى على أساس عربى ذلك الاتحاد الذى يفتح للصناعة ورأس المال الاوربيين ثروات شمالى افريقية والصحراء ، وقد اتخذ بورقيبة موقفا حاسما ضد الشيوعية وفى ذلك اليوم « التاريخى » الذى تحدثنا فيه معا ذكر لى كيف كانت بلاده صغيرة وفقيرة وشعبها تافه الهدف

(١) ص ٦١ · تونس وفرنسا ـ بورقيبة ·

والغاية ، ولكنها كانت مع ذلك كبيرة بمكانها الجغرافى فى قلب دول البحر المتوسط غنية بمقومات الحياة وآمال التقدم ، قال بورقيبة :

ان موقعها بين غربى أوروبا وشمالى افريقية وآسيا الصغرى قد أعطى تونس حقوقا وفرض عليها واجبات ، اننا سنكون أناسا طيبى النيات نقدم باخلاص مساعداتنا المادية والروحية ، واننا نبغى احلال الوفاق بين العالمين العربى والغربى محل الفرقة . وبالنسبة للعلاقات مع فرنسا سألت بورقيبة عن الحال بالنسبة للعلاقات الفرنسية التونسية ، فأجاب قائلا :

« نحن لسنا تابعين لفرنسا ولا نحمل كرها لها وهى التى طالما ظللنا تحت وصايتها ، والذى نبغيه هو أن تكون صديقة لنا ونحن نؤمن بالعدالة ، ونريد أن نسلك طريقنا بأية من الوسائل المناسبة بالتعقل والاقناع أو بالسلاح . هذا وقد حاولت حكومة الحبيب بورقيبة أن تسير على هذا المنوال فى السنين الاخيرة على الرغم من السلسلة الطويلة من خيبة الامل التى خبرتها .

وسألته عن الازمة الاقتصادية التى اشتدت حدتها منذ المناداة بالاستقلال ، فأجاب قائلا : لقد خفف من حدة الازمة الاقتصادية الفرحة بنيل الاستقلال ، ولكنا يجب أن نستعد لوضع حد لها ، ولذا فمن الواجب أن نكرس كل امكانياتنا بل وجميع تقاليدنا المألوفة فى سبيل ازالة الازمة الاقتصادية .

ويشعر المرء فى حضرة الحبيب بورقيبة أنه من معدن الرجال القلائل الذين يرغبون فى ادماج التقاليد الاوربية بالتقاليد الافريقية الاصلية .

وهكذا استطاع بورقيبة أن يكون محور الارتكاز منحصرا فى العلاقات الافريقية الاوربية !

وعلى أية حال يمكن القول بأن لدى بورقيبة الرغبة فى ذلك فموقفه كان شبيها بموقف كثير من رجال الدول الافريقية الحديثين ، ولكنه يرتكن الى افريقية . غير أنه لا يجوز أن يؤخذ عليه ذلك فقد قال : « طالما لم يوجد حل للنزاع الجزائرى بعد فسيتأثر الزعماء الوطنيون فى العالم العربى بمجرى الحوادث » .

وفى كتابه « تونس وفرنسا » وقفت عند صفحة معنونة بكلمة مأثورة حيث يقول :

عندما أفضل التسامح على الضعف فانى أفضل عنهما كثيرا الحرية عن طريق القوة لانها أفضل من التسامح مع العبودية .

هيلاسلاسي الأول

في أول خطاب له إلى شعبه عام ١٩٣٠

ملك مطلق السلطات على عرش داوود

بارتقائى مقعد داوود الذى توجت عليه ، ارادتى أن احرســكم بمعونة الرب أيها التجار فلتخطوا بأعمالكم التجارية نحو التقدم ، وانتم أيها الفلاحون احرثوا وازرعوا فاننى سأحكمكم طبقا للقانون والعادات التى ورثتها عن الاجداد .

هيلاسلاسى الأول

فى أول خطاب له الى شعبه عام ١٩٣٠

عندما كنت طالبا امضيت فترة طويلة من حياتى فى « جنيف » أعمل فى مكتبة عصبة الامم . فى هذا الوقت سقطت مجموعة من اهم مقاعد عصبة الامم ، وفى صيف ١٩٣٦ دخل على رجل خجول انطوائى فى معطف متواضع يبدو عليه الجد . اسمر اللون ولكنه ذو نظرة حادة ، ولحية كثة . يمتد شاربه من أعلى الشفتين حتى جانبى الذقن ثم يلتقى ثانية عند أسفل الفك رأيته وقد حمل مظلة كبيرة للمطر مفتوحة فكان يبدو لى كما لو كان هذا الرجل الضئيل الجسم البسيط المظهر مختفيا تحتها ولم يكن هذا الرجل سوى امبراطور أثيوبيا الهارب من بلاده .

ورأيت القيصر فيما بعد فى عاصمته « اديس أبابا » (أربعمائة الف نسمة) بعد انقضاء عشرين عاما منذ رأيته فى المرة الاولى ، لقد تقــدم

الرجل فى السن ولكنه ظل على نشاطه القديم بل زاد عنادا وقسوة . لقد تغير كلية عما كان عليه فى المنفى (بجنيف) : ففى أوربا كان من السهل التحدث اليه بالفرنسية أو الانجليزية مباشرة ، أما هنا فى أثيوبيا (مساحتها ١٫١٨٤٫٣٢٠ كمم وتعدادها ٢٠ مليون نسمة) فيعد هذا أمرا غير مرغوب فيه . اذ على المرء أن يوجه الاسئلة الى ياوره الذى يترجمها الى الأمهرية فيجيب القيصر بالأمهرية ومن ثم يترجم الياور الاجابة الى الانجليزية أو الفرنسية وهذا تغير له معناه اذ أن ذلك يتيح له أن يكسب الوقت للروية والتفكير فى الاجابة « وهذا ما تأكد لى فى أديس أبابا » .

وآخر أوامر القيصر أن ينحنى الاثيوبيون والدبلوماسيون الاجانب أمامه بشدة ، أما السيدات فالواجب يقضى عليهن أداء انحناءة أشد من الانحناءات التقليدية أمامه ، ولا يجوز لأى فرد أن يدير ظهره للملك وكثيرا ما يحيط رئيس التشريفات أولئك الذين يحظون بمقابلة خاصة معه بقواعد البلاط الاثيوبى .

« حاكم منذ أربعة عشر عاما »

بعد محمد الخامس وادريس الاول لدينا هنا رئيس دولة نشأ من بيت ملكى يمتلك عرشا من أعرق العروش فى تاريخ العالم احيا به ذكرى ملوك التوارة « كسليمان وداوود » وهكذا لا يعد قيصر أثيوبيا رجلا جديدا فى افريقية انه فى هذا الكتاب يتخذ مكانه تحت لواء المصلحين من أمثال كل من أميرى مراكش وليبيا ، ولقد شيد دعائم العرش عن طريق ارتباط نسبه بالملك (سليمان) وملكة سبأ « ميكيدا » وهما اللذان أشير الى قصة حبهما فى كتاب « كبرانجاست » (٩٨٠ ق٠م) عن طريق ميلاد ابن مينليك الاول أوداوود ، وبدأت ذرية سليمان تنمو رويدا ، ومنذ ذلك الوقت تربع حفدة مينليك داوود على عرش اثيوبيا ، وباستثناء الفترة من عام ٩٢٧ م الى عام ١٢٧٠ م يعتبر الحاكم رقم ٢٢٥ للعرش السليمانى والحاكم رقم ٦٦ من حفدة مينليك داوود . فقد تم استرداد العرش فى القرن الثالث عشر الميلادى .

وتعتبر اثيوبيا نفسها اقدم بلد مسيحى على الارض ، فقد دخلت المسيحية اثيوبيا فى القرن الثالث الميلادى ولم تنتشر فيها عن طريق المبشرين كما كانت الحال فى البلاد الافريقية الاخرى ولم تخضع أثيوبيا خلال سنوات تاريخها الطويل للسيادة الاجنبية سوى سنوات خمس

وهى فترة الاحتلال الايطالى ، وكانت على العكس من الدول الافريقية الأخرى فلم تخضع للحماية أو الاستعمار .

وفى ٢٣ من يولية من عام ١٨٩٢ ولد القيصر الحالى فى مدينة « ادجرسو » فى اقليم « هرر » وأطلق عليه اسم « ليتافارى ماكونن » وكان والد الامير (ماكونن ابن عم القيصر « مينليك » الثانى والجنرال المخلص له وحفيــد الملك ســاهلى سيلاسى ، ماتت أمه (أمبيت ياشى) ولما يبلغ الطفل ثلاثة أشهر ، ودخل عندما بلغ الخامسة من عمره مدرسة الارسالية الكاثوليكية فى هرر .

وفى عامه السابع بدأ تعلم اللغة الفرنسية ثم الانجليزية وسمع القيصر مينليك عن عبقرية الطفل الفذ ، وكان ذلك سببا فى احضــاره الى أديس أبابا وهو فى العاشرة من عمره للالتحاق بمدرسة مينليك وهى مدرسة عالية لابناء الطبقة الارستقراطية ، وعند بلوغه الرابعة عشرة من عمره عين حاكما لمدينة « جرامولاتا » باقليم هرر ثم حاكمــا لمدينــة « ســلابى » باقليم شوا وأخيرا حاكما « لباسو » ، وكان أكبر الاقاليم التى عهد اليه بها القيصر هو اقليم « سيدامو »

وفى عام ١٩١٠ أصبح رئيسا لحكومة اقليم هرر ومنح لقب ديديا سماغ تافارى ماكونين «وفى ٣٠ من يولية عام ١٩١٢ تزوج الاميرة «منين» حفيدة ميخائيل فون فالو ، وأثمر الزواج أطفــالا ستة ما زال على قيد الحياة منهم ولدان وبنت واحدة .

وحدث ان عزل الامير هيلاسلاسى عن اقليم هرر نتيجة المكايد السياسية ولكنه استعاد حب القيصر له عن طريق صــفاته الكاملة (كما جاء فى احد التقارير الرسمية) وبعد وفاة مينليك الثانى فى ١٢ من ديسمبر عام ١٩١٣ أصبح أحد حفدته وهو « ليدش ياسو » قيصرا ولكنه اعتنق الاسلام مما أدى الى نشوب ثورة دامية فى القصر . تلك التى تدخلت فيها الكنيسة الاثيوبية وكذلك انجلترا وفرنســا وانتهت بعزل « ليدش » فى عام ١٩١٧ وتولت واحدة من بنات (مينليك) اثنانى تبعات العرش . ولكن هذه القيصرة (تساوديتو) كانت عجوزا ضعيفة ، ولهذا فقد أصبح حاكم هرر وصيا ووريثا للعرش ، وقد زكاه لتولى هذا المنصب عوامل ثلاثة : أولها نسبه القيصرى ، ثانيها الكنيسة ، وثالثها الضباط المخلصون .

وبهذا كله استطاع التغلب على جميع المكايد الواقفة فى طريقه ، كما استطاع أن يتحول الى شخصية قيادية .

العلاقات الخارجية وأعمال الاصلاح

عندما أصبح هيلاسلاسى وريثا للعرش بذل جهودا ضخمة ناجحة لعقد صلات دولية فى مصلحة اثيوبيا : ففى عام ١٩٢٣ استطاع ان يكسب حق العضوية لاثيوبيا فى عصبة الامم على الرغم من معارضة سويسرا والنرويج وبريطانيا واستراليا ، بدعوى تخلف هذا البلد . وفى هذه الفترة قام القيصر بأولى رحلاته الكبرى التى طاف خلالها ببريطانيا وفرنسا وألمانيا وايطاليا واليونان ومصر والشرق الادنى ..

ومن لمحات ذكائه انه قد اصطحب معه فى هذه الرحلة معارضيه ، حتى يأمن كيدهم فى أثناء غيابه ، وبعد أن اكتسب مكانة عالية فى الخارج بدأ يقوم باصلاحات اساسية فى أثيوبيا تنفيذا لبرنامج حديث ، وفى أثناء حياة القيصر « تشـــاوديتو » كان قرناؤه يتطلعون اليه على أنه القيصر المنتظر ، واخيرا توج فى اكتوبر عام ١٩٢٨ ، وفى العام نفسه عقد معاهدة ســلام مع ايطاليا ، وبعد وفاة القيصر « تشاوديتو » فى ١٢ من ابريل عام ١٩٣٠ أعلن نفسه قيصرا (ملك الملوك الاسد المنتصر) من سلالة يهوذا .

(والمختار من الرب وتسمى باسم (هيلاسلاسى) وهى كلمة تعنى الارادة والقوة ولقب القيصر راجع الى الكلمة الامهرية (ملك الملوك) .

وهى تطابق فى ايران ملك الملوك (شاهنشاه)

وفى ١٦ من يوليو ١٩٣١ منح القيصر هيلاسلاسى أمته أول دستور مكتوب جاء فى مقدمته أنه ليس مطالب فئة من الشـــعب ، ولكنه منبثق من رغبتـــه السامية . ويتميز هذا الدســـتور بأن سلطة الأمراء فوق سلطة البرلمان المكون من مجلسين ، وفوق ما تقدم يخول لأمراء سلطة ادارة مدينة كالتى يعرفها المرء فى الغرب الا أن ذلك لم يوضع موضع التنفيذ فى اثيوبيا .

وفى اليوبيل الخامس والعشرين لارتقاء القيصر العرش فى نوفمبر عام ١٩٥٥ أعلن دستورا جديدا معتدلا . وعلى اية حال ، فقد كرس نفسه لاتمام تشييد المبانى التعليمية التربوية والصحية ، فشـــيدت المدارس ومارس المدرسون مرانهم والاطباء عملهم ، واستدعى القيصر الخبراء الفنيين وخبراء التخطيط الاجانب من سويديين وسويسريين وهولنديين وانجليز وأمريكيين وبلجيكيين وفرنسيين وألمان الى البلاد .

وهكذا يعمل البيض في اثيوبيا في خدمة الافريقيين لا العكس كالحال في اغلب بلدان القارة .

وبدأت اثيوبيا في التطور الى دولة حديثة بقيادة قيصرها منذ اكثر من ربع قرن .

الحرب الاثيوبية الايطالية الثانية

حلت الوصية الجديدة عندما ، اعلن « بينيتو موسوليني » الحرب على الامبراطورية الاثيوبية في أكتوبر عام ١٩٣٥ ، فقد زحفت جيوشه الى اثيوبيا ، لقيام بانتقام ثأرى للهزيمة التى لحقت بايطاليا في الحرب الايطالية الاثيوبية الاولى ، فقد انهزم الايطاليون في الاول من مارس عام ١٨٩٦ عند « عدوه » هزيمة ساحقة .

فجاءوا اليوم لهزيمة البلاد واحتلالها وما أن تم لهم ذلك حتى هرب القيصر في ٣٠ من أبريل من عام ١٩٣٦ فحل أول الأمر بالقدس (أورشليم) ثم حاول ان يستقر في سويسرا أو فرنسا ولكن ولاءه لبلاده ابى عليه ذلك ، فذهب الى سويسرا حيث كانت اثيوبيا عضوا في عصبة الامم وعرض شكواه على تلك العصبة .

وقد خلف القيصر في جنيف اثرا ممتـازا وراءه ، اذ أبرق من القدس (أورشليم) الى سكرتارية عصبة الامم ، يطالب بأن تواصـــل عصبة الامم جهودها لتأكيد احترام نصوص الميثاق الذى لا يعترف بالغزوات المفاجئة ، أو ضغط سلطة متعجرفة قامت باستخدام القوة المسلحة مخالفة القانون ضاربة بالتعهدات الدولية عرض الحائط . وقد القى خطابا بنفسه في عصبة الامم في ٢٩ من يونيو عام ١٩٣٦ بداه كما يلى :

« انا هيلاسلاسى الاول امبراطور اثيوبيا ، أقف اليوم هنـــا ، لأطالب بالعدالة الدولية ، التى يحمل شـــعبى وزرها ، كما أطالب بالمساعدة الموعودة من خمس وعشرين دولة منذ ثمانية اشهر ، وهى الدول التى قبلت ان تساعدنا ، ذلك لأن خرق المعاهدات الدولية يشكل بداية لعدوان شامل » .

ولكن عصبة الامم تنكرت له ولم تعر قوله اهتماما .

وقد قال (كريستين ساند فورد) فى مؤلفه تاريخ حياة هيلاسلاسى . كانت احداث السنوات التالية لذلك سيئة للغاية ، فقد اعترف أعضاء

عصبة الأمم ، الواحد تلو الآخر ، بضغط من ايطاليا والمانيا اللتين انضمت اليهما النمسا والمجر وسويسرا بسيادة ايطاليا على أثيوبيا .

وقد علق المؤرخ الانجليزى الشهير « ارنولد توينبى » فى كتابه « احياء الشئون الدولية » فى عام ١٩٣٥ على ما حدث قائلا : ان الملحمة التى تحمل بين طياتها مأساة التاريخ الدولى التى سيتناول ذكرها هذا الكتاب انما هى عبارة عن سلسلة من الذنوب والأخطاء ، بحيث اذا ما أردنا أن نضع المشتركين فى اثمها مرتين وفقا لأهميتهم ، فاننا سنجد ان اولئك الذين نصبوا انفسهم لتمثيل الحضارة الغربية وحمل اوائها ، قد قاموا بأكثر الادوار جلبا للحزن ، أما الدور الاول فيهما ، فقد قام به الامبراطور هيلاسلاسى نفسه .

وبعد ما باءت جهود الامبراطور بالفشل فى عصبة الامم ذهب الى المنفى فى انجلترا وانطوت أعماق روحه على خيبة الأمل . وهناك عاش كرجل خاص فى (كينسنجتون) أولا ، ثم فى (باث) ثانيا ، وفى تلك الاثناء لم يكن يتطرق الى فكره انه يستطيع العودة الى بلاده فى يوم أبدا، ولكن سرعان ما ساعدته نتائج الحرب العالمية الثانيــــة على نيل أمنيته : ففى عام ١٩٤٠ وعده) ونستون تشرشل (باعادة تحرير بلاده ، ومكث هيلاسلاسى مدة طويلة فى مصر ، ثم أقام فى الخرطوم وبعد خمسة اعوام من هروبه عاد الى اثيوبيا فى ٥ من مايو عام ١٩٤١ .

وفى « أديس ابابا » توقف موكبه على رأس المحاربين من الوحدات البريطانية والهندية التى زحفت من السودان الى اثيوبيا .

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية استطاع القيصر أن يضـــع مخططه الاصلاحى موضع التنفيذ ، ذلك المخطط الذى لا يســـلم من المعارضة ، ولا يستطيع أحد سوى الاثيوبيين أنفسهم الحكم على مدى صلاحيته ، ولكنهم كما يسمع المرء فى جميع دوائر العاصمة ، يخشون بطش القيصر فى كل مكان ، وهو الرجل صاحب الشخصية المعقدة التى لا يوثق بها . هذا ولا يوجد قطاع من قطاعات الحياة العامة يعمل مستقلا بصورة واقعية قانونية دون تدخل من جانب الامبراطور ، ذلك لأن هيلاسلاسى يحكم بلاده حكما أوتوقراطيا وقد اشار ، « جون جونتر » الى ذلك بقوله « ان اثيوبيا يحكمها رجل واحد مندفع يستخدم كل امكانياته العملية فى الحكم فهو يقبض على أزمة الادارة كما لو كانت بلاده مدرسة للحضانة يقوم هو فيها بدور المدير ! »

قسوة واجتهاد

لا ينكر أحد أن الامبراطور رجل صالح يجهد نفسه لتشكيل حياة مسيحية نموذجية ، فهو يبدأ عمله كل يوم بالصلاة ، ويزور الكنيسة بانتظام ، ملتزما اقامة الأعياد والاحتفالات المسيحية ، ويعتبر الامبراطور مدافعا عن العقيدة الدينية ، والراعى للكنيسة الاثيوبية على اعتبارها جزءا من الحكومة .

وتخضع مرافق الكنيسة لعنايته الخاصة ، ومن المميزات الأخرى لشخصيته التواضع والصبر وقوة الاحتمال .

ويقيم الامبراطور والامبراطورة فى قصر « جونتى ليول » ويقوم على خدمتهما مجموعة مكونة من أكثر من خادم وخادمة . ومن المعروف أن الامبراطور والامبراطورة يعيشان حياة زوجية سعيدة ، وأن الامبراطور اب وجد بار بأبنائه وحفدته ، وأحب الاوقات الى نفسه هى التى يقضيها فى اللعب مع حفدته وحفيداته .

ومن الناحية التربوية تعتبر وسائل تربية الشباب فى نظر الامبراطور الضمان الأكيد لحياة أفضل ، ولذلك فان وسائل الثقافة تتمتع لديه دائما بالأولوية من بين جميع المشروعات التى تخدم رخاء أثيوبيا . ليس ثمة تقدم حقيقى او وصول للرفاهية دون ثقافة ، فالثقافة عنده هى التى تمكن الانسان من تشكيل حياة مشتركة تقوم الاخلاق وتعلم احترام القانون .

وقد اعتاد هيلاسلاسى النهوض مبكرا فى الساعة السادسة ، ويبدأ يومه بتناول كوب من عصير الفاكهة ، ذلك لأنه نصف نباتى ، وبعد اداء الصلاة فى ركن سانت مرقص يذهب لتناول أفطاره مع الامبراطورة . وهذا الافطار يعد الوجبة الرئيسية بالنسبة اليه ، اذ لا يهتم بعد ذلك بالوجبات الأخرى ، ومن التاسعة صباحا يبدأ موظفوه فى الحضور تباعا ، وينجز أعماله فى مكتبه ، حيث يقيم معظم وقت النهار .

وغالبا ما تعقد لديه اجتماعات مجلس البلاط الذى يترأسه الامبراطور نفسه ، ويتكون هذا المجلس من أمراء العائلة الامبراطورية ، وأغلب النبلاء ، وبعض أعضاء مجلس الوزراء . أما وقته بعد الظهر فيحتفظ به للزوار الاجانب أو للنزهات .

ويقوم الامبراطور بنفسه بالتفتيش على المدارس والمستشفيات وغيرها من المرافق ، وله شغف شديد بالاشراف على جميع الشئون فى القصر ، حتى تلك الشئون التى ليست من اختصاصه فى شىء ، هذا ما علمته من بعض المحيطين به .

وفى كل ليلة يعرض شريط سينمائى أمام الامبراطور وله ولع بالقراءة قبل أن يأوى الى فراشه بعد منتصف الليل ، وكثيرا ما يسافر مع افراد عائلته الى أحد منازله الريفية فى عطلة نهاية الاسبوع ، وهو يحب التجديف وركوب الخيل ، ويشارك أحيانا فى الصيد ، وقد ادى للرياضة فى اثيوبيا خدمات جليلة . وهو يحس بالشباب دائما كلما زاول الرياضة ، وقد كتبت كريستينا ساندفورد زوجة احد مستشارى الامبراطور العسكريين لسنوات طويلة ، « أن المرء ليتوق دائما الى أن يتذرع الشعب الاثيوبى بصبر امبراطوره الطويل ، وينسج على منواله فى قوة احتماله الفائقة وجده المستمر وايمانه الثابت ، فهو بقوة عقله وثرائه الفكرى يقف حائلا دون انهيار شعبه . »

العائلة الامبراطورية

فى اديس أبابا يمتلك ابناء الامبراطور فيلاتهم الخاصة بهم ، وقد ولد ولى العهد ووارثه صاحب السمو الامبراطور ميرد ازمات أصفا واصن فى ١٣ من يوليو عام ١٩١٦ وتلقى تعليمه فى أثيوبيا ثم فى انجلترا، وللأمير ابن يدعى الامير « سيرى يعقوب أصفا واصن » ، أما الابن الثانى للامبراطور فهو الامير ماكنونن أمير هرر فقد ولد فى ١٦ من أكتوبر عام ١٩٢٣ وتوفى فى حادث سيارة فى يوم ١٢ من مايو عام ١٩٥٧ مخلفا أبناء خمسة من بينهم ونده الاكبر الامير واصن سيجود ماكنونن الذى عين أميرا لهرر أيضا وهكذا تورثت امارة هرر التى أسسها الجد الاكبر للامير ماكنونن واستمرت فى حوزة جده هيلاسلاسى الاول ثم أبيه الامير ماكنونن .

اما الابن الثالث للامبراطور فهو الامير صاهلى هيلاسلاسى المولود فى ٢٧ من فبراير عام ١٩٣١ وقد تعلم فى كلية ولنجتون ثم فى جامعة كمبردج بانجلترا وتزوج فى عام ١٩٥٩ وزيرت محاسنتى وهى ابنة متبناه للامير ميصفين زيلش ، وأما الابنة الاولى للزوجين الامبراطوريين فهى الابنة الوحيدة التى مازالت على قيد الحياة واسمها تناجس وورك هيلاسلاسى ، وهى مازالت تعيش فى اديس أبابا منذ ثلاث سنوات ؛ وتزوجت قبل الحرب الأسى دامتو الذى كان من اشجع المحاربين فى البلاد حتى قتله الايطاليون عام ١٩٣٧ ، وللامير ولدان وبنات أربع منهم الاميرة دوث ديستا التى اصطحبها مع أمها جدها الامبراطور فى زيارته الرسمية للاتحاد السوفييتى واليابان وبورما والهند .

والاميرة عايدة ديستا الابنة الكبرى للاميرة تجناجنا ورك تزوجت

وزير الاشغال العامة والمواصلات واسمه ديديار مانش مانجاشا سيوم ابن الامير سيوم مانجيردا ، وأنجبا خمسة أطفـــال وقد أنجبت ابنة ولى العهد الاميرة أندياجيهو لجلالة الامبراطور حفيدتين ، كل هذا على حسب ما جاء بدفاتر الميلاد الرسمية .

التمسك بالقانون

انه يكاد يكون من المستحيل فى أديس أبابا أن تحصل بنفسك على صورة مقربة عن الامبراطور هيلاسلاسى ، الذى هو واحد من بقايا الحكام المطلقين فى عالمنا ، ذلك لانه قد بذل جهودا ناجحة بفضل ثقافته الشاملة وتصميمه على الخروج بشعبه من ظلام العصور الوسطى الى حياة تتفق مع مطالب القرن العشرين بالغاء تجارة الرقيق لاول مرة فى عام ١٩٤٤ .

وتتميز أثيوبيا اليـــوم بالتقدم على أســـاس من المدنية والثقافة الغربيتين فى جميع الميادين ، واذا كانت ما تزال حتى اليـــــوم موجات بربرية فى بعض الاقاليم ، فان هذا لا يدعو الى الحديث ضد الامبراطور وذلك لان أعمال الاصلاح فى أثيوبيا ترتكز على الوصول بالشعب جميعه الى حال صالحة ، حتى أولئك الذين يقيمون بعيدا عن العاصمة ، كالحال فى جميع البلدان الافريقية الاخرى .

والمأساة الكبرى لهذا البلد أن معظم النـــابهين الاثيوبيين على وجه التقريب قد قتلوا ابان الحرب الايطالية وفترة الاحتلال ممـــا ترتب عليه نقص فى الشباب النابهين اليوم .

وأمام القصر الامبراطورى أقيم نصب تذكارى أهداه «مارشال تيتو» للامبراطور ، تصور لوحته البرنزية قسوة فترة الاحتـــلال الفاشستى . وقد ظل البوليس السرى يحرس هذا النصب ليلا ونهارا ، حتى لايستطيع أحد من الاجانب تصويره برغم أنه لا توجد صعوبة فى أى بلد افريقى لتصوير الشوارع بما فيها من مناظر مؤذية . أما فى أثيوبيا فعلى العكس الى حد أن المرء يخشى على الدوام انتزاع آلة التصوير منه وهو ما يحدث غالبا . والواضح أن القيصر ليس مسرورا من هـــذه الهدية ، اذ أنه فى ذاته ليس شعبيا ، بل ان جهوده للانصاف والعدل تعد دليلا على ذلك ، ففى أثيوبيا وأرتريا التى ما زالت خاضعة لاثيوبيـــا ما زال يعيش حتى اليوم آلاف الايطاليين ، ولا يبدو أن حالهـــم تسير أحسن أو أسوأ من الاجانب الآخرين .

وعندما عادت قوات الحلفاء الى أثيوبيا فى ١٩ من يناير عام ١٩٤١

لتحرير البلاد ، أذيع اعلان امبراطورى جاء فيه : « اننى أوافقكم على أن جميع الايطاليين الذين وقعوا أسرى فى الحرب الاثيوبية الايطالية ســواء منهـــم المسلحون أو العزل يجب أن يعاملوا معـــاملة العطف والمحبة ، فلا يساوركم أى شعور بالظلم نحوهم ، أنهم كانوا البادئين بالعدوان على شعبنا ، ولكن لتظهروا أن جنودكم شرفاء وذوو قلوب انسانية ، ستكون المعاملة بحسب ما قلنا ·

هذا ، وقد أثار الامبراطور النقـــد المؤثر فى الداخـل والخـارج اذ يطالب على الاقل بالديمقراطية طبقا للنظام الانجليزى ، برغم أن هذا النظام ما زال يعد حتى الآن عنصرا غريبا على افريقية وبرغم أنه لا يبدو أيضا أن الافريقيين يسيرون ببطء فى طريق النظم الديمقراطية ·

ومهما يكن من الامر فان اثنين من الاباطرة الاشداء لا يستطيعان بحال أن يصنعا معـــــا ما صنعه هيلاسلاسى الاول فى السنوات العشر القليلة فى ادارة دولاب عمله ادارة محكمة ·

وثمة أشياء تنطوى على معنى عميق ، وثمة أشـــياء أخرى لا تعنى شيئا ما من مظاهر الحياة التى شاهدتها ·

فقد رأيت فى أحد الايام فى أديس أبابا بالمستشفى الذى يحمـل اسم الامبراطور سيدة على وشك الوضـع جالسة على السلم الخارجى ، وبرغم آلام الوضع فان المستشفى لم يسمح لها بالدخول لان ذويهـــــا لا يملكون نقودا ، فحدث اضطراب وقلق ، وتصادف مرور الامبراطور فى تلك اللحظة ، فوقف مستمعا مستفسرا وكنت الاوربى الوحيد فى هـذه الضاحية، وكان مكانيعلى الجانب الآخر من الشارع وما أنرآنى الامبراطور حتى نظر نحوى نظرة تنم عن عدم الرضا لوجودى ، ذلك لصرامة قوانينه التى ينفذها فى تعصب دون استثناء ، وبرغم أنه تردد فى اصدار الامر بسبب وجودى فانه سرعان ما أصدره قائلا : « اذا لم تستطع المرأة الدفع فينبغى ألا تقبل بالمستشفى » ·

سرت مبتعدا عن هذا المشهد وأنا أمعن فى التفكير مقابلا بين مارأيت وبين زيارتى لفرقة الشرف والاسود التى تقيم الى جوار المستشفى والتى كثيرا ما تزعج أغلب المرضى بزئيرها ، وانحرفت فى سيرى نحو شارع عريض يسير بمحاذاة وسط المدينة ·

وبينما أنا فى طريقى اذ بعربة تقف فجأة الى جوارى ، يغـــادرها ضابط تقدم الى سائلا : هل يستطيع مصاحبتى لمسافة ما ، وما ان ركبت معه حتى بدأ الحديث فورا قائلا : انك ياسيدى الشاهد الوحيد لماحدث ، وربما يذهب بك الظن الآن الى أن الامبراطور « امبراطور غاشم » أو أنه

طاغية لا أخلاق له . فقلت : « انى لا أملك الحكم على ذلك » فعقب على قولى فى تودد بقوله : « يجب أن تفهم الامبراطور انه يشـعر بالحب لكل أثيوبى ، ولكن عندما لا يكون حازما فى تصرفه فان الفوضى والاضطراب يعودان الى ما كانا عليه قبل عهد امبراطورنا الكبير .

والواقع أن الضابط كان محقا ، فقد كانت الاحوال تجرى متعثرة مؤلمة لا بالنسبة لامرأة على وشك الوضع وانمـــا بالنسبة للاطبـــاء وللامبراطور نفسه .

فقد شـــيد مستشفى « سانت باول » الذى خصصه الامبراطور للمرضى الذين يعثر عليهم فى الشوارع لمعالجتهم على حسابه الخاص ، وليس كما هو الحال فى مستشفى هيلاسلاسى الاول ، كما قال لى الطبيب الالمانى دكتور أتو الذى يعمل طبيبا به .

صديق للغرب والشرق

لقد ظلت أثيوبيا البلد الوحيد المستقل فى افريقية طيلة ثلاثة آلاف سنة وانها لمعجزة على قدر فهـــم هيلاســـلاسى الاول ، أن تنشىء بلاده علاقات ودية فى سياستها الخارجية تقوم على أساس من اقتناعه بأهمية التعـــايش السلمى بين الشرق والغرب ، وأثيوبيا كمـــا نعرف دولة امبراطورية يحكمها حاكم مطلق ، وهى أيضا أعرق بلد مسيحى ، ولكنها على الرغم من ذلك ، تعد من البلاد التى تخضع فى بنائها للغرب .

هذا وقد استطاع الامبراطور انتهاج سياسة فعـــالة فى مؤتمر الشعوب الافريقية الآسيوية الذى عقد فى باندونج عام ١٩٥٥ وكذا فى مؤتمر أكرا عام ١٩٥٨ فى أثناء اجتمـــاع ممثلى الدول الافريقية حيث وضع الاساس المتين للتضامن الأفرو آسيوى .

وعلاقة هيلاسلاسى الودية بيوغوسلافيا الشيوعية معروفة ، فقد زار مارشال تيتو أثيوبيا مرتين ، واستقبل فيهـــا كأى حاكم ، كمـــا حل الامبراطور ضيفا على مارشال تيتو فى يوغوسلافيا ثلاث مرات ، وهذا ممـــا يؤكد أن الامبراطور المسيحى قد أقام عـــلاقات قوية مع الكتلة الشرقية ، بل ومع الاتحاد السوفيتى نفسه ، وعندما تحـدثت مع وزير أثيوبى فى هـــذا الشأن قال لى : هل يمكن المرء أن ينكر أن ثلث البشر يحكمون حكما شيوعيا ويعيشون كشيوعيين ؟ .

وخلال الفترة من ٢٤ من يونيو حتى ٢٤ من أغسطس من عــــام ١٩٥٩ ، قام الامبراطور هيلاسلاسى الاول برحلة بالجمهـــورية العربية

المتحدة ،والاتحاد السوفيتي وتشيكوسلوفاكيا ، وبلجيكا ، وفرنسا ، والبرتغال ويوغوسلافيا ، وعند عـــودته قدم لشعبه تقريرا دقيقا عن السياسة الداخلية والخـــارجية ، هـــذا التقرير الذى يعد واحدا من الشهادات الشخصية الهامة للامبراطور الاثيوبى منذ نهاية الحرب ، وفيما يلى نورد مقتطفات من هذا التقرير ٠

أثيوبيا والجمهورية العربية المتحدة

ان ما يخشاه الامبراطور هيلاسلاسى غالبا هو النفوذ المتزايد للبلاد الاسلامية التى تحيط ببلاده ، ففى عام ١٩٥٧ اتهمت الحكومة الاثيوبية حكومة ناصر بخلق الاضـــطراب فى أثيوبيـــا بغية تحطيم الكنيسة الامبراطورية المسيحية ، وأخيرا تراضى الرئيس ناصر والامبراطور ، وقد جاء بتقريره فى هذا الصدد ما ملخصه :

منذ بداية رحلتنا فى الجمهورية العـــربية المتحدة أيقظ الاستقبال الودى الحار وتعبير الصداقة المفعم بالتقدير الذى قابلنا به الرئيس جمال عبد الناصر وممثلو الحكومة وشعب البلاد حيثما ذهبنا واتجهنا ، أيقظ هذا كله شعورا بالغبطة والرضا الكبيرين ، وكما تعلمون أن العلاقات بين أثيوبيا والجمهورية العربية المتحدة قد بدأت قبل آلاف السنين، فقد ارتبط كل من البلدين بالاضافة الى الجيرة ، برباط الأهداف والمثل المشتركة ٠ كما يربطهما برباط قوى النيل الأزرق الكبير ، وكان من أهم أهـــداف زيارتنا عقد المعاهدة الناجحة لتوطيد العلاقات بين كنيستينا ، واننا لنشعر بسعادة أكبر لوصولنا الى تحقيق هذا الهدف ٠

علاقات ودية مع الاتحاد السوفيتى

ان الدعاية الشيوعية فى أثيوبيا نشيطة جدا ، فلقد أنشأ ستالين مستشفى ومركز استعلامات روسيين ، والآن سافر الامبراطور المسيحى الى موسكو بنفسه وقال :

اننا سعداء لتمكننا من زيارة هذا البلد العظيم الذى تحتفظ أثيوبيا معه بعلاقات ودية منـــذ وقت طويل ، هذا البلد الذى كان أحد أبطاله المشهورين بطرس الأكبر من نسل ابراهام هنيبال الذى من حفدته الشاعر الأكبر الاسكندر بوشكين ؛ فقد كانوا جميعا من أصل أثيوبى ٠

هذا بالاضافة الى المساعدة الطيبة التى قدمهـــا الاتحاد السوفيتى

لأثيوبيا فى أثناء معركة « عدوة » فضلا عن المساعدات التى قدمها الصليب الأحمر فى أثناء الغزو الفاشستى .

كما أيد الاتحاد السوفيتي وجهة نظرنا فى حرية بلدنا فى عصبة الأمم ، وكان من الدول الكبرى القليلة التى لم تعترف بالاحتلال العدوانى الفاشستى لبلادنا ، وقد وصلنا الى اتفاق تام فى محادثاتنا بشأن السلام العالمى التى أجريناها مع زعماء الاتحاد السوفيتى ، والتى تهم بلدينا على وجه الخصوص .

وكان من نتائج مباحثاتنا أيضا توقيع اتفاقيات للتعاون الاقتصادى وتوسيع العلاقات الثقافية والتجارية بين كل من بلدينا .

وعلاوة على ما تقدم ، أثلج صدورنا حصولنا على قرض طويل الأجل مقداره أربعمائه مليون روبل باقل فائدة وذلك لتمويل مشروع السنوات الخمس الاثيوبى ، هذا عدا المشروعات الأخرى التى تطور اقتصادنا وترفع من مستوى معيشة شعبنا ، ان أثيوبيا لديها مصادر عظيمة من المواد الخام ، ولكن نظرا لنقص رأس المال ، فانه ليس فى الامكان استغلال هذه المصادر الطبيعية ، ولذا فقد عقدنا قروضا مع البلدان الصديقة كالولايات المتحدة ، ويوغوسلافيا وجمهورية ألمانيا الاتحادية ، وتشيكوسلوفاكيا ، لتنفيذ مشروع السنوات الخمس واستغلال ثرواتنا الطبيعية وتطوير اقتصادنا من أجل رفاهية شعبنا .

صديقنا الكبير مارشال تيتو

لقد قامت العلاقات بين أثيوبيا وتشيكوسلوفاكيا منذ أمد بعيد ، كما استطاعت أثيوبيا أن تحصل من هذه الدولة الصديقة على أغلب أسلحتها وذخائرها التى استخدمتها فى الدفاع عن استقلالها ضد العدوان الفاشستى ، وكانت تشيكوسلوفاكيا من الدول القليلة التى رفعت صوتها بشجاعة ضد الغزو الفاشستى مؤيدة مطالبنا فى عصبة الامم .

كما أننا فى الفترة الاولى لما بعد الحرب اتجهنا الى تشيكوسلوفاكيا عندما أصبحت وسائلنا الدفاعية محدودة لشراء الأسلحة الحديثة منها وبناء مصانع للذخيرة بمعونتها .

وتعلمون جميعا بالقرض الذى حصلت عليه حكومتنا من تشيكوسلوفاكيا ، لتجهيز مستشفياتنا والمؤسسات الصحية العامة فى بلادنا .

هذا وقد برهن الاستقبال الودى الحار الذى قابلنا به زعماء هـذه الدولة الصديقة وشعبها ، على أن العلاقات بين كلتا الدولتين تقوم على أساس من الصداقة المتينة التى يسودها الاحترام المتبادل ، وقد توصلنا الى عقد اتفاقيات للمعونة الاقتصادية والفنية ، فضلا على معاهدة ثقافية ، هذه الاتفاقيات التى ستساعدنا على تحقيق مشروعاتنا الاقتصادية ٠

هـــذا واستكمالا لرحلتنا فى البـلاد الصـديقة زرنا الجمهورية اليوغسلافية بناء على دعوة صديقنا الكبير مارشال تيتو ، وتعلمون أننا قد زرنا يوغوسلافيا مرتين خلال خمس سنوات كما زار مارشال تيتو بلادنا مرتين فى المدة نفسها ، وهذا دليل على الرباط الودى المتين بين كلا البلدين ٠

ولم تكتف يوغسلافيا بأن تقدم لاثيوبيا قرضا لتحقيق البرنامج الذى يهدف بعد تنفيذه الى تطويرها اقتصاديا فحسب ، بل انها زادت من نطاق معونتها ، فبعثت بخبراء فى ميادين الطب والشئون الفنيـة الأخرى ٠

وقد أثمرت هذه المعونات نتائج طيبة عادت على كلا البلدين بالخير ٠

هذا وعلى الرغم من اختلاف النظام السياسى والاقتصادى فى كل منهما ، فان هذا الاختلاف لم يكن ليحول دون التفاهم والتعاون المتبادلين بروح ملؤها الود والصداقة ٠

التعايش السلمى ورفع مستوى المعيشة

وتعلمون جميعا ان أسس السياسة الخارجية الاثيوبية هى أسس ميثاق الأمم المتحدة وقرارات كل من باندونج وأكرا ، هذه الأسس التى طالما صممنا على التمسك بها ، والتى تنحصر فى التعايش السلمى وعـدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول الاخرى واحترام سيادة هذه الدول ، وعدم الاعتداء عليها والحل السلمى لجميع المنازعات ٠

هـذا ، ومهما بلغت قيمة المقتطفات التى اقتطفتها من التقـرير الدقيق « الحسابى » للامبراطور هيلاسلاسى الاول فانهـــا جميعا تعـد وثيقة نموذجية تبين صورة للفاعلية التشريعية المطلقة فى القرن العشرين٠

وأخيرا ترأس الامبراطور مؤتمر وزراء خارجية ثلاثين دولة افريقية وذلك فى يونيو من عام ١٩٦٠ حيث أوضح سياسة أمته بازاء البلدان الافريقية الصديقة ٠

مشاركة الدول الصغيرة

فى اثيوبيا اليوم جيل جديد ينمو فى تدرج مطرد ، هذا هو الجيل الذى يفكر فى مطالب العصر ، فقد قرأت فى جريدة « الهيرالد الاثيوبية » الصادرة فى أديس أبابا مقالا افتتاحيا يحتوى على العبارات الآتية :

« لا يميل الافريقيون الى العمل بصفة عامة ، وكل من يشغل منهم مركزا له مسئوليته لا يعمل فى نطاق ما تستلزمه هذه المسئولية ، ويقال : ان هذا نتيجة واضحة للظروف المنـــاخية فى بلادهم لان معظم أجزاء القارة حار ، وهو الوضع الطبيعى الذى يحول دون العمل المتصـــل ولكن هذا القول لا يمكن تصديقه اذ نجد سكان الأقاليم الأخرى ذات الظروف المناخية المشابهة يعملون بجد أكثر من الافريقيين ٠

وهذه من غير شك اشارة طيبة تدعو سكان افريقية الى أن يحسم كثير من زعماء دولها موقفهم من عدو افريقية رقم واحد ، وكذا عــدو اثيوبيا قطعا ٠

ويختتم الكاتب عباراته بكلمة للامبراطور هيلاسلاسى الاول ، ألقاها فى أثناء زيارته للولايات المتحدة الامريكية أمام لجنة الشئون الخارجية ، قال فيها :

« ان السياسة الخارجية هى أساس وجود الدول الصغيرة ، هذا الوجود الذى لا يمكن الدفاع عنه بالأسلحة ، وأنا أعتقد أنه يجب على كل دولة صغيرة أن تختار فى نهاية المطاف طريق التعقل ان أرادت هى دوام وجودها ، ومن المألوف اليوم أن نجد أغلب الناس يتساءلون : هل هناك أمل للدول الصغيرة فى الاستمرار فى الحياة الحرة الكريمة ؟ والواقع أن مشاعرنا المتفائلة بالاضافة الى الظروف الحالية تجعل من الصعب على هذه الدول الصغيرة النضال فى سبيل البقاء ، ولذلك فاننا نعتقد أن من الضرورى الاحتفاظ بالدول الصغيرة ومساندتها للبقاء على قيد الحياة لكى تساهم فى اقرار دعائم السلام العالمى ، لان هذه الدول الصغيرة تمثـل عنصر الصبر فى سبيل التفاهم ، ذلك العنصر الذى ينقص عالم اليوم ، أما المساعدات الخارجية والتعاون مع الدول الأخرى فانها ذات ضرورة ملحة بالنسبة لهذه الدول الصغيرة » ٠

وهكذا أصبح مكان المعركة فى صميم القوميات المختلفة معروفا ، كما أصبح موضوعها وهو كيف يسير المرء مسالما مع الآخرين واضحا ، وهذه هى الحال مع اثيوبيا فى علاقاتها مع جميع الدول ٠

هذا ، ومن الدول التى قمنا بزيارتها فى أثناء رحلتنا القصيرة دول

تتبع نظاما اقتصاديا وسياسيا مغايرا ، ونعتقد أن النظام المعين لكل دولة يتوقف على خدمة الاحتياجات الخاصة بها ، ويتشكل على حسب الظروف الداخلية لكل منها ، ولذلك فاننا نعتقد أن التعارض بين الأنظمة السياسية والاقتصادية ، لا يمكن أن يشكل عقبة فى سبيل تفاهم الدول وتضامنها ، وكذلك تعاونها فى المشاكل الهامة من أجل تحقيق المصلحة العامة .

وقد كانت أهم أهداف رحلتنا أن نجد السبل والوسائل لرفع مستوى معيشة شعبنا ، وتطوير بلادنا اقتصاديا ، فقد وصلت البلدان الأخرى الى المستوى المعيشى المرتفع الحالى بازدياد خبراتها منذ وقت طويل، ونحن نرغب فى أن يستطيع شعبنا التوصل الى هذا المستوى فى أقصر فترة ممكنة ، وان هذه المرحلة التى بلغناها فى جيل واحد ليست الا نتيجة للعمل الشاق والشجاعة والتضحية من أجل أجيال متعاقبة .

ومن المهم بالنسبة لنا أن نعرج على التاريخ الحضارى لأن جهودنا المتواصلة فى سبيل تيسير جميع الحاجات المادية لكل الاثيوبيين تهدف الى ارضاء جميع أفراد شعبنا .

ولذلك فانه يجب أن يدعم الاثيوبيون نشاطهم وأن يتركوا الكسل جانبا وأن يطوروا طموحهم المستمر نحو المستويات الحسنة، حتى يستطيعوا رفع مستواهم المعيشى بالقياس مع الشعوب الأخرى فى أجزاء العالم المختلفة ولكن فى قناعة من أجل الآخرين .

فى هذا المجال نود أن نذكر شعبنا بما جاء على لسان باولوس حيث يقول :

« سيطول الليل ، ولكنه مهما طال يعقبه النهار ولذا يجب أن نكبح جماح أنفسنا الغاضبة ونحطم أسلحة الليل ، لنجد الأمان فى وضح النهار . ولقد لاحظنا فى أثناء دراستنا للنظم الاجتماعية المختلفة خلال رحلتنا أن أساس نجاحها يتركز فى وجود رأس المال الذى يمكنها من تنفيذ مشروعاتها الزراعية الطيبة ومشروعات المناجم التى تخدم صناعتها ، والتخطيط الناجح للافادة من مياه أنهارها ، وكذلك استغلال مصادرها الطبيعية .

وقد بلغت بلاد كثيرة درجة عالية من التقدم وذلك لا يرجع الى وفرة ثرواتها الطبيعية فحسب ، وانما يرجع الى نشاطها فى العمل والمثابرة وتعدد مستويات تفكيرها على نقيض تلك الدول التى تقاعست عن استغلال ثرواتها الطبيعية واستغلالها وتطوير طاقاتها ، مما دعا الى وصفها بالدول المتخلفة .

محمد الخامس
ملك بين الاقطاع والديموقراطية

ان سياستنا تحمل فى طياتها وضعنا الجغرافى ، كما تحمل واقعنا الاجتماعى والاقتصادى ، ونحن شعب يحب السلام ، لذا نرى أننا ملزمون بالمحافظة عليه بل وملزمون بالتعاون مع جميع الامم مهما كانت اتجاهاتها الايدلوجية ، ونحن كشعب عربى ، يحتضن كل ما يهم العالم العـربى والاسلامى ، كما أننا كشعب افريقى تهمنا أيضا جميع الظروف المحيطة بالشعوب الافريقية الأخرى ولسوف نعمل على تحريرها ٠

محمد الخامس

من خطاب العرش عام ١٩٦٠

يتحتم على من يقيم فى مراكش أن يحاول مهما كانت الظروف أن يكون فى مدينة الرباط فى ضحى أحد أيام الجمعة ، دون توان منه فى بذل الجهد للوصول الى ساحل البحر ، حيث قصر الملك ، وذلك لأنه يغادر القصر ظهر كل جمعة تحوطه حاشية مسترعية للأنظار ممتطيا صـــهوة جواده متوجها الى أحد المساجد الصغيرة للصلاة ، عائدا بعد أدائهـــا الى القصر ٠

انه لموكب رائع حقا : فالملك محمد الخامس على صهوة جواده مظهر مهيب يحيط به نبلاؤه فى الموكب وعلى جانبيه حراس من الزنوج يرتدون زيا رسميا صارخ الاحمرار ولا يقتصر الأمر على الموكب وحده ، بل ان مايبدو من الشعب حين يظهر لمبايعة الملك ورؤية الشحاذين يرتمون على قدمى الملك طالبين الاحسان والموظفين والسيدات والأطفال يحيونه فى صمت أو يهتفون له ليدل على مكانته ٠

وآلات التصوير تعمل ، وآلات السينما تقوم بتسجيل موكب السلطان الذى يستغرق زمنا غير محدود ، والذى يتمثل فيه مظاهر الأبهة الشرقية القديمة ، فيحس المشاهد وكأنه أمام تمثيلية لا توقيت لها .

والملك محمد الخامس على حق فى الذهاب هذا المذهب ففى دماء شعبه تجرى طريقة تقديم الولاء اليه على هذه الصورة ، ويبدو واضحا ضرورة انقضاء زمن طويل ، حتى تتخلص مراكش من التيارات الاقطاعية الظاهرة المعالم لأنه مازال هناك الكثير من الظواهر التى تبعث فى النفس هذا الشعور : فعندما أراد الجلاوى باشا مراكش الراحل الاعتذار للملك العائد من المنفى بتقديم ندمه بسبب تعاونه مع الفرنسيين ألقى الرجل المسن الوقور بنفسه عند قدمى الأمير الشاب وقبلها ، وعندما يظهر ذوو الحاجات يفعلون الشىء نفسه ، فيتقدمون اليه ساجدين ، لامسين قدمى الملك وأمير المؤمنين بشفاههم .

وغالبا ما يظهر الملك محمد الخامس أمام شعبه فى مراكش بالجلباب والحذاء المراكشى ، أما عندما يقابل الأجانب فانه يبدو على النقيض اذ يرتدى الملابس الغربية ويصبح مظهره كملك اسكندنافى ، أو كرئيس للولايات المتحدة الأمريكية أو غيرها ، وتنقلنا هذه الملاحظة الى الاعتراف بأن « محمد الخامس » كملك يمثل القنطرة الموصلة بين مراكش القديمة وبين مراكش الحديثة . فقد خلع عن نفسه « لقب السلطان » لأنه يرتبط بصورة الحكام الأوتوقراطيين ، وكان من الواجب ابعـــاد هذه الصـــورة الأوتوقراطية عن نفسه ، وتلقب بالملك وذلك فى عام ١٩٥٧ لكى يبـــدو ملكا شأنه فى هذا شأن ملوك الديموقراطيات الأوروبية .

مملكة مستقلة منذ ١١٠٠ عام

تعتبر مراكش مملكة مستقلة منذ القرن الثامن ، ففى ذلك الوقت البعيد وضعت بعض القبائل المراكشية نفسها تحت سلطة أحد قـــواد الجيوش العربية ، ويدعى ادريس الأول ، وينتسب الى ابن مسحرون الذى عقد نسبه الى النبى محمد عليه السلام (ولد سنة ٥٧٠ م فى مكة وتوفى فى المدينة) وكانت الأسر الحاكمة الأخيرة من أصل مراكشى فمنذ سنة ١٠٥٣ حتى سنة ١١٤٧ حكم المرابطون البلاد ، ومنذ عام ١١٤٧ حتى عام ١٢٦٩ حكم الموحدون ، وكلتا الدولتين تنتسب الى البربر ، وقد امتد سلطانهما حتى اسبانيا ، ومنذ عام ١٢٦٩ حتى عام ١٤٥٦ حكم الميرنديون، وتلاهم الأشراف الاساعدة النازحون من الصحراء منذ عام ١٥٤٩ حتى عام ١٦٥٤ .

وفى عام ١٦٦٦ ابتدأ فرع منهم يعـــرف باســـم الاينطيين ، حكم البلاد وهو الفرع الذى أسس البيت المالك الحالى ، وهؤلاء الأينطيون يعود نسبهم الى أشراف تافيلاليت ، الذين كانوا مزيجا من الصالحين والطالحين، وقد بدأ مولاى اسماعيل (١٦٧٢ - ١٧٢٧) أولى العلاقات الدبلوماسية مع فرنسا ، وعقد مولاى محمد بن عبد الله أولى المعاهدات التجارية مع الدول الأوروبية ، واتخذت المعاهدة المعقودة مع فرنسا فى عام ١٧٧٦ كأساس محترم لمعاهدات فرنسا التجارية مع دول شمالى افريقية .

وعلى الرغم من الرغبات البعيدة المدى للاصلاح ، فقد تحكمت حتى القرن التاسع عشر فى مراكش ظروف سيئة اذ كانت البلاد منقسمة الى نصفين مختلفين اختلافا كليا : أحدهما تتحكم فيه الادارة الحازمة ، والآخر يعيش فى فوضى ، ولا يخضع لاشراف السلطة العليا فى البلاد ، مما دفع بالمراكشيين أنفسهم الى طلب المساعدات الخارجية فعقد فى عام ١٩٠٦ مؤتمر الجسيراس الدولى ، وفيه وعد مراكش بالمساعدة المالية والتأييـــد الحربى من الخارج ، لكن ذلك لم يكن ذا أثر فعال ، فاستنجد السلطان مولاى حافظ « بفرنسا واسبانيا ، وانتهى الأمر بأن أصبحت مراكش منذ عام ١٩١٢ محمية فرنسية اسبانية فى علاقاتها مع الخارج . ويدعى والد الملك الحاكم « محمد الخامس » مولاى السلطان يوسف بن حسن الذى تربع على العرش من عام ١٩١٢ حتى وفاته فى السابع عشر من نوفمبر عام ١٩٢٧ ، تاركا وراءه عددا من الأبناء .

وعند اجتماع مجلس علماء فاس ، قرر من وراء الأبواب المغلقة ، اختيار ابن مولاى يوسف الشاب اليافع محمد ، البالغ من العمر ثمانية عشر عاما أميرا جديدا ، وكان ترتيبه الحاكم الثامن عشر من بيت الاينطيين

و « محمد » هذا هو الابن الثالث للسلطان ، ولم يكن معينا ليتولى الحكم ، ولكن قرار العلماء باختياره يؤكد معلوماتنا الوثيقة التى تتركز فى أن الفرنسيين هم الذين أرادوا ذلك لأن الأبناء الكبار كانوا من الوطنيين أما هذا فلم يكن لديه آنئذ مطامع معينة .

ولد « السيد محمـــد الخامس » بن مولاى « يوسف الأينطى » فى عام ١٩٠٩ بمدينة الأمراء القديمة فاس وقد تعلم العربية وتلقى تربيـــة اسلامية أصيلة ولم يتعلم الفرنسية قراءة وكتابة الا فى فترة متأخرة ، ويبدو أن الملك «محمد الخامس» كان يرى أن تربيته ليست تربية متناسبة مع مسئوليات الحكم ، وخاصة أنها لم تكن تنمو نموا كافيا ولهذا فقد عمل على تعليم وتثقيف أولاده ثقافة عميقة متعددة الجوانب بالاضافة الى العربية الاسلامية التى تتركز عليها تقاليدهم وأخلاقهم .

ولمولاى « محمد الخامس » زوجتـــان لم تظهرا فى المجتمعات قط ،

وليست لهما أية صورة مرسومة ، وكذلك لم يفصح عن أسميهما أو تاريخ ميلاديهما ، هذا بالاضافة الى عدد غير قليل من المحظيات يتردد بين عشرين وأربعين وحتى الآن لم ينشر القصر الا تواريخ ميلاد الاطفال الستة لكلتا الزوجتين الشرعيتين وهم : « مولاى الحسن » الملك الحالى ولد فى ٩ من يونيو عام١٩٢٩ · وأخوه «مولاى عبد الله» ولد فى ٣ من مايو عام ١٩٣٥ ، أما عن الأميرات الأربع فلا يعرف سوى أسمائهن لالا عائشة ، لالا مليكة ، لالا نزهة ، ولالا أمينة التى ولدت فى المنفى ولا يعلم أحد شيئا عن زوجتى الملك اذ أن ذلك يعد من المسائل الشخصية الخالصة ولكنا مع هذا نرى أبناءه يرتدون الملابس الافرنجية ، أما البنات فانهن ــ وان لم يكن ذلك دائما ــ يظهرن كثيرا بالملابس الافرنجية أيضـا · هـذا وقد انضممن الى الحركة النسائية التقدمية وشاركن فى كثير من المشروعات الاجتماعية الأمر الذى يعد من ملامح التغير الملحوظ فى البيت الملكى المراكشى ·

ومما يؤخذ على الملك أحيانا سيره البطىء ببلاده فى طريق المدنية ، ولكن المرء على غير بينة من الاصلاحات التى قام بها فى بلاده ، والتى ذللت الكثير من العقبات ، ولو أن أنصار الاقطاع يعتبرونه ممثل الاســـلام والتقاليد ، ولذا يعد محمد الخامس رجلا جمع بين عصرين ، على حين أصبح الأمراء أكثر يسرا بالنسبة لابنه الملك الحالى « مولاى الحسن الثانى » ، ولقد ساهم الملك محمد الخامس فى احياء افريقيا الجديدة المعتمدة على نفسها والمستقلة عن أوروبا ·

ومهما يكن من شىء فان مراكش اليوم فى قبضة رجل موفق يحدد عمله ايمانه الحماسى الذى أبعده عن الطغيان فالدين والايمان هما المحرك الحقيقى للملك ، ولذا يطلق عليه بحق « ملك مراكش الصالح » الذى يشكره شعبه كما يشكره العالم أجمع شكرا جزيلا ·

فى طريق الاستقلال

جرى كثير من اعمـال الاصـلاح فى شتى الميـادين بمراكش التى مساحتها ٤٤٧ر٠٠٠ كم٢ على أساس معاهدة الحماية المعقودة فى عام ١٩١٢ ، وليس من شك فى أن أكثر هذه الأعمال الاصلاحية والتجديدات، بدأت بقوانين كثيرة لتنظيم البلاد وضبطها ويرجع الفضل فى ادخال الصناعة الى الفرنسيين بالاضافة الى تعريف مميزات الانظمة الاقتصاديةوالتجارية ونظم الادارة الحديثة ، وقد تطـورت جميع أفرع النشاط الاسـتعمارى وازدهرت المدن فى الوقت نفسه : فمدينة الدار البيضاء مثلا كان تعداد سكانها لا يتجاوز ٨٢ر٥٠٠ نسمة فى عام ١٩١٧ فأصبح تعدادها اليوم

سبعمائة ألف نسمة ، أما الرباط العاصمة ، فقد تضاعف عدد سكانها خلال السنوات العشرين الأخيرة فأصبح يزيد على مائتى ألف نسمة ، كما ازداد عـــدد ســـكان مراكش بصفة عامة نتيجة تطبيق عـــلوم الصحة والارشادات الطبية الغربية ، وأصبح عدد سكانها اليوم عشرة ملايين أو يزيد .

وقد تضمنت معاهدة الحماية الموقعة فى عام ١٩١٢ شرطين أساسيين أولهما الاحتلال العسكرى · والآخر : ضمان سلطة الأمير وحكومته ، لتأمين الاستقرار والنظام فى جميع أنحاء البلاد ، هذا ويعتبر محمد الخامس أول سلطان فى مراكش امتدت سلطاته حتى شملت جميع القبائل المراكشية ·

وقد عاشت البلاد على أساس من جهود التوفيق الشخصية للملك محمد الخامس ، فكان السلام الدائم حتى الحرب العالمية الثانية حيث كان الذى يحكم فعليا هم الفرنسيين وكان على الملك محمد الخامس أن يوقع بامضائه الى جانب امضاء المقيم العام ، ولكن الذى حدث فى الثلاثين عاما الأخيرة هو يقظة افريقية كلها وظهور حركات المطالبة بالاستقلال ، وأخيرا جاء وعد المستعمرين فى أثناء الحرب العالمية الثانية باستقلال جميع البلاد وحصولها على الحرية ، اذا ما وقفت الى جانب الحلفاء وكانت هذه الوعود موجهة الى مراكش أيضا ·

شب ونما جيل جديد ، وأصبح كثير من الشباب عارفا باللغة العربية قراءة وكتابة ، وكذلك الفرنسية والانجليزية ، وبدأ سفر الشباب الى خارج البلاد والدراسة فى المعاهد الأوروبية حيث عرف عن الحرية أكثر مما يقع تحت بصره فى وطنه مما عاد بقليل من النفع على بعض المراكشيين الذين يتعاملون مع الفرنسيين الذين استقروا فى البلاد كتجار مستوطنين يستغلون البلاد لحسابهم الخاص ·

والسؤال الذى يتبادر الى الذهن : هل استمر استغلال الأجنبى للبلاد على حساب أبنائها ؟

لقد حدث أثناء الحرب العالمية الثانية أنكان الملك يعطف علىمرشال بيتان ، ولكنه ما لبث بعد ذلك أن وقف الى جانب فرنسا الحرة بقيــادة شارل ديجول وبموقفه هذا يكون قد انضم الى جانب الحلفاء ، وحــدث أيضا انه قبــل حلول قوات الحلفاء المقـــاتلة ، ان حاولت حكومة فيشى الفرنسية تحت ضغط ألمانيا تطبيق قوانين نورمبرج ضـــد اليهود فى مراكش · الا أن الملك « محمد الخامس » رفض الخضوع لحكومة فيشىفى تطبيق هذه القوانين وأعلن أن اليهود والمسلمين فى مراكش يتساوونأمام القانون ·

وفى عام ١٩٤٤ عقد مؤتمر الدار البيضاء « كازابلانكا » حيث ظهر فيه ونستون تشرشل وفرانكلين روزفلت الذى سرعان ما توطدت أواصر الصداقة بينه وبين محمد الخامس ، فأظهر روزفلت فهما خاصا لمشكلة مراكش مبديا استعداده لتخليصها من معاهدة الحماية ، وقد علق محمد الخامس وشعبه آمالا كبارا على أمريكا ورئيسها واعتبروا وفاة روزفلت خسارة فادحة لهم .

ومما له معنى خاص وتجدر الاشارة اليه ، أن المعلق الامريكى «جون جونتر » حينما سأل الجنرال الفرنسى جوليون عن السبب الذى دفع « محمد الخامس » للثورة ضد الفرنسيين أخيرا أجابه قائلا : انه الرئيس « روزفلت » وقد أضاف جونتر معلقا : « ان جوليون لم يكن يقصد هذا فى جدية تامة ، ولكن برغم هذا القول ، فان هذه الاجابة المفجعة هى خير تعبير عن حقيقة ما يجرى ، فعندما اجتمع محمد الخامس بالرئيس روزفلت لم يكن ثمة أى مستشار فرنسى فى اجتماعهما ، وهذه أول مرة تحدث دون حضور مستشار فرنسى فى اجتماع الملك مع ممثل دولة أجنبية . ولذا يعد هذا الاجتماع حجر الزاوية فى تطور الاتجاه السياسى لجلالته .

وفى عام ١٩٤١ أعلن ميثاق الاطلنطى الذى أكد لجميع الشعوب حرية اختيار شكل حكوماتها ، وفى يونيو من عام١٩٤٥أنشئت هيئة الامم المتحدة وهى التى وعدت بحماية حقوق الانسان فى جميع انحاء العالم . وبرغم هذا فقد كان أمل مراكش فى الاستقلال أضغاث أحلام ..

وفى عام ١٩٤٧ طالب محمد الخامس على لسان حزب الاستقلال المراكشى للمرة الاولى فى خطاب عام موجه الى العالم أجمع بحرية بلاده ، وبذا أعلن عداءه الصريح للفرنسيين ، وهو الذى كان حليفهم الدائم وخير معين ، وقد حاولت فرنسا بشتى السبل اسكاته ولكنها لم تفلح ، اذ فى عام ١٩٥١ وقف الملك محمد الخامس للمرة الاولى معلنا عزمه على تحرير بلاده ، ولكن محاولته هذه جانبها التوفيق ، وقد أدت وقفته هذه الى تنغيص حياة المستوطنين أولئك الذين كانوا ينظرون الى الوطنيين المراكشيين نظرتهم الى أعدائهم .

فى المنفى

فى الحادى والعشرين من أغسطس عام ١٩٥٣ أحرز المستوطنون الفرنسيون فى شمالى افريقية نصرا مؤقتا ، فقد خلع محمد الخامس عن عرشه ، وأخرج هو وعائلته من قصره فى الرباط بلاشىء سوى الملابس

الضرورية ، وبعثوا بهم فى طائرة عسكرية الى منفى زونزا بجزيرة كورسيكا أولا ثم الى انتسترابى بجزيرة مدغشقر .

ونصبوا على العرش رجلا ضعيفا هو سيدى محمد بن مولاى عرفه العلوى المولود فى عام ١٨٨٩ بمدينة فاس وهو أحد أفراد الأسرة المالكة وعم الملك المنفى وجمع الى جانب ضعفه أنه لم يشتغل بالسياسة من قبل ولم يكن يوما نائبا للملك .

وقد برهنت الأحداث سريعا على أن خلع الملك محمد الخامس كان خطأ فاحشا فقد تطلع الشعب كله الى الملك المخلوع وعائلته ، على أنهم رمز لحركة التحرير ودعت جميع الهيئات الوطنية الشعب الى الثورة ضد الفرنسيين ، وفى السنين الاخيرة قوطعت المؤسسات والبضائع الفرنسية وسرعان ما اندلعت نيران الثورة المسلحة فى جميع الانحاء ، ومن الامور المعروفة أن فرنسا قد نجحت باستمرار فى كسب بعض الاشراف الى جانبها مثل باشا مراكش « هادى تهامى الجلاوى » ، فقد تعاون هذا الامير البربرى البالغ من العمر أكثر من ثمانين عاما والمسيطر على جبال الاطلس العليا مع الفرنسيين عشرات السنين ، استطاع فيها أن يجنى ثروة خيالية وقد استخدمه الفرنسيون مع المحاربين البرابرة المنتمين اليه فى احياء الانقسامات القديمة بين البربر والعرب .

وقد ظهر أن هذه السياسة قد حالفها التوفيق فترة من الزمن وجاءت الساعة الحاسمة التى أدرك فيها الجلاوى هدف هذه السياسة فسحب البربر بزعامة « باشا مراكش » تأييدهم للفرنسيين ومعهم محمد ابن عرفه ، وحينئذ تاق الجلاوى كما قررذلك روم لندرو الىعدمالتعاون مع الفرنسيين مرة أخرى علىالاطلاق ، فقد ذكر لندرو أن الجلاوى شخصيا قال له فى عام ١٩٤٨ : انه وأسرتهجميعا ، سيجدون مشقة أكبر فىالتكفير عن تعاونه مع الفرنسيين أعداء البلاد يوما ما .

وفى معمعان هذه الازمة ، استطاعت حركة التحرير المراكشية أن تلخص مطالبها فى أن تكون المفاوضات قائمة أساسا على عودة الملك محمد الخامس من منفاه ، وتدخل الامريكيون مرة أخرى حين دعت الضرورة، فأظهرت الحكومة الامريكية استياءها العميق لخلع السلطانمحمد الخامس، فقد كتب فرانسوا مورياك قائلا : ان « محمد الخامس » لم يكن فيما مضى أقوى مما هو الآن ، واذا كان من اليسير قيد جسده فلا بد من أن ندرك أنه يحمل قلب وعقل ملايين المراكشيين الذين وضعوا فيهكل آمالهم التىأعلنوا الكفاح المسلح من أجلها .

وزادت الثورة لهيبا وزاد الشعب تماسكا وقوة ، وشملت البلاد موجة

من الاغتيالات والقتل السياسى الامر الذى ألزم الفرنسيين بعد سنتين من جهودهم الضائعة فىحكم البلاد عن طريق الخونة ، أن يتبينوا أنه لا سكينة الا بعد اعادة الملك محمد الخامس وأسرته الى وطنه .

وهكذا تحقق ما تكهن به الملك حين قال : « ان خلعى عن العرش لن يحل المشكلة المراكشية » .

وعاد الملك محمد الخامس وأسرته الى بلاده بعد سبعة وعشرين شهرا قضوها فى المنفى ، وكان ذلك فى السادس عشر من نوفمبر عام ١٩٥٥ قبل يوم واحد من الاحتفال بذكرى ارتقائه العرش . وهكذا أصبح الملك محمد الخامس فى نظر العالم العربى بطلا وضحية .

وفى الرباط العاصمة ، حضر روم لندرو مواكب النصر ،وبعدأشهر قليلة ألغيت الحماية الفرنسية فى الثانى من مارس عام ١٩٥٦ ، بعد تاسيس الحكومة الوطنية ، وكذا ألغيت هذه الحماية من جانب اسبانيا فى السابع من أبريل عام ١٩٥٦ . وهكذا تم استقلال مراكش ووحدة اراضيها .

اصلاحات شاملة بعد منح الاستقلال

كان من اول أعمال الملك النظر الى البلاد من الناحية الواقعيةلامن الناحية القانونية كما يحدث حاليا ، فقد خضع جزء كبير من البلاد لادارة الحماية الفرنسية ، كما كان الاسبان يحكمون شماليها على حين كانتطنجة تخضع لمجلس دولى ، وقد أفلح الملك فى توحيد أجزاء البلاد فى مملكة مترابطة الاطراف ، ورأى بعد ذلك أن ينشىء نظاما اداريا واقتصاديا وتربويا وتعليميا موحدا فنجح نجاحا مؤكدا فى تحقيق ذلك كله فى وقت قصير ، ولكن كان من أكبر العقبات التى صادفته اعادة البناء الاقتصادى لبلاده بعد ما تركها الفنيون ورجال الاعمال والمستوطنون الفرنسيون .

وتبعا لذلك تسربت رءوس الاموال من البلاد ، وشعرت الحكومة المراكشية أن البلاد خلت من جمهرة العاملين ولم يبق لديها الا فئة قليلة جدا لا تكفى ملء الاماكن الكثيرة التى أصبحت شاغرة ، وكان لابد من النضال ضد الجهل علاوة على النضال ضد الفقر والمرض والبطالة ،ويكفى لكى نرى فداحة الامر ، أن نعرف أن الملك قد أعلن وقتئذ أن مراكش ليس لديها سوى ثمانية وعشرين طبيبا مراكشيا وبعض المدرسين القلائل ولعدم وجود الموظفين المؤهلين دعا الامر الى تكليف بعض الاطباء علىقلتهم

العمل بوزارة الخارجية لشغل المناصب التى أصبحت شاغرة أو التى أنشئت حديثا ..

وهكذا انتشر الفراغ فى كل مكان الى حد أن الملك كان ينوء تحت عبء المسئولية متسائلا : هل هو وشعبه قد عقدوا العزم على الاضطلاع بالمسئوليات التى حملوها على عاتقهم بنجاح ؟

وقد سبق أن أغلب الزعماء والمصلحين والمناضلين فى سبيل حرية افريقية ساءلوا أنفسهم مثل هذا السؤال ولكنهم كانوا دائما يؤمنون بأن «الحاجة والكفاح فى ظلال الحرية خير من كيان أغنى فى ظلال العبودية» .

وبصفة عامة جرت موجة الاسراع فى التعليم فى كل البلاد الافريقية بينما كان الامر فى مراكش نتيجة لتوافر الاخلاص وحسن نية القائمين على الامور .

والحق ان هذا الاخلاص وهذه النية الحسنة توافرت لدى ملك مراكش ومساعديه ونذكر منهم على سبيل المثال المربى السابق الاستاذ (بلافريج) أول وزير للخارجية فى مراكش المستقلة والزعيمين الوطنيين علال الفاسى ومحمد اليزيد .

وقد كانت حركة التعمير السريع فى البلاد مثار الدهشة والاعجاب بحق ، واذا سألنا قائلين : كيف أمكن كل هذا ؟ فاننا نسمع على الفور الاجابة التقليدية : « قد أعاننا الله » وهى الاجابة التى ربما تكون تعبيرا عن وجود الايمان العميق الذى ملأ نفس محمد الخامس والذى يبدو واضحا فى صلاته ، ودعائه فى مسجده الخاص .

وفى الماضى حين كان الملك محمد الخامس أسيرا لدى المقيم الفرنسى العام ، لم يكن يستطيع السفر الى حيثشاء ، وكان محظورا عليه استقبال أى زائر أجنبى دون تصريح سابق من المقيم العام ، ولتحاشى أية متاعب يسببها الملك كانت تتم مسائل العلاقات الخارجية عن طريق المقيم العام الفرنسى .

أما الآن وقد استقلت البلاد فقد تحرر الملك ووزراؤه من لزومية الرجوع الى أحد ، وهكذا انتهز كل فرصة للاتصال بشعبه ، وكان دائم الاهتمام بالمشاكل التعليمية التربوية ، ولهذا فقد زار المدارس فى طول البلاد وعرضها ، وتفقد مؤسسات الصناعات اليدوية والشركات ، وفحص بعمق جميع المشاكل التى تعانيها البلاد . وكان يتقبل فقراء الريف . وكثيرا ما أهدى الى الفلاحين الصغار مزارع كثيرة ، وهكذا حكم كملك دستورى ديمقراطى .

ولكل هذا خضعت له النقابات العمالية التى تشكل اليوم عاملا فعالا فى كيان البلاد الاجتماعى .

ويهتم الملك محمد الخامس بمساواة جميع المواطنين أمام القانون ، بغض النظر عن العنصر أو العقيدة أو النسب ، ويرجع هذا الى انتوتر الذى كثيرا ما اشتعل أواره بين المراكشيين واليهـــود ، حتى انه لم يكن ميسورا فى بعض الاحيان اعادة الهدوء والسكينة الا بعد انقضاء بضـــع سنوات ٠

والحق أقول : ان حال الاقلية اليهودية فيمراكش اليوم أحسن بكثير عنها فى العصور الماضية ٠

وقد أدرك محمد الخامس ، شأن جميع الساسة والحكام الافريقيين أهمية مشاركة النساء فى بناء الدولة الجديدة وتحملهن جزءا منمسئولية سياستها ، ولتأكيد تشجيعه لهذه المشاركة بصورة عملية سمح لابنتــه الكبرى الاميرة للا عائشة أن تكون رئيسة لاحدى منظمــات التنميـة الوطنية ٠

هذا وقد طرحت مشاكل المرأة المراكشية على بســــاط البحث فى المؤتمر العالمى ، وكثيرا ما نادى الملك قائلا : « احملن أفضل تقاليدنا ، ولكن عليكن الربط بينها وبين التقدم الحديث » ٠

ويعتبر الملك محمد الخامس مملكته مراكش ، التى فى أقصى الركن الشمالى الغربى من افريقية الرباط الوثيق بين العــــالم العربى الشرقى والغرب ، وكذلك هى الوصلة بين المحيط الاطلنطى والبحر الابيض،وأيضا بين افريقية وأوربا وهو على يقين من أن السلام والرخاء فى بلاده ليســـا على جانب كبير منالاهمية بالنسبة لمراكش وحدها ، وانما بالنسبةللشمال الافريقى والشرقى الاسلامى كلية ٠

الملك (ولى العهد) مولاى الحسن

لقد كان الملك يؤيده فى سياسته هذه ابنه الاكبر ولى العهد (مولاى الحسن) الذى كان يصحبه والده فى جميع أنحاء مراكش نفســـها وفى بعض رحلاته الخارجية لامريكا الشمالية والبلاد الصديقة المجاورةكتونس ومصر ٠

ويعتبر «مولاى الحسن» المثل الفذ للشباب المراكشيين الجدد فلا يراه الناس الا مرتديا الملابس الافرنجية وحدها ، كما يظهر فى حلة القائد العسكرى باعتباره القائد الاعلى للقواتالعسكرية الملكية ، وقد فاجأه أبوه باختياره أميرا يصبح فيما بعد الولى على العرش ، ولكى ينال قسطا مناسبا من التعليم أنشئت مدرسة خاصة باسمه تعتبر جزءا من قصره فىالرباط ٠

وفي هذه المدرسة تلقى الملك مولاى الحسن دروسه مع جميع قرنائه من الشباب من جميع طبقات الشعب وأقاليم مراكش . وقد أكسبته هـذه التربية شعبيته الكبيرة التي يتمتع بها اليوم في وطنه ، وقد تعلم مولاى الحسن الفرنسية في صغره كما تلقن من أساتذة ممتازين أصول الثقافة العامة واستطاع سريعا الالمام بمبادىء العلوم والمعارف العـامة الحديثة وشب مولاى الحسن كوالده مولعا بلعبة التنس وركوب الخيل، كما مارس الطيران على اعتباره قائده العام ، ويرجع لمولاى الحسن الفضـل فى أن أصبحت القوات المغربية على جانب كبير من التقدم فى الفنون العسـكرية الحديثة .

واذا كان الملك غير مصحوب بابنه فى الرحلات الخارجية فمعنى هذا إن الامير يدير شئون الحكم فى مسئولية كاملة فى أثناء غياب أبيه .

هذا وقد نودى به فى يوليو من عام ١٩٥٧ وليا للعهد ، وذلك لتأكيد الملكية الدستورية فى مراكش اليوم وفى المستقبل ، ولا يدرى هل لدى مولاى الحسن صفات والده نفسها وهل سينهج منهجه ، مترسما خطاه فى ايجاد أطيب الصلات ؟ هذا وقد تكشف الايام والاعوام اتجاهاته نحو الدول العربية الاسلامية والدول الاوربية .

لقد كان الملك الوالد يعيش فى دائرة اقطاعية كبيرة ، والآن الدول الافريقية تفكر فى نفسها ، لذا يمكن أن نرى أنه من الاصوب أن ابنه الذى سيخلفه سيتجه الى الدول العربية الاسلامية أكثر من اتجاهه نحو الدول الأفريقية والأوربية ، وما زلنا نذكر ماحدث بعد كوارث الزلازل فى أغادير والتى وقعت فى مارس عام ١٩٦٠ ، عندما رفض المساعدة التى تقدم بها سبعمائة من المتطوعين الفرنسيين بدافع من تعصبه لقوميته .

الملك يتولى الحكم

فى أوائل عام ١٩٦٠ تطورت الاحداث فى مراكش وبدأت مرحلة جديدة اذ فى ٢٣ من مايو من ذلك العام أعلن محمد الخامس أنه سيتولى بنفسه الاشراف على الحكومة ، وانه أصدر مرسوما بتعيين مولاى الحسن نائبا لرئيس الوزراء وقد انطلق بعد ذلك كثيرا من رغبات ولى العهد التى كانت معلقة وأصبح تحقيقها أمرا واقعا .

وقد رأى مولاى الحسن أن الحكومة الحالية التى تعتمد على مساندة الاتحاد الوطنى للقوى الشعبية والمكون من حزب الاستقلال ، تتجه اتجاها يساريا ظاهرا يؤدى بالبلاد الى الحكم الجمهورى ، ولذلك فقـد رأى أن

مراكش ليست أهلا للديمقراطية بعد ، مما دفع به الى السير فى ركاب والده ومطاوعته دون مناقشة .

وفى فبراير من عام ١٩٦٠ اكتشفت مؤامرة فى دوائرالاتحاد الوطنى للقوى الشعبية ، تهدف الى اغتيال ولى العهد ، كذلك قيل : ان ولى العهد قد أجبر والده على أن يصبح رئيسا للحكومة ، على حين أعلن مجلس الوزراء أن الملكية الدستورية ستعلن فى عام ١٩٦٢ وأن الحكومة الجديدة ستباشر وضع الدستور وتجرى التنظيمات الانتخابية لانتخاب برلمان دستورى .

والى جانب ما تقدم أعلن الملك محمد الخامس فى رسالة الى الشعب أنه من العسير فى الموقف الحالى تشكيل حكومة ممثلة لجميع الاحزاب السياسية وأن اختيار أعضائها سيكون على أساس مقدرتهم وكفايتهم ، وسيكون واجبها تحقيق برنامجها الاجتماعى والاقتصادى والسياسى ، الذى وضعته ويتلخص فيما يلى :

فى ميدان السياسة الخارجية تحافظ مراكش على استقلالها مع الابتعاد عن التكتلات والمنازعات، وتتعاون مع جميع الدول على قدم المساواة، والاعتراف بسيادة مراكش واستقلالها ، علاوة على ذلك تؤيد مراكش فكرة التآخى والارتباط مع جميع الدول العربية لتأسيس المغرب العربى .

كما نادى محمدالخامس بأن من أهداف حكومته ، جلاء جميع القوات الفرنسية والاسبانية والامريكية ، علاوة على استعادة كل المناطق التابعة لمراكش والتى ما زالت منفصلة عنها .

وكذلك أعلن أنه ينبغى الاستمرار فى سياسة التحرر الاقتصادى ، ومقاومة البطالة ، وادخال الانظمة الزراعية الحديثة ، والاستمرار فى خطط التصنيع والتدريب حتى يصبح دولاب الادارة مراكشيا صرفا .

كما نادى بحق الفرد فى الحرية ، والعدالة الاجتماعية ، وتوسيع المركزية المحلية التى يمكن ايجادها بادخال نظام المجالس البلدية كأساس للحياة المدنية والسياسية .

وأشار الى الحكم الدستورى كهدف أخير ، فالدستور الجديد الذى سيسرى مفعوله قبل نهاية عام ١٩٦٢ سيوحد القوى ، ويحدد السلطات ويمكن كل مراكشى من المشاركة فى سياسة الدولة ويتيح له فرصة الاشراف على أعمالها .

وقد ألح محمدالخامس على أن الاساس الاول لتنفيذ برنامجه السياسى يتطلب الهدوء الشامل فى البلاد ، لذلك يجب على الشعب المراكشى أن يعتبر

نفسه مجندا لمساندة الملك ، كما سبق أن فعل هذا مرات كثيرة من قبل ، هذا وقد هدد مولاي الحسن بحصار القواعد الحربية الاجنبية اذا ما توانت دواتها في الجلاء عن البلاد ٠

ومما يسترعى النظر حقا أن بطانة محمد الخامس تدرس بعناية تاريخ الملوك في الشرق الاوسط ، وليس من شك في أنها قد اكتشفت أن ملك مصر المخلوع (فاروق) قد بوغت بعد نضال الشعب من أجل اجلاء القوات الاجنبية من القواعد العسكرية في قناة السويس بالقوى الثورية التي افقدته عرشه .

وفي ٢٩ من مايو عام ١٩٦٠ بعد تولى الملك مولاى الحسن الحكم بوقت قصير جرت أول انتخابات في مراكش المستقلة ، للمجالس البلدية وقد حصل حزب الاستقلال بزعامة علال الفاسي على خمســـة وأربعين في المائة من الاصوات ، وحصل الاتحاد الوطني على ثلاثين في المائة أما بقية الاصوات فقد حصل عليها مرشـــحون مستقلون ، وهـــكذا ظلت القوى المحافظة هي صاحبة الاغلبيـــة في البلاد ، وحتى الآن ليس في مراكش برلمان ٠

تكهنات المستقبل المراكشي

قبل تولى الملك محمد الخامس الحكم كان يعرف جيدا السبيل الذي عليه أن يسلكه لبلوغ مطامحه فقد أعلن الملك سياسة عدم الانحياز التي وجدت لديه استحسانا كليا كما رغب في احتفاظ بلاده بعلاقات ودية مع جميع الدول محذرا الدول الصغيرة مغبة الدخول في النزاع بين الشرق والغرب (١) ، كما كان في مقدمة المؤيدين لاتحاد الدول العربيـــة ، وقد ساعد على ذلك بجهوده المختلفة لتدعيم الاخوة العربية القائمة على أواصر الصداقة والتعاون الخالصين ٠

وقد اهتم برنامجه بالاصلاح الاجتماعي هادفا الى رفع مســـتوى المعيشة والى دعم الاستقلال على أساس من المثل الاسلامية العربية ٠

وللملك محمد الخامس جهوده في تدعيم الجامعة العربية وتأكيـــد الحقوق العربية في فلسطين كما تعهد ببـــذل الجهود لمواجهـــة الخطر الصهيوني (٢) ٠

---

(١) عن صحيفة لموند الفرنسية ٠

(٢) أعلن هذا حرفيا في احدى الزيارات الرسمية للاردن تضامنا مع الملك حسين ٠

وقد أيد الملك الوطنيين الجزائريين فى نضالهم كل التأييـــد كما أيد رغبة الشعب فى موريتانيا للعودة الى دائرة الوطن المراكشى (١) .

وشارك مشاركة فعالة فى الجهود الرامية للقضاء على حدة التوتر فى العالم ودعم السلام العالمى على أساس تأكيد حقوق الانسان والاستقلال الوطنى للشعوب ومواد ميثاق الامم المتحدة وتجد هذه الروح نفسها وهذا الطموح نفسه لدى الزعماء الافريقيين الآخرين فهم يطالبون بحق مشاركتهم باستشارتهم فى جميع الشئون العالمية .. فلماذا يعلقون اهمية اكبر على مثل هذا الامر يا ترى ؟

ذلك لانهم ظلوا مبعدين عن هذا كله زمنا طويلا .

---

(١) في تصريح لمحمد الخامس في أثناء زيارته الرسمية للعراق .

توم مبويا

زعيم نقابي شاب يستغل فرصته

« ثمة حقيقتان خاصتان فى افريقية لكنهما متعارضنان يساء فهمهما خارج القارة هما :

« الاختلاف الهائل بين الافريقيين الوطنيين فىالاساليب وبين توافق وتضامن أهدافهم وغاياتهم » .

توم مبويا
كينيا تواجه المستقبل

للمرء أن يحترم انسانا أو يحتقره فهذا مرده له وللظروف المحيطة به والحق أشهد أنى كنت أحتقر توم مبويا عندما قابلته للمرة الاولى فى عاصمة كينيا « نيروبى » (عدد سكانها مائة ألف نسمة) فى دائرةالشباب السياسيين وذلك عندما هب مدليا بتصريحات معادية للانجليز والبيض كافة ، وقلت : يا الهى .

ان هذا واحـــد من أولئك الذين يشعلون نار الكراهيـــة وينادون بالوطنية ممن ألاقيهم هنا مرارا .

وكان فى ذلك الحين مرتديا بنطلونا رياضيا رمادى اللون وقميصـا رياضيا مفتوح الصدر له مظهر الرياضى المحترف أكثر من مظهر الرجـل السياسى الذى يسعى لتحقيق أهدافه الوطنية .

الفهد

وكانت مقابلتى الاخيرة معه فى اكرا فى أثناء انعقاد مؤتمر الشعوب الافريقية وقد جمع بينى وبينه أصدقاء من طلبة جامعة اخيموتا فى حفل

خلوى دعى اليه رئيس الوزراء نكروما حيث رأيته قد وقف وحيدا بعيـدا عن زحمة الضيوف الوطنيين ممسكا بيده كوبا من عصير الفاكهة ، فكان أشبه شيء بفتى يافع يعانى لوعة الغرام التى دفعت به الى هـذا الانزواء والبعد عن الضوضاء ٠

انه يبدو كذلك لاول وهلة ولكنى ما لبثت أن أدركت أنه ليس لدى هذا اليافع مظهرا وقت لغير أفريقية ، أفريقية التى نقشها حفرا على خاتمه الكبير الذى يزين أصبعه واذا كان هذا الخاتم هو رمز الزواج فان عروسه هى افريقية !

واذا تأملت وجهه فانك واجد فيه سمات الفهد ، الفهد الذى يخلد الى العزلة ، ولا ينقض الا فى اللحظة الحاسمة ٠

انه توم مبويا ، حقا ، لقد عرفته مرة قبل اليوم ، لقد تغير ٠

تقدمت اليه مجددا تعارفنا ومهنئا له على خطبتـــه التى ألقاها فى المؤتمر بلغته الانجليزية السليمة ، وقد تأثرت من مناقشاته فى أثنــــاء رياسته للمؤتمر فقد كان صريحا واضحا ومركزا النقاش فى لب الموضوع، ويمكننى الآن أن أصف بشخصيته الواضحة المعالم بأنها : الاستراتيجية ، والترتيب ، والنظام ٠

وبعد فترة من الحديث الودى أيقنت أنه لا يحمل أية ضغينة لى وان كان من ناحية المبدأ ضد جميع البيض ، ودار حديثنا أيضا حول حكومة كينيا وأفرادها المتعددة الاجناس فكان تعليقه على قولى كطلقـــات نارية مصوبة الى ، فأسرعت بالانتقال الى الحديث عن المجتمع الـكابرى كوين الذى يتخذ حمار الوحش شعارا ، وقلت :

ربما استطاعت افريقية أن تفوز اذا ما تعايش السود والبيض فيها جنبا الى جنب ٠

الا أن توم مبويا الذى كان له رأى آخر زمجر كالفهد وقد ازدادت عيناه الضيقتان ضيقا وقال :

ـ آه ! خدعة مشروطة ، نعم لكى تطول سعادة البيض ٠

والحق أقول : ان توم مبويا لم يكن مسالما ولاسيما فىأثناء الجلسة الختامية للمؤتمر فقد ارتفع صوته ديما جوجيا كنكروما عندما يخطب فى شعبه ، وقال :

(أوربا أمس وأفريقية اليوم ، ارفعوا أيديكم عن افريقية ، فليخرج الاوربيون من افريقية ، فليثأر الافريقيون لانفسهم)

وقد قابلته مرة فى أكرا فى ساعة متأخرة من الليل مع أحد وزراء غانا فى حديقة للرقص الوطنى وراقصت سيدة افريقية من أحد الوفود ، وكان الوزراء الغانيون على غاية المودة كما كانوا يرتعبون المدى الذى وصلت اليه من الاجتهاد فى الرقص الوطنى وحياني توم مبويا ورمى الافريقية التى رقصت معى بنظرة احتقار لمراقصتها رجلا أبيض ، وكان يشرب عصير الفاكهة بدلا من المشروبات الكحولية التى يتحاشاها الىجانب عدم التدخين وتدل ميوله الشديدة الى مشاهدة أفلام رعاة البقر والافلام البوليسية المثيرة على أنه رجل متعب لمن يتصل به .

سبع سنوات فى حالة طوارىء

تشكل كينيا مع أوغندا أو تنجانيقا شرقى افريقية البريطانى وفى الوقت الذى فيه كسب الالمانى دكتور كاربيترس مناطق شرقى افريقية الامبراطورية للقيصر فى عام ١٨٨٥ ، بدأ الانجليز فى الاستعمار هنا وأعطيت شركة افريقية البريطانية خطاب ضمان لاستغلال منطقة كينيا الحالية .

وقد استولى التاج البريطانى على حكم كينيا فى عام ١٨٩٥ (مساحتها ٥٨٢٫٦٤٠ كم وسكانها ٤٥٠٫٠٠٠ نسمة منهم ٢٥٫٠٠٠ آسيوى وهندى وجواندى و ٧٥٫٠٠٠ أوروبى و ٣٣٫٠٠٠ عربى) وقد تطورت البلاد تطورا سريعا ، ونسبة الانجليز فى تعداد السكان ٩٪ فقط يشتغلون بالزراعة وتربية الماشية ، واستولوا تدريجيا على جميع أراضى الوطنيين الزراعية الخصبة .

وفى عام ١٩٤٨ بهر العالم عندما نشرت وكالات الانباء للمرة الاولى أنباء عن حرب الماوماو المفزعة وهى الحرب التى نشبت نتيجة لعدم رضاء زعماء القبائل وخاصة قبيلة الكيكويو عن الحكومة البريطانية ونتيجة لانتشار الجوع فى البلاد بمناسبة استيلاء الانجليز على جميع الاراضى الجيدة الصالحة للزراعة وتربية الماشية بالاضافة الى الاراضى العليا الباقية التى احتفظ بها دون استثناء للمستوطنين البيض مما دفع بالافريقيين الى النظر فى هذا الوضع كرمز حافز للسود الى كراهية البيض وبغضهم .

وفى أكتوبر عام ١٩٥٨ أعلن لأول مرة أنه ينبغى على علية القوم فى البلاد من المستوطنين من كل الاجناس أن يعلنوا أنهم سيكونون مستقبلا زارعين طيبين .

ولقد جلبت حركة الماوماو الكثير من المآسى والاحزان للمواطنين

جميعا من سود وبيض الى حد يجل عن الوصف،وقد ألغيت حالةالطوارىء التى استمرت سبع سنوات حتى يناير عام ١٩٦٠ ، ثم أعلن ماكلويد وزير المستعمرات البريطانى أنه على المرء تصفية الحساب السيء للسنوات السبع الماضية وذلك لتشجيع شعب كينيا على التعاون فى المستقبل على أســاس تقدير حقوق الجميع •

وهكذا لم تستمر حالة الطوارىء وما تشمله من الاوامر الصارمة ، وأعلن اباحة تحرير النشرات المحلية وتجديد تراخيص الصحف والغـــاء البطاقات الاضطرارية للكيكويو التى حددت اقامتهم فى قراهم ، وأظهر الحاكم العام نيته الحسنة باطلاق سراح ألفين وخمسمائة شخص تقريبـا خلال الاسابيع الستة التالية لممارسة سلطاته من بينهم مائة وعشرون من الماوماو منهم ستة عشر شخصا ثبتت عليهم جريمة القتل ، وهؤلاء يظلون محجوزين حتى يرد اعتبارهم فيطلق سراحهم •

ومن المحجوزين أيضا ســــتة من رجال القانون الافريقيين أو من المواطنين الرسميين الذين ارتكبوا أعمالا وحشية ضد أتبــاع الماوماو فى أماكن أخرى •

انتهت مآسى الحسبة السياسية فى شرقى افريقية البريطانى •

وقد أشرت على صفحات الكتاب الذىشمل الجزائر الى أن المسئولين الأوائل عن الاضطرابات فى كينيا هم المستوطنون ، مثلهم فى ذلك مثل المستوطنين فى الجزائر •

ويبدو أن الحكومة الانجليزية قد تفهمت حقيقة الحالة المستعصية، وأرادت أن تتجنب عواقبها فى آخر لحظة حتى لا يحدث منورائها ما حدث فى الجزائر حيث وصلت الحرب الوطنية فى الجزائر الى مرتبــة الحرب النظامية على حين لم تكن قد وصلت الى المرتبة نفســها بين الخصمين فى كينيا ، ولقد خشى الانجليز أن يدفعوا ثمن مظالمهم وتعصبهم ، فلم يتركوا الفرصة للثوار لتطوير حربهم كما حدث فى الجزائر ، هذا وقد باع بعض الانجليز منذ فترة طويلة مزارعهم وغادروا البلاد لانهم لم يعودوا يثقون فى مستقبل آمن فى كينيا وحتى من بقى منهم فى كينيا لم يعد يتجه الى استعمال العنف على نقيض الحال فى أثناء وجود حالة الطوارىء •

وسينسى الافريقيون يوما ماحدث فى هذه البلاد ويجب علىساستهم ومن بينهم توم مبويا ، أن يقنعوا بما جرى بارادتهم أو على الرغم منهم •

يكتب على الرمال

ولد توم مبويا فى الاراضى العليا من كينيا فى عام ١٩٣٠ فى كوخ أحد العمال ، مجدولة حواجزه من البامبو ، أقيم على أرض فلاح غنى من الانجليز وهو ليس من قبيلة الكيكويو بل يعتبر من قبيلة ليو ، وتعتبر القبيلة الثانية فى البلاد ولم يكن والداه يعرفان القراءة والكتابة وهو نفسه يقول : اننى ولدت على الجانب المظلم من الحياة .

وكان والده معجبا بالرجل الابيض وربما كان يخشاه أكثر مما يعجب به وقد أخذ فى تنشئة ابنه على التعاون مع الرجل الابيض فى جميع الاحوال ضمانا لكيانه .

وكان والد توم مبويا طموحا فكان لا يفتأ يقول : « انه ينبغى أن يصبح الفتى شيئا أكثر من مجرد عامل زراعى » ولهذا فقد أرسل ابنه الى مدرسة الارسالية الرومانية الكاثوليكية التى تبعد عن المزرعة خمسة وعشرين ميلا ، وهناك كان يقوم بالتدريس قس ايرلندى يؤدى عمله فى ظل ظروف بدائية فلا توجد فصول كافية ولا سبورات ولا كتب للتعليم ، فكان الاطفال يكتبون الحروف الهجائية بأصابعهم على الرمال وبهذه الطريقة تعلم توم مبويا القراءة والكتابة ، وكان يبلغ من العمر تسع سنوات آن ذاك ، ومن مركز الارسالية المذكورة ذهب الى مدرسة سانت مارى بالقرب من بحيرة فكتوريا .

وهناك تلقى تعليمه الاولى فى اللغة الانجليزية ، وحينما كان تلميذا لم يكن يعجب بشىء معين اللهم الا بولوعه بالغناء والمناقشة ، وما زال معلم المدرسة يروى عنه المسالمة وكان يرفض استخدام القوة ، ولذلك فانه لم يتعارض مع زملائه مطلقا ، وكـــذلك كان يعجب بعظماء الرجال ، فكتب حينما كان طالبا بالارسالية موضوعا انشائيا مثيرا عن نابلبون ذلك الرجل الذى حارب العالم كله .

وبعد ذلك درس التاريخ فى كلية هولى جوست العالية فى مانجو وكان مثله الأعلى فى ذلك الحين ابراهام لنكولن هـــذا الرجل الذى شق طريقه فتحول من فتى من فتيان الكوبكر (الفداء) الى رئيس لامريكا ، وكذلك أعجب بنوكر واشنجطن الذى ولد فقيرا فى ظل العبودية ولكنه ما لبث أن أصبح من أوائل المربين والزعماء الزنوج الامريكيين ، وقد نظر المبشرون الى هذا الفتى بارتياب لكثرة قراءاته وشغفه بالتاريخ على وجه الخصوص فهل يا ترى توسموا فيه فتى الثورة المنتظر ؟

وقد أراد توم مبويا أن يلتحق بقسم دراسة اللاهوت الا أن الكنيسة

رفضت قبوله ، فأحس بخيبة أمل كبيرة وحز فى نفسه هذا الرفض الذى اعتبره لونا من ألوان التعسف الاستعمارى ما دامت الكنيسة تريد الاحتفاظ بالوضع الراهن كما هو فلا تقبل من السود أحـــدا وقد روى فيما بعد : « اننى اشعر دائما أننى كاثوليكى • ولكن مشاعرى تجاه الكنيسة تتركز فى أننى من المتشككين نتيجة لما لاقيته عنـــــدما أردت أن أكون يوما من رجالها » •

ولم يستطع المداومة على الذهاب الى كلية هولى جوست طويلا وذلك لانه استنفد ما كان لديه من نقود حصل عليها أجرا بائسا كعامل زراعى ، فماذا عساه أن يفعل ؟

شارك توم مبويا فى العمل بالصحة فى نيروبى لمدة ثلاث سنوات ، وفى هذا الوقت استمع الى خطب الوطنى جوموكينياتا السياسية (ولد فى عام ١٨٩٣ وقد حكم عليه بالاشغال الشاقة فيما بعد لكونه المسـئول الرئيسى عن ثورة الماوماو) وكان لهذه الخطب ، والنداءات أثرها النارى المشتعل فى نفس توم مبويا الرجل الاجتماعى والسياسى الطموح، وسرعان ما تراه يقول : « لقد تبينت الفارق بين الجنيهات العشرة التى أحصـــل عليها شهريا نظير عملى المضنى على حين يحصل زميلى المفتش الاوربى الذى لا يعمل أكثر منى على خمسة أضعاف ما أحصل عليه تقريبا ! »

ومنذ هذا الوقت وهو يعيد رواية هــذه القصة المثيرة التى تتلخص فى أن احدى الانجليزيات جاءت ذات يوم الى مصلحة الصحة لفحص زجاجة من اللبن ، وكان توم مبويا وحيــدا فى المعمل ، فسألت الانجليزية قائلة: اليس هنا أحد ؟ فأجاب توم مبويا : يجب ألا يغيب عن عينيك شىء ياسيدتى • فغادرت الانجليزية مصلحة الصحة وهى تتمتم بألفاظ غير مهذبة تعليقا على قول هذا الشاب الاسمر الجرىء •

فى نقابات العمال

وسرعان ماضاق وقته بعمله كمفتش للصحة ، فقد اجتذبته السياسة الى تيارها وكان يرى مثله الاعلى فى جوموكينياتا ، الذى سافر الى انجلترا عام ١٩٢٩ وأقام بها خمس عشرة ســنة ، ثم أمضى سنتين فى موسكو عاد بعدهما فى سنة ١٩٤٧ الى كينيا حيث أطلقت خطاباته النارية عقال ثورة الماوماو ، على حين لا يذكر هو شيئا عن مدى اشتراكه فى أعمال العنف •

وأصبح توم مبويا عضوا فى اتحاد افريقية الـكينى ، الذى يتزعمه جومو كينياتا ، ومن المعترف به أنه لم يشارك مباشرة فى أعمال العنف ،

وعندما قبض على كينياتا ، تولى والتر أويدى رياسة اتحاد كينيا الافريقى فأسند الى توم مبويا ادارة العلاقات العامة ، وعندما قبض على أويدى أصبح توم مبويا فى عام ١٩٥٣ رئيس اتحاد كينيا الافريقى فقام بجمع المال اللازم للدفاع عن كينياتا والافراج عنه، ثم تقابل كينياتا مع توم مبويا فى معتقله لهذا الغرض فلم ينل رضاه واعجابه برغم ما فعل ، وظل مبويا على مبدئه فناضل فى دأب لاطلاق سراح كينياتا ، محاولا جمع الادلة على أن كينياتا لا يحمل أى وزر فيما يتعلق بأعمال الماوماو ولذلك فهو يطالب باطلاق سراحه .

وفيما يدور حول موضوع الماوماو ، قال توم مبويا : « يربط الكثيرون بين كينياتا وبين ما حدث عند الماو ماو من أعمال تعتبر رد الفعل الطبيعى لما يشعرون به من الظلم الاجتماعى والاقتصادى الاوروبى ضدنا نحن الافريقيين ، وبرغم أننى وكذلك غيرى من الزعماء السياسيين الافريقيين لا نميل الى الارهاب ولا أعمال العنف والقوة كوسيلة للوصول الى الغايات السياسية ، فانى فى الوقت نفسه أريد أن أعلن احتجاجى على وسائل الضغط والظلم والوحشية التى أراد الاوربيون القضاء بها على الشعب القضاء الحاسم باسم قمع أعمال الارهاب مما أدى الى تحطيم الآلاف من أسر الافريقيين الابرياء الذين سيقوا الى معسكرات الاعتقال كقطيع من الماشية . فضلا عن الآلاف الكثيرة التى استشهدت بفعل هذه الحفنة من الاوربيين .

وأكرر القول بأنى لا أؤيد أعمال القوة فى ظل النتائج الاخيرة ولكن يجب على المرء المنصف أن يحمل المستوطنين الاوربيين مسئولية ما وصلت اليه الحال » .

وبعد ما تم القبض على جميع زعماء الاتحاد الافريقى الكينى ، توقع توم مبويا لنفسه هذا المصير ، وظل الوطنى الوحيد الذى لم يعتقل فكرس نفسه لتدعيم اتحاد منظمات العمال الذى ضمه الى اتحاد عمال كينيا ، وأصبح السكرتير العام له ، ذلك أن الاتحاد الافريقى الكينى قد منع فى صيف عام ١٩٥٣ من مزاولة نشاط سياسى ، ولهذا كانت هذه النقابات أهم مراكز التجمع للوطنيين الافريقيين يمارسون فيها نشاطهم .

وفى عام ١٩٥٤ سرى العمل بدستور « لينيلتون » ولم يحصل الافريقيون على أية سلطات برغم جميع الضمانات : فمن بين ممثلى الشعب الستة فى مجلس الوزراء كان ثلاثة أوربيين وهنديان وأفريقى واحد ، ولذا رفض توم مبويا مواصلة التعاون مع الحكومة وأدار معارضة ايجابية، وكان هدفه فى ذلك الوقت يتلخص فى أن كل بالغ ناخب ، وكل ناخب له صوت ولم يستطع تنفيذ ذلك حتى فى مؤتمر الدستور عام ١٩٦٠ .

وأراد توم مبويا استغلال الوقت الميئوس منه ، ولقى مساعدة من النقابيين الاجانب الذين مدوا له يد المساعدة بالنصح والمال : ففى عام ١٩٥٤ أرسله الاتحاد الدولى لاتحاد نقابات العمال الاحرار فى بعثة دراسية الى الهند فأقبل على الدراسة فى جد ، وعلاوة على ذلك فقد عقد اتصالات مع زعماء النقابات الهندية والامريكية فى أثناء اقامته فى كلكتا ، وفى السنوات الاخيرة اكتسب منحة لكلية روسكين فى اكسفورد حيث درس العامل الزراعى الذى تعلم الكتابة على الرمال على أيدى أساتذة بارزين مثل ج ٠ د ٠ هـ ٠ كول وكنيث روبتون وهارولد لاسكى ، وبعد سنة من الاقامة فى أكسفورد قام ابن السادسة والعشرين برحلة لالقاء المحاضرات خلال أمريكا ، ووثق اتصالاته مع زعماء نقابات العمال الامريكيين ووسعها، وبجانب ذلك جمع خمسة وثلاثين ألفا من الدولارات ، لتشييد مبنى جديد لاتحاد نقابات العمال فى نيروبى ٠

وفى عام ١٩٥٩ منحته جامعة هارفارد درجة الدكتوراه فى القانون، وأصبح فى كينيا رئيسا لحزب التجمع النيروبى ، وعضوا بمجلس كينيا التشريعى ضمن أعضاء منتخبين لاول مرة ، ويرجع فوز توم مبويا فى المعركة الانتخابية الى خطبه المتفجرة ، ولم يفرح توم مبويا بدخوله الى المجلس التشريعى المكون من ثمانية عشر عضوا بينهم ثمانية من الافريقيين ، وقد استدعى الى لندن لعضوية مجلس المستعمرات ، ولكن النجاح تخلى عنه ، لكنه ، سرعان ما استعاد نجاحه بعد سنوات فى مؤتمر كينيا عام ١٩٦٠ ٠

وجهة النظر الافريقيه

وقدم « توم مبويا » تقريرا تفصيليا الى اللجنة الامريكية لافريقية ضمن كتابه « كينيا تواجه المستقبل » أبان فيه وجهة النظر الافريقية عن الوضع فى كينيا ٠ وهو عمل يمتاز بالوضوح المفصل فى أسلوب ملىء بالحيوية ، ولو أنه لم يحظ من الانجليز بحسن القبول ، فى الوقت الذى شعر فيه الامريكيون بالخجل لما جاء فيه منسوبا للاوربيين ٠

وفيه يشكو توم مبويا من أن جميع معلومات الاوربيين عن وجهة النظر الافريقية وموقفها من الاتجاهات السياسية لا تخرج بوجه عام عن آراء المستوطنين الاوربيين وعملاء وكالات الانباء الاوربية ، ولهذا جاءت مفرضة تجافى الحقيقة ، فضلا عما أصاب الافريقيين من سوء المعاملة كعمال مرتزقين يشكون وضعا ليس لهم حق الشكوى منه !! وقد حاولت أن أكون هادفا وعادلا ، ولكن تعرضت لسيل من السباب والشتائم ، ثم تطورت الحال هذه ، فاتخذت شكلا جديدا يتلخص فى أننا خونة لا شرف

لنا ، أما أنا شخصيا فقد اتهمت بأنى ذو وجهين أتحدث بصوتين : أحدهما حلو للندن ، والآخر متعصب لافريقية !

وان هذه الادعاءات أقاصيص مسلية لو أنها لم تؤد الى زيادة الموقف المتوتر حدة وسوءا ، أما فيما يختص بادعاء اللاموضوعية الاخير ، فانى أقول : ان أى بحث لموقف الاعضاء الافريقيين وموقفى بصفة خاصة خلال السنتين الاخيرتين يوضح الموقف الافريقى فى مجموعه أما النظر الى مشاكلنا على أساس اللاموضوعية لهذا فمرجعه ولاشك من خوف الاوربيين والحكومة البريطانية بسياستها المعارضة لجميع مطالب وحقوق البلدان الافريقية على اختلافها ، أما نحن فأهدافنا واضحة وذات موضوع تتلخص فى «المطالبة بتطوير كينيا الى الديمقراطية مع تساوى الافراد فى الفرص والحقوق دون النظر الى العنصر أو اللون أو العقيدة ·

فنحن ما زلنا نذكر أن الاعضاء الافريقيين طالبوا فى عام ١٩٥٧ بخمسة عشر مقعدا أو تزيد للافريقيين ولم يطالبوا قط بتقليل مقاعد الاوربيين أو الاسيويين بل على العكس يسلمون بحق الآسيويين فى المقاعد، وقد أوضح الاعضاء الافريقيون مقترحاتهم التى يمكن أن تؤدى الى تلطيف حدة التوتر ، وذلك فى كتاب لهم الى مستر لينوكس بويد الحاكم العام ، هذه المقترحات التى ذكروا فيها ضرورة التمثيل للافريقيين ، كما ذكروا البون العددى الشاسع بين الاوربيين والافريقيين ، وأن الواجب يقضى بأن يوضع في حساب المشكلات التى تعترض طريق التعامل الطيب بين الطرفين مبدأ الانصاف ، فيكون للمواطن الافريقى حق الانتخاب ، وذلك لان التمثيل الحالى لا يمكن أن يؤدى الى خير المواطنين ·

ولم تكن هذه المقترحات حكيمة بالنسبة لنا فحسب ، بل كانت تهدف الى رفع عدد الخمسة عشر مقعدا بدلا من التمثيل النسبى ، وكنا نرمى دائما الى ايقاظ الوعى القومى وخلق جو من التعاون والوفاق ، وعندما أعلن الاعضاء العرب والآسيويون تأييدهم المطلق لتدعيم التمثيل الافريقى اعتبر الاوربيون هذه المقترحات محاولة ووسيلة للوصول الى السلطة ·

أما موقفنا تجاه الاراضى العليا البيضاء ، فيتلخص فى أن علينا أن نتغلب على فوضى توزيع الاراضى، هذه الفوضى التى تحول بيننا وبين التعلق بأى أمل فى التطور نحو علاقات أفريقية أوربية سعيدة ، ما دمنا نرى شعبنا حين ينتقل بالقطار أو الاتوبيس من المناطق الجافة المزدحمة بالسكان يلمس فى وضوح أن المساحات الواسعة من الاراضى غير المزروعة محجوزة للبيض دون أبناء البلاد ·

لا شك أن هذا الوضع يثير الغضب والحقد والكراهية نحو أولئك الذين على قلتهم نسبيا يختصون بهذه الاراضى الواسعة ·

وطبقا لاقتناعنا بأنه لايمكن الدفاع عن مبدأ الاحتفاظ بهذه المساحات الواسعة بحالتها التى أشرت اليها ، سواء على أساس اقتصادى أو سياسى أو اخلاقى ، فانه لا منـاص من صدور قانون اصـلاح زراعى يقضى بنزع أجزاء من أراضى الملاك الكبار وتوزيعها على صغار الزارعين مع تعويض الملاك الحاليين بطريقة تتفق مع مصلحة البلاد ، وبكيفية يرتضيها كلا الجانبين ٠

وعلى الرغم من الكتب الاستفزازية للمستر لينوكس بويد «والصحافة المحلية » فقد تحاشى الاعضاء الافريقيون المنتخبون منـذ عام ١٩٥٧ كل المناقشات التى تؤدى الى انهيار المفاوضات الجارية٠ وفى المجلس التشريعى قام الاعضاء الافريقيون من وقت لآخر بتقديم اقتراحات خاصة بالمشـاكل السياسية المختلفة ، وكان التأييد آتيـا من جانب الآسيويين دائما لا من الاوربيين ٠

وقد ظل الاعضـاء الافريقيون قابعـين خلال بضعة أسـابيع ، حتى أصدروا كتابا سياسيا يتضمن مقترحات بشأن الاصلاح الدستورى ، وقد جاء به : أن الهدف الاخير من اصداره هو الوصول الى الديمقراطية التى لابد لتحقيقها من احداث تطور انتقالى ، وقدم الكتاب الى الحاكم العـام والى وزير المستعمرات ، وانقضت شهور أربعة دون صدور كلمة بشأن ماجاء به وعلى الرغم من أهمية الكتاب فقد لاذ الزعماء الاوربيون بالصمت ، وآثرنا أن نمسك بزمام المبادأة ، فقمنا بزيارة لمبنى الحكومة فى سبتمبر وأكتوبر ، وأخيرا فى نوفمبر قرأنا ردا سريعا يصدره وزير المستعمرات مستر لينوكس بويد ، وكان هذا الرد رفض طلب الاعضاء الافريقيين لمؤتمر المـائدة المستديرة وأن مجمل موقفه يتلخص فى الآتى :

« يجب أن يخضع الدستور للمعاهدة ، ويؤكد مشاركة جميع الاجناس، وينبغى أن يتضمن كذلك احترام الاقليـات ، وأن يرفع التمثيل العـام ، ولكن دون النص على أن يكون التمثيل مرتبطا بالجنس » ٠

وهكذا أظهرت المذكرة السياسية والمقترحات الدستورية فى يوليو أن جميع الرغبات تنـاسب مستر لينوكس بويد ، وأنه اذا ما كانت ثمة اختلافات فانها تدور حول التفاصيل التى يمكن التغلب عليهـا فى مؤتمر المائدة المستديرة ، وباستعراض ما تقدم فانه لا يمكن استشفاف رغبـة الافريقيين فى عدم التوفيق أو عدم الموافقة التى تهدف الى تأكيد مخاوف ومصالح الجاليات الاخرى ٠ ان الذنب ربما يقع على عاتق الحفنة الحالية من الاوربيين الذين طالما قاوموا كل اقتراح قدمه الافريقيون منذ عام ١٩٥٧ ليحولوا دون أى تغيير فى النظام القائم ٠

كينيا المستقبل

وقد قام « توم مبويا » فى كتابه بمحاولة لاظهار تكهنات المستقبل ، فوضع مذهبا غير مقسم للديمقراطية قائلا : ان فى رأيى أن زعامة المجتمع الاوربى الخاطئة وسياسة الحكومة البريطانية ، ليستا مسئولتين عن الازمة السياسية المستمرة فحسب، بل انهما عملتا مع الاسف بوحى من مصالحهما الخاصة • ففى الوقت الحالى استأثر كثير من الاوربيين بامتيازات خاصة فضلا عن وضعهم السياسى • وهم يعملون تماما أنه لايمكن الاحتفاظ بالحالة الراهنة فى البلاد الى الابد ، وأن الوضع الحالى لا بد أن يتغير ، ولكنهم لا يعلمون على وجه الدقة أى وضع يمكن أن يحل محله ، هذا بالاضافة الى أنهم لا يستسيغون أن يطالب الافريقيون الكينيون بحساب ورفع المظالم السابق وقوعهم تحتها •

« ان حركة التغيير الشامل لافريقية كلها بما فيها من كينيا لا يمكن الوقوف فى طريقها ، انها حركة سائرة يعلمها الافريقيون والبلاد الافريقية جميعا ، وانى أرى أن مكتب الاستعمار سوف يصدر قريبا قرارا صريحا بتهيئة كينيا للديمقراطية الحق ، وعندئذ سيظهر دور العناصر الحرة فى المجتمع ويخسر المغتصبون المعركة » •

« لقد تذمر الاوربيون عندما علموا أخيرا بلزوم الديمقراطية وأنها فى كينيا ستعود بالفائدة على أغلبية الافريقيين فى كل نواحى الحياة » عجبا ! ماذا يمكن أن تعنى الديمقراطية اذن فى بلد يضم ستة ملايين من الافريقيين ومائتى ألف من غير الافريقيين ؟ ان الشىء الاهم هو ضمان حقوق المواطن ، ولذا يجب أن يتعلم الافريقيون وغير الافريقيين حق الفرد بدلا من الجماعات ، ذلك لا ن الديمقراطية تعترف بالفردية ، على عكس ما هو جار بين الجماعات الحالية! انها تبحث عن التكامل فيما بينها بدلا من المشاركة مع الآخرين • وانها ستحافظ على الحقوق المدنية للفرد ، وستحميها بدلا من حماية الاقلية والامتيازات الجماعية • وستسقط جميع ألوان التفرقة العنصرية بدلا من التنقل بين تكآت فارغة مختلفة لتعليلها كما يحدث الآن فى المدارس والريف وفى الخدمات الطبية والاماكن العامة ، ولسوف تضمن حقوق الملكية الفردية ، وتطمح الى النظام الاجتماعى والاقتصادى الذى يعد حقا متساويا للمجتمع كله ، وتصبح مشاكلنا فى الوضع الصحيح الذى يعمل على انهائها ، سواء أكانت هذه المشاكل افريقية أم أوربية أم آسيوية ، اقتصادية كانت أم اجتماعية ، هذا مانقصده بالديمقراطية لكينيا ولا بد أن تكون للديمقراطية اليد العليا » •

ترى ماذا كان يمكن أن يقول والد «توم مبويا» ذلك العامل الزراعى

الفقير الذى كان يخشى الأوربيين اذا ما كان على قيـــد الحياة وسمع ابنه يتحدث بهذه الطريقة ؟

انالقضية الثورية التى وجدتفيها افريقية تنعكس بوضوح فى هذا التعارض بين أب وابنه من عائلة عاملة فى الاراضى العليا البيضاء ٠

مؤتمر دستور عام ١٩٦٠

فى ٢١ من فبراير عام ١٩٦٠ انتهى المؤتمر الدستورى لكينيا المنعقد فى لندن والذى استمر أسابيع أربعة وتهدد بالانهيار أكثر من مرة ، وذلك لان بيتركبيوانس أحد رجال جومو كينياتا الموثوق بهم طالب بترك باب المفاوضات حين اتهم الانجليز ابن رئيس القبيـــلة بأنه حرض على ثورة الماوماو ٠

وعلى الرغم من هذه الازمة فان أسبوع مقـاطعة الافريقيين للمؤتمر لم ينته بالنجاحبفضل قيادة « توم مبويا » لاعضاء الوفد الافريقى الاربعة عشر مع زميله رونالد نجات ٠

وهنا ينبغى الانحنـاء احتراما للتطور السريع الذى حدث : ذلك أن المستوطنين الاوربيين الذين كانوا ساخطين على مؤتمر كينيا ، قد أصيبوا بخيبة أمل شديد حين أعلن الكابتن « للويلين ٠ ر ٠ بيرجس» زعيم حزب الاتحاد البريطانى اليمينى المتطرف أن المجتمع الاوربى فى كينيا قد أصيب بالضربة القاتلة٠ أما « ميخائيل بلوندل » زعيم البيض المتحررين القادرين على التوفيق والزعيم لحزب كينيا الجديد الأكثر تعصبا ، فقد وجد أن من العسير مستقبلا أن يخفف تطرف أتباعه البيض ٠ هذا وقد انتقـد راديو موسكو توم مبويا وحركة كينيا الاستقلاليـة الجديدة بالتساهل الشديد برغم أن المتعصبين فى داخل حزبه يثورون ضده ٠

وفى عام ١٩٦٠/١٩٦١ حصلت كينيـا على دستور جديد ، وتولى أعضاء افريقيون مناصب وزارية أخرى فى مجلس وزراء كينيا الذى يحكم مؤقتا ٠ وأصبح منالمفروض أن تكون للافريقيينفى المستقبل أغلبيةساحقة فى البرلمان (سبعة وثلاثون مقعدا من خمسة وستين مقعدا) ، أما العدد الحالى للاعضـــــاء الآسيويين فقد ظل بدون تغيير الامر الذى يعد ظلما للآسيويين ، وبرغم ذلك فقـد حصل الآسيويون والمهـاجرون البيض على حقوق ازاء الافريقيين ٠

وفى نطاق الدستور اتسع حق الانتخاب اتساعا حاسما ، هذا الحق الذى كان يهتم الآن بأغلبيـــــة أوربية فى المجلس التشريعى ففى بداية

عام ١٩٦١ عند الانتخابات سيكون لكل مواطن فى كينيا يستطيع القراءة والكتابة أو موظف يبلغ دخله السنوى خمسة وسبعين جنيها على الأقل حق التصويت ، على أن يكون تمثيل الأقليات الأوربية والآسيوية مطابقا فى عدد المقاعد لعدد المواطنين بجانب الأغلبية الافريقية ، وهكذا دخلت كينيا فى مرحلة واضحة لنقل السلطة من الأقلية البيضاء الى الأغلبية السوداء .

وعلى الرغم من ذلك فقد علقت «التايمز» على صحة المؤتمر ولكنها لم تحدد المسائل السياسية الدستورية فى كينيا انما اتجهت الى الحديث عن ملكية الارض ، والواضح أن التايمز لم تنص فى ختام مقالها على « المستوطنين البيض » ذلك لأن الفلاحين الصغار هم الذين يعملون عملا شاقا لا التجار ولا المؤسسات الكبيرة ، اذ انهم على الأقل فى موقف يسمح لهم بتحمل الخسائر اذا أرادوا مغادرة البلاد ، ففى أوائل عام ١٩٦٠ عرضت ستمائة مزرعة للبيع .

وقد كرر توم مبويا فى خطبه المختلفة الى مندوبى الشعوب الافريقية فى آكرا « رفضه لاستعمال القوة » ونظرا لهذا فقد بقى المرء ينتظر هل توم مبويا سيظل على سياسة عدم استعمال القوة حتى استقلال كينيا الذى لا بد أن يحل فى وقت قريب ؟ ثم كيف سيكون موقفه هو نفسه عندما تستقل كينيا قريبا فى سنة ١٩٦٢ أو ٦٣ ، أو ٦٤ ؟

أوهورا

فى الاستاد الرياضى الافريقى فى نيروبى وقف عشرون الف افريقى متحمسون يهتفون باللهجة السواحلية « أوهورا » وتعنى « الحرية » يحيون توم مبويا عند عودته من مؤتمر الدستور فى لندن ، فعلى الرغم من أن السياسى زعيم نقابات العمال الذى تجاوز سن الثلاثين ، لم يصل الى هدفه النهائى ، وهو تحقيق الحرية والاستقلال العاجلين فانه كسب لبلاده مزايا سياسية ملحوظة .

فهل يمكن أن يصبح توم مبويا رئيسا للوزراء يوما ما ؟ ربما ، ولكن هذا مما لا يمكن التكهن به ، فعلى الرغم من أن المرء يعجب به لا يحبه كثيرا ، وهو لم يوثق اتصالات خاصة محدودة مع شعبه بالرغم من نشأته فى طبقات الشعب الدنيا ، وهو يقطن مع اخوته الشباب الكثيرين فى منزل مستأجر فى احدى ضواحى نيروبى ، وهو ثائر فريد

ليس له أصدقاء خلصاء يرتضون القاء أنفسهم فى النار من أجله ، فهو انسان منعزل ، ولكنه مع هذا من النابهين المترفعين بين رجال افريقية.

ويشعر توم أن مستقبل حياته لم يتحدد بعد بصورة حاسمة على الرغم من نجاحه غير المحدود ، فمما هو جدير بالملاحظة أنه بعد تحرير جوموكينياتا سرعان ما سيتقهقر توم مبويا فى الغالب ليترك له الزعامة وحده ، وكينياتا على العكس منه فانه ليس نابها وان كان قد ألف كتابا عن حياة الكيكويو ، ويمكن ان يلتمس المرء عــذرا لتوم مبويا لعنــاده ودكتاتوريته ، وتصرفاته الثورية وديماجوجيته .

وهو من جانب آخر يعضد جميع المدنيــات وخاصــة المدنيــات الغربية ، وهو على العكس من رفاقه يميل الى امريكا اكثر من روسيا، انه عندما كان فى العاشرة من عمره كان رفاقه واتباعه والأوربيون يقولون: « كان كل شىء أكثر سهولة » فانه لم يبرز أنيابه حتى الآن .

أما صديقه نيريرى زعيم تنجانيقا فقد تحول من متعصب عنيد الى معتدل مما عاد عليه وعلى بلاده بالشىء الكثير .

والآن يمكن أن يقــال : أن « فهد كينيا » يعد من الســياسيين الشبان لافريقية اليوم .

ومنذ تدوين هذا الفصل دفعت التطورات كينيا الى أزمة جديدة، فقد تكهن الحاكم البريطانى « سير.ت. باتريك رنسون » بانهيار القوى الجديدة للتردد الطويل الذى مر به تطور سياسة المستعمرات ، حين اطلقت الحكومة سراح جوموكينياتا ، وتهيأت الدلائل كلها منذرة بوقوع كارثة برغم أن تحديد اقامة جوموكينياتا فى سكن معين قد يكون ضمانا أكيدا بعدم وقوعها . ولدى الحكومة براهين كثيرة على أن كينياتا لن يشارك فى تحقيق اهداف جميع فئات الشــعب . وخاصــة فى حكومة مستقلة تحصل فيها كل فئة على حقوقها .

وفى أوائل يوليو عام ١٩٦١ اعلن الحاكم اجراءات جديدة لتقييد حرية التنقل بالنسبة لمواطنى الكيكويو فى الاقليم الأوسط وكذلك فى اقليم وادى رفت ونيروبى ، وهــذا الموقف ولا شك يدعو الى الظن فى عودة حركة الماوماو الى الحياة .

ويتجه الساسة الافريقيون التحرريون الى تأسيس حزب يضم البلاد كلها على غرار النظام التنجانيقى .

فقام الاتحاد الوطنى الافريقى الكينى ، وقد انتخب جوموكينياتا المنفى رئيسا ، وتوم مبويا سكرتيرا عاما وقد نما حــزبه بعــد أن كان محدودا فى نيروبى ، واصبح جيمس صمويل جسبورو من الكيكويو نائبا

لكينياتا . وقد ولد فى عـام ١٩١٢ فى ثوجـوتو فى بقـاع كايمبو وهـو مسيحى ، وكان حتى ذلك الوقت مدرسا وقد درس فى كلية ماكريرى فى أوغندا وكان رئيسا لاتحاد كينيـا الافريقى ، وقد ظـل تحت الرقابة البوليسية منذ بداية حركة الماوماو حتى رفعت عنه لاول مرة فى يناير عام ١٩٦٠ . ومنذ ذلك الحين أصبح شخصية هامة ، وقد درست ابنته الكبرى فى بوسطن بالولايات المتحدة الامريكية وابنه الأكبر فى بومباى .

والشيء الجـديد هو أن جسـبورو قد أصبح المنـافس الأكبر لتوم مبويا ، وقد طالب الاتحاد الوطنى الافريقى الكينى «الكانو» بصورة مستمرة أكثر من الأحزاب الأخرى الصغيرة باطلاق سراح كينياتا والا فانه سيقاطع المباحثات الدستورية وسيقاومها .

واخير يبدو أن كينياتا سيقوم فى كينيا بدور مماثل لذلك الذى قام به نكروما فى غانا أو باندا فى نياسالاند .

ادريس الأول

أمير سنوسي يصير ملكاً

من المفهوم انني سأتقيد تقييدا دائما بالدستور الذى يمنح جميع الليبيين الحقوق المدنية والسياسية بغض النظر عن عقيدتهم أو مبادئهم ، ما داموا يقومون بواجبهم .

أدريس الأول فى احدى خطب العرش

فى طريق عودة هانس هاسوفون فيلتهايم المؤرخ الالمانى للروحانيات الآسيوية من الهند الى أوروبا فى مارس عام ١٩٣٩ ، دعاه مارشال إيتالو بالبو الحاكم العام الايطالى السابق فى طرابلس الى العشاء فى الخامس عشر من مارس . وفى أثناء حديثه مع مضيفه أندفع ضابطان الى الصالة دون مراعاة لقواعد اللياقة وسلماه برقية ، وقد اخبرنى فيلتهايم قائلا : « لقد ابيض وجه بالبو » الأسمر حتى أصبح فى لون الطباشير ، وقد بدا لى وكأن شفتيه ترتعدان ، مما دفع بى الى أن أسأله قائلا : « ياصاحب السعادة » ، ماذا جرى ؟

وهنا سلمنى بالبو البرقية ، وكانت تحوى خبرا من روما مفاده أن هتلر قد إكتسح بجيوشه تشيكوسلوفاكيا ، فأعدت البرقية الى المارشال بلا اكتراث ، فتسلمها بيد مرتجفة ، وقال : « انها النهاية المحتومة ! »

وفى اثناء تناولنا القهوة بعد ذلك استطعت أن استفسر من المارشال عما يعنيه بهذه العبارة ، فأوضح قائلا : انها الحرب العالمية التى ستنتهى بفناء المانيا وايطاليا ، ومن ثم ستضع حدا لعملى هنا فى ليبيا .

وبعد ذلك وصلت بنفسى الى طرابلس ، وكان الصديق فيلتهايم قد سلمنى توصية الى بالبو واستطعت ان اصل الى حيث انتهى فيلتهايم من حديثه ، وقمت برحلة طيران مع بالبو وبعض الضيوف الانجليز فوق مساحة كبيرة من ليبيا ، زرنا خلالها المزارع الأجنبية والقرى والمدن ، لم يكن بالبو شخصا استعماريا كالآخرين ، فقدانضوى تحت لواء الجيل الناشىء ، وحدد طريقه متأثرا بالمبادىء الاشتراكية الديمقراطية ، علاوة على انه كان على اطلاع واسع بمزايا الاستعمار ومساويه فى العالم ، وقد أخبرنى انه قد حصل على تقارير حول استعمار الهند الهولندية (اندونيسيا الحالية) ، ورجح كفة النظام الاستعمارى الهولندى على كفة الاستعمار الانجليزى الفرنسى .

هذا وقد انتهزت الفرصة لجمع بعض بيانات عن هذه الاماكن الهولندية ، وقد كان من المفيد حقا أننى اكتشفت العكس تماما ، فان الخبراء الهولنديين آن ذاك قد اعترفوا بسياسة الاستيطان التى اتبعها موسولينى فى غير رحمة .

وقد اخضعت طرابلس وبنغازى وحمص عام ١٩١١ فى حرب طرابلس الايطالية ، وظل الايطاليون يحاربون السنوسى من عام ١٩٢٣ الى ١٩٣١ ، ثم اتحد سكان طرابلس الايطاليون مع سكان سيرانيكا فى عام ١٩٣٤ لاستعمار ليبيا ، ولكن بعد أن خسرت ايطاليا الحرب فى عام ١٩٤٥ نزلت عن جميع مستعمراتها وكانت ليبيا التى تبلغ مساحتها ١٫٧٥٩٫٤٥٠ ك.م.م أول دولة مستقلة فى افريقية ، اذ حصلت على هذا الاستقلال فى عام ١٩٤٩ على يد الأمم المتحدة .

ويعترف الليبيون أن الفضل فى تحريرهم يرجع الى الأمم المتحدة، ولقد كان ذلك جراة بالغة منها عندما تعهدت بمنح الحرية والاستقلال لأفقر بلد فى العالم ، ذلك لأن ٩٥٪ من مساحة ليبيا مناطق صحراوية مجدبة ، وفوق هذه الأرض القاحلة يقاسى شعب يبلغ تعداده مليونا ومائة وستة وثلاثين الف نسمة الويلات من جراء خسائر الحرب الشديدة ، وقد ساعدت الامم المتحدة طفلها الصغير بارسال الخبراء الدوليين الذين ما زالوا يعملون حتى اليوم كمستشارين لحكومة هذه المملكة فى جميع وزاراتها محاولين الأخذ بيد هذا الطفل فى سبيل المشى!

حفيد مؤسس الأسرة السنوسية

ان الأسم الكامل للملك ادريس الأول الذى يعتبر أول ملك ليبى هو « السيد محمد ادريس الأول السنوسى » . وقد ولد فى الثانى عشر من مارس عام ١٨٩٢ فى جغبوت وهى واحة فى جنوبى سيرانيكا ، وقد

ولد جده الشيخ محمد على بن السنوسى فى الجزائر حيث أسس الأسرة السنوسية هناك عام ۱۷۸۸ – ۱۸٦۰ .

والسنوسيون مسلمون متعصبون أصلهم من سكان الجزيرة العربية المتمسكين بالعقيدة الاسلامية الذين يشعرون بعداء شديد لجميع الأوربيين عامة ، وقد أصبح تعصبه عاملا سياسيا هاما فى كفاحه ضد الاتراك ، واصطحب الملك الحالى وهو فى الخامسة من عمره والده الى كوفرا حيث منبت القبيلة الرئيسى وذلك كى يتعمق فى علوم القرآن والعقيدة الاسلامية بمدرسة القبيلة .

ويشبه الملك ادريس السنوسى فى شخصيته وطباعه الملك « محمد الخامس » ملك مراكش الذى طبع بطابع الاسلام : فالملك ادريس يعتبر من ابرز العارفين بالقرآن كما يمتلك مجموعة من المصاحف المخطوطة النادرة .

وهو بصفاته هذه يعتبر رجل دين أكثر منه رجل دولة ، فتراه بلحيته الكثة مرتديا دائما عباءة سوداء وعلى عينيه نظارة ذهبية .

ومع هذا فقد عرف كيف يصبح ملكا ديمقراطيا ، اذ سار فى ديمقراطيته على أساس يرتبط بايمانه المتأصل فى أعماق نفسه ، فهو ليس زعيما سياسيا بقدر ما هو زعيم دينى لشعبه كمحمد الخامس. وعلى الرغم من معارضة بعض القبائل له ، فان المرء يشعر على الفور باحترام لايمانه الذى لا يتزعزع .

وقد ارتحل ادريس بعد دراسته ، فى مدرسة القرآن فى الكوفر الى السودان المجاورة فى قافلة من الجمال ، وتلقى فى أثناء الطريق خبر وفاة والده ، فيمم به حادى الجمل الى الحجاز ، فكان ذلك من دواعى تخفيف احزانه ، اذ كان معناه الحج الى مكة المكرمة ، ثم اتجه بعد ذلك الى مصر ونزل فى ضيافة الخديو بقصر رأس التين بالاسكندرية ، وفى أثناء رحلته من الحجاز الى مصر وطد أواصر الصداقة مع الاسرة الهاشمية التى ينسب اليها الحسين بن على الذى أصبح فيما بعد ملكا .

وكان والد ادريس الأول هو الامام محمد المهدى وكما كان خليفة لأبيه كزعيم دينى للسنوسيين أصبح ابنه ادريس خليفة له أيضا ، وقد ولاه أحد أبناء عمومته وهو أحمد بن الشريف ، وكان ذلك وهو فى الخامسة والعشرين من عمره ، وفى عام ۱۹۱٥ وسط اضطرابات الحرب العالمية الاولى عندما ذهب موليه المخلوع (أحمد بن الشريف) الى المنفى تولى الى جانب المهام الدينية المهام السياسية أيضا .

وكالحال مع جميع السنوسيين كان ادريس دائما رجل الصحراء العامل من أجل الاستقلال ، كما كان على استعداد دائما للدفاع عنه بكل مرتخص وغال . فحارب السنوسيون الى جانب الاتراك والالمان ضد المستعمرين الايطاليين في الحرب العالمية الاولى ، وقد أصيب السنوسيون بضربات ساحقة حطمت الشعب السنوسي وقيادته ، ولكن السنوسيين لم يستسلموا في نضالهم التحرري على الرغم من كل ذلك ، فحاربوا ببطولة نادرة ، ويرجع ذلك كله الى اميرهم سيد محمدادريس السنوسي الملك الحالي ، ولم يستطع الايطاليون أن يقللوا من شأنه فأعطوه وعدا بالموافقة على انشاء امارة سيرانيكا .

واحد وعشرون عاما في المنفى

حاول السنوسيون والايطاليون في بادىء الامر أن يتعاونوا معا تعاونا طيبا بقدر الامكان ، فدعي الزعيم السنوسي الذي كان يبلغ من العمر ثلاثين عاما آن ذاك الى روما في عام ١٩٢٠ لحضور تتويج الملك فيكتور عمانويل الثالث ، ولكن سرعان ما استولت الفاشية على مقاليد الحكم ، وظهر التعارض بين رغبة السنوسيين ورغبة موسوليني في انشاء امبراطورية رومانية جديدة ، فشعر السنوسيون بالغدر ، ولكنهم بذلوا جهودا جبارة لتحاشي الدخول في منازعات مع الايطاليين ، وتحولوا معنويا فقط ، بل انهم سعوا الى طلب المعونة العسكرية أيضا » وغادر السنوسي بلاده بعد أن احتل الايطاليون سيرانيكا وطرابلس الايطالية ، وذهب الى المنفى مع عائلته في مصر ، حيث مكث فيها واحدا وعشرين عاما ، وهنا حاول عقد صداقات مع الشخصيات الانجليزية ، ومنذ هذا الوقت توطدت صلته بالاسرة الانجليزية الحاكمة ، ويعتبر ادريس الاول اليوم بالنسبة للملكة اليزابيث كدوق أدنبرة ، فالصورة الوحيدة التي في حجرة ملك ليبيا هي تلك التي أهدتها اليه الملكة اليزابيث الثانية. ومما هو معروف أن انجلترا قد اقترحت تعيين الأمير السنوسي كأول ملك للمملكة الليبية لوقوفه مع شعبه الى جانب الحلفاء في أثناء الحرب العالمية الثانية .

وفي الثاني من ديسمبر عام ١٩٥٠ نودي بادريس الأول ملكا على ليبيا ، ولكنه ارتقى العرش بعد سنة من هذا التاريخ اي بعد الرابع والعشرين من ديسمبر عام ١٩٥١ .

ويعيش الملك ادريس معظم وقته في الديوان الملكي في طبرق ذات الجو البحري المنعش في اكيدا كما يمتلك قصرا فيها ، ونادرا ما يذهب الى العاصمة طرابلس التي يبلغ تعداد سكانها ١٤٠ الف نسمة للاقامة

فى ذلك القصر المسمى « ايتالو بالبو » الذى شيد مقرا لآخر حاكم عام ايطالى .

ولقد كان لمساندة الملك للمذهب السنوسى واعتباره له فى مرتبة عقيدة الدولة ، ولما أضفاه على اقليم السيرانيكا من الامتياز عن باقى اقاليم الدولة فى بعض الشئون السياسية، كان لهذا كله ايجاد معارضين له حانقين عليه الى حد القاء بعض القنابل عليه فى طرابلس عام ١٩٥١. ومنذ ذلك الوقت وهو يتحاشى أن يوجد فى تلك المدينة .

وقد تزوج الملك اربع مرات لم ينجب فيها خليفة له ، وقد حكى ان زوجته الأخيرة قد أجهضت أربع عشرة مرة ، أما زوجته فى المرتبة الأولى فهى ابنة عمه أحمد السنوسى ، وتدعى فاطمة ، وقد انجبت له ابنا ولكن سرعان ما توفى بعد مولده على الرغم من عناية ثلاثة من الأطباء الأمريكيين بالأم والطفل . وبعدئذ تزوج الملك مرة أخرى فى القاهرة احدى بنات قبيلة مصرية تدعى قبيلة الموم ، وعندما لم تنجب له هذه الزوجة الشابة خليفة له عين أخاه السيد « محمد الراضى » السنوسى وصيا على العرش ، ولكنه ما لبث أن توفى فى الخامس والعشرين من يوليو عام ١٩٥٥ . وتولى مكانه ابن أخيه الذى حظى بحب الشعب .

هذا ويبلغ عدد أعضاء الأسرة المالكة ثمانين من الذكور ويسمع المرء أحيانا عن خلافات عائلية بين هؤلاء الافراد ، كأن يتبع ثلاثون منهم فرعا آخر من الاسرة ، أو ان يعيش عدد من الأمراء فى المنفى طبقا لأمر الملك ، هذا وقد حدث أن حوكم أحد ابناء عمومة الملك بتهمة قتل أحد موظفى البلاط ، وذلك فى عام ١٩٥٥ .

ماذا قرر طبيبه البشرى ؟

والمعروف عن الملك ادريس الأول ملك ليبيا انه من اطيب الملوك فى الأرض ، فهو يتولى واجباته بنفسه شخصيا لأن على ادائها يتوقف مصيره ، ولا يتوانى عن بذل قصارى جهده فى تأدية هذه الواجبات على الوجه الأكمل . أنه ملك تجرد من المطامع الدنيوية ، فنسب اليه كثير من الليبيين الضعف ، وقد اتجهت النية لتولية ولى العهد بدلا من هذا العجوز . .

وعندما كنت أعد نفسى للرحلة الافريقية أعطانى طبيب شاب من مستشفى المناطق الحارة فى همبورج اللقاح الضرورى للحصانة ضد أمراض تلك المناطق وأخبرنى بأنه لن يتمكن من استكمال تحصينى لأنه كان مضطرا للسفر بالطائرة لمعالجة أحد مشايخ البدو فى الصحراء

الليبية من مرض خطير ، وقد نجح هذا الطبيب فى انقاذ حياة الشيخ، مما جعل له مكانة مرموقة فى ليبيا ، فتلقى دعوة لكى يصبح طبيباً خاصا للملك ، وما زال حتى اليوم فى منصبه هذا . وقد قص على ما ملخصه : انه لم تمض عليه سوى بضعة ايام بالديوان الملكى فىطبرق حتى اتضحت لى معالم شخصية هذا الملك المحببة : فمنذ اليوم الأول لم يكن طبيبه الخاص الذى يثق فيه ثقة عمياء فحسب ، بل أصبح صديقا للعائلة الملكية كلها . يوكل اليه امر تطبيبها . وكان من واجباته أيضا أن أصبح مستشارا لهذه العائلة الملكية عند قيامها برحلة الى الخارج .

ويشعر المرء فى حضرة هذا الملك بكثير من الارتياح والسرور . وهو بالرغم من بلوغه السبعين يستيقظ للصلاة كل يوم عند شروق الشمس ، ولا يبدأ عمله دون أن يقرأ بعض سور القرآن بلغته العربية التى لا يجيد لغة غيرها .

وقد رغب ان تختفى صورته من طوابع البريد واوراق البنكنوت الليبية ، ولم يرغب فى أن تسير الثقافة وراء توجيهات منه .

ضد التطرف السياسى نحو الشرق

وتتعاون المملكة الليبية مع جميع أقسام الامم المتحدة التىأنشأتها ومنحتها الاستقلال ، ولكنها بالرغم من ذلك لم تقبل عضوا فى الأمم المتحدة بسبب تدخل الحكومة السوفييتية ، وبصفتها دولة عربية فقد اصبحت عضوا فى جامعة الدول العربية وهى تؤيد الجهود التى ترمى الى خلق جو افضل للتعاون بين جميع بلاد العرب ، وقد أرسلت ليبيا مندوبيها الى المؤتمرات السياسية الكبرى فى باندونج واكرا واشار الملك ، كما اشار الحبيب بورقيبة ، فى أوائل عام ١٩٦٠ الى التجارب الذرية الفرنسية على أنها عمل لا يتفق مع الاحترام للشعور الانسانى ، وقد ألمت الحكومة بالموقف لاتخاذ اجراءات حاسمة فى هذا الصدد ، وذلك لتأمين كيان المواطنين الليبيين .

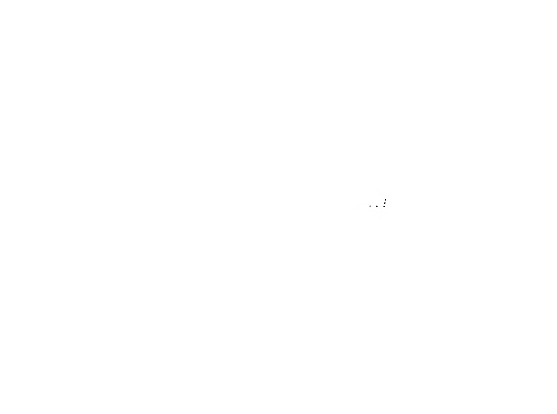
وساعدت انجلترا وفرنسا هذه الدولة الناشئة فى النواحى الاقتصادية بصفة خاصة، هذا ولكل منالدولتينقواعد جوية فىالأراضى الليبية . وقد أقامت الحكومة الليبية اخيرا علاقات دبلوماسية مع الاتحاد السوفييتى ، ولكنها تحاشت أى تغلغل سياسى من الشرق ، وكثيرا ما أوضحت الحكومة الليبية رغبتها الاكيدة فى تسوية النزاع الجزائرى ، فقد اكد ادريس الأول فى احدى خطب العرش فى فبراير

عام ١٩٦٠ أن ليبيا ستقدم لحرب التحرير الجزائرية جميع المساعدات المادية والأدبية الى أن يحصل الشعب الجزائرى على الحرية والاستقلال الكاملين . ويكن الملك لمصر التى تزوج احدى بناتها كل ود وتقـدير ، كذلك شعبه الذى يشاركه فى اعجابه وتقديره للرئيس جمال عبد الناصر

ومن ناحية اخرى فقد أشار الحبيب بورقيبـة رئيس تونس فى تصريحاته عن اتحاد دول شمالى افريقية فى المغرب الكبير ، بأنه يود ان يرى فى هذا الاتحاد مراكش والجزائر وتونس وكذلك ليبيا .

وربما لا تنحاز ليبيا الى مصر أو تونس ، وتظل على الاقل حيادية وأن تحافظ على هذا الحياد الدقيق الذى يضعه الملك نصب عينيه ، فربما كان من الأفضل لهذا البلد اذا ما ظل على الحيـاد بين مصر اى الجمهورية العربية المتحدة وبين تونس اى المغرب الكبير المنتظر .

وقد صرح المعلق الأمريكى جونتر بأن شمالى افريقية يحتاج بحق الى بلد متحرر ، وانه من الضرورى أن تتلقى ليبيا مسـاعدات فنيـة غربيـة والا أمكن هـذا البلد أن يقع بين براثن التهـديد الفوضـوى والشيوعية والاتحاد العربى .



ابراهيم عبّود

الفيلد مارشال يدبّر انقلاباً عسكرياً

ان انهاء الاحوال القائمة كان الطريق لانقاذ البلاد ، وهكذا كانت ثورة الجيش هى الجواب الطبيعى على نداءات المواطنين ، فان الجيش ماهو الا أداة الشعب ، يحس باحساسه ، ويتفاعل معه .

ابراهيم عبود

***

استدعانى رئيس البوليس فى نيروبى فى أحد الايام وقد أراد أن يسلمنى بنفسه تأشيرة للدخول الى السودان ، وفى أواخر يناير من عام ١٩٥٦ كان ينبغى أن يصبح السودان مستقلا ، وكانت العـــلاقات مع الكومنولث طيبة جدا ، وكان رئيس البوليس يمثل بريطانيا كما يمثـل الحكومة السودانية التى ستتولى مقاليد الأمور فى غضون الأسابيع القليلة القادمة .

وكنت أنتظر هذه التأشيرة منذ ستة أشهر حتى فقدت الامل فى

الحصول على تصريح السفر ، وفى تلك الايام كان قد عم الاضطراب وعدم الثقة فى جنوبى السودان فقد أنبأنى كثير من اللاجئين من بينهم مبشرون انجليز وأمريكان بوقوع أعمال وحشية مخيفة.. وقال لى رئيس البوليس: لقد تلقينا بشأنك تقارير طيبة وأخرى سيئة ، ولكن يبدو أن الطيبة قد تغلبت على الاخرى ، فحصلت على التأشيرة ، ثم تقابلنا مرتين بعد ذلك فى حفلتين ، فرجانى ان أزوره فى مكتبه اذ يود أن يخصنى بنصيحة وقد كنت أرتدى (جاكت) صفراء بأزرار مذهبة فاوصانى فى الحاح أن أخلع هذه الازرار قبل مواصلة رحلتى وان أستبد بها اخرى ذات لون أسود لانى لست انجليزيا ، اذ هذا أدعى لسلامتى عند دخولى السودان وبالفعل قمت بتنفيذ النصيحة ، وعندما وصلت الى العاصمة السودانية

الخرطوم (٨٠٠ر٠٠٠ نسمة) لاحظت أن طلبة كلية غوردون السودانيين يرتدون (جاكتات كلوب) بأزرار مذهبة طالما هم لايرتدون زيهم الوطنى، فتيقنت أن مخاوف رئيس البوليس لاأساس لها ٠

رجال مهذبون بالفطرة

لقد استمرت الثورة المصرية التى قامت فى يونيو عام ١٩٥٢ ثورة بيضاء وقد جاء فى مؤلف أصدرته القوات المسلحة المصرية عن أهداف الثورة وأسباب نجاحها أنه «لم تتدحرج رأس على الرمال ، ولم ترق نقطة من الدماء» لقد عزل حاكم وأخرج من البلاد بكل تكريم ٠

وقد تم تسليم السلطة فى الخرطوم فى الأول من يناير عام١٩٥٦ فى الوقت الذى كانت تدور فيه المشاحنات البربرية فى جنوب السودان، فوقعت أعمال عنف وقتل وتنكيل وحشى ، كالذى حدث فى العصور المظلمة من تاريخ هذه القارة السوداء ، ولا يعرف حتى اليوم : هل هذه الحروب قبلية بين شمالى السودان وجنوبيه أو أنها فتنة أشعل أوارها الانجليز لكى تتاح لهم فرصة التدخل ؟

وفى نوفمبر من عام ١٩٥٨ حدث تسليم السلطة لثانية مرة فى تاريخ هذا البلد الحديث ، عندما عزل الضباط الانقلابيون الحكومةالرسمية ولكن مما يثير الاعجاب سلوك هؤلاء الثوار مع معارضيهم سلوكا حميدا ٠

حقا ان السودانيين شعب عجيب انهم « جنتلمن » بالغريزة ٠

السودان ومصر

ان لهذا البلد المتناقض على العكس من أغلب الدول الافريقية الاخرى تاريخا بعيدا طويلا ، فقد ثبت أن المجتمعات القروية المنظمة قد وجدت به منذ خمسة آلاف سنة قبل الميلاد ٠ وقبل ألفى سنة قبل الميلاد أيضا اكتسح المصريون السودان ، كما انتشر الاسلام فى السودان ، بعد ذلك عن طريق المصريين ، وقامت علاقات بين القطرين منذ عدة قرون ٠ وقد ثار الشعب ثورته مابين عامى ١٨٢٠ و ١٨٨٥ فى وجه السيادة المصرية التركية ، وانسحبت الادارة المصرية التركية فى عام ١٨٨٢بناء على توصية الإنجليز الذين احتلوا مصر ، وحينما خافت انجلترا غزو الفرنسيين للسودان (احتكاك فاشودا) احتلوه بأنفسهم ٠

وقامت الادارة السودانية تحت الاشراف الانجليزى المصرى نظرا لاتجاه المصريين الاخير ٠

وفى عام ١٩٥٣ وافق المصريون والانجليز على دستور جديد انتهى باعطاء الاستقلال الكامل للبلاد فى الاول من يناير عام ١٩٥٦ ٠

ولم يعرف أى سبب حاسم للتوتر الاخير الذى ساد العلاقات بين مصر والسودان ، فأدى الى حدوث انشقاق خطير بين البلدين ، فمثلا فى فبراير عام ١٩٥٨ نشب نزاع على الحدود عند خط عرض ٢٢ وصدرت تصريحات شديدة اللهجة حول تقسيم مياه النيل الذى يعتبر مشكلة الكيان القومى بالنسبة لكلا الشعبين ٠ وقد انتهت هذه التصريحات بعقد معاهدة بين الجمهورية العربية المتحدة وبين السودان فى شهر نوفمبر سنة ١٩٥٩ ٠ وقد أظهر الرئيس عبد الناصر تقاربا ملحوظا فى هذا الصدد ، اذ ستحصل مصر على ٥٥٫٥ مليار متر مكعب من مياه النيل فى المستقبل ، أما السودان فسيحصل على ١٨٫٥ مليار متر مكعب ، هذا بالاضافة الى موافقة الرئيس ناصر على توطين السودانيين الذين ستغمر المياه أراضيهم ومنازلهم بعد تنفيذ مشروع السد العالى، وكذلك دفع ١٥ مليون جنيه كتعويضات ٠

وهكذا نجحت السودان الثورية برياسة جنرال عبود فى الاتفاق مع جار الشمال ، ذلك الاتفاق الذى ظلت ترفضه جميع الوزارات السابقة لجمهورية السودان الفتية ٠

انقلاب أبيض

وفى الساعة الثالثة من صبيحة السابع عشر من نوفمبر عام ١٩٥٨ وقع انقلاب فى السودان ، فقد أسقط الجيش بقيادة رئيس أركان الحرب جنرال ابراهيم عبود حكومة الرئيس الممالىء للغرب عبد الله خليل حيث قبض الجيش على زمام السلطة فى الليل واحتلت وحدات منه أهم ثلاث مدن فى السودان ، ولم تطلق رصاصة واحدة أو تحدث أية اعتقالات وقد أخطر ضباط الجيش الوزراء بخطابات أن الجيش قد تولى مقاليد الامور ٠ وقد أمر الرئيس عبود بحل جميع الاحزاب والبرلمان فورا ، وأوقف العمل بالدستور المؤقت ، وأعلنت حالة الطوارىء ٠

وفى اذاعة بالراديو أعلن الجنرال فى الساعة السابعة صباحا أن الجيش قد أخذ على عاتقه حماية الأمن والسلام فى البلاد ، لان الفساد الذى جاء نتيجة الأزمة السياسية العامة قد أفسد بدوره جميع أجهزة الدولة

والاحزاب ، فقد حاول كل حزب أن يحكم واستخدم فى سبيل ذلك العملاء الاجانب سواء من الشرق أو من الغرب ، ولا ينبغى أن ينسى الشعب أنه يرتكن الى جيش مثقف يصل تعداده الى أكثر من عشرة آلاف رجل ، وقد وعد أن يكون الانقلاب نقطة تحول الى التضامن والعزة ، ووعد بقيام علاقات أفضل مع الجمهورية العربية المتحدة ، كما وعد بحل سريع لجميع المسائل الفنية ، وكذلك أكد أن حكومته ستلتزم جميع التعهدات ازاء الامم المتحدة وجامعة الدول العربية .

وقد قام جنرال عبود بانقلابه ومعه اثنا عشر ضابطا ، وكثيرا مايتساءل الناس فى العالم كله ، من يقف خلف هذا الرجل ياترى ؟

فنادرا ماكان يظهر جنرال عبود فى المجتمعات حتى هذا الوقت ، ومن المعروف أنه صديق حميم لرئيس الوزراء المخلوع عبد الله خليل

هذا وقد أصدر قانونا يقضى بتسليمه مهام السلطة التشريعية والتنفيذية والقضائية ، فأصبح رئيسا للدولة والحكومة ووزيرا للدفاع بجانب كونه رئيسا لأركان حرب الجيش ، وسرعان ماتأكد للناس أن عبودا غير مؤيد من ناصر أو من الروس ، بل على العكس أن ثورة ابراهيم عبود قد تمت دون مساعدة أجنبية ، اذ استقرت الامور وسارت سيرها الطبيعى فى الخرطوم بعد يومين ونال الضباط ثقة الشعب وحبه .

الجيش أداة الشعب

ألقى جنرال عبود فى الذكرى الاولى للانقلاب الذى حدث فى ١٧ من نوفمبر عام ١٩٥٨ نظرة على تطور البلاد وأعلن فى الوقت نفسه أن أهداف برنامجه هى :

ان الانهاء السريع للأوضاع القائمة كان السبيل الوحيد لانقاذ البلاد وقد قرر الجيش أن يكون هو البادىء فى هذا السبيل لانه لم يتسلح ضد مصلحة الشعب ، وقد كان الجيش رمزا للاتحاد على حين انقسم الشعب على نفسه شيعا وأحزابا ، فقد كان معروفا لدينا ماورثناه عن العهود السابقة ، وأعدكم أن يكون هدفنا هو اصلاح الأوضاع الفاسدة وانني أعلم أنه لايمكن الوصول الى تقويم المجتمع على أساس ثابت وسليم فى عام واحد ، الا أننى عندما أفكر فى جهود الثورة خلال العام المنصرم أشعر بسعادة أكبر ، فقد وصلت بلادنا فى العهود السابقة الى حالة اقتصادية يرثى لها ، ذلك لان المواطنين لم يكرسوا وقتهم للانتاج بل للمنازعات الحزبية التى استغل زعماؤها مؤيديهم دون واجبهم القومى ، فكانت

النتيجة تضخما فى الميزانية ، وعجزا فى الميزان التجارى وعدم تسويق القطن وايقافا للاستثمارات الاجنبية والوطنية واهمال التجارة والاعمال الحكومية كما كانت الاعمال السياسية الخارجية غير واضحة المعالم .

وقد وعدتكم فى أول خطاب ثورى أننا نود أن نقضى على الفرقة المصطنعة التى تسود علاقاتنا مع الجمهورية العربية المتحدة ، فان هذه الفرقة لاتفيد الاوضاع القومية لكلا الشعبين ، فبعد أن اقتنعت الحكومة بأن الجو المرغوب فيه ساد العلاقات بين البلدين أرسلت وفدا من أعظم رجالها الى القاهرة ، ذلك الوفد الذى كان على ايمان شديد بأنه سيمكن الوصول الى تسوية عادلة « بشأن تقسيم مياه النيل» ،وان هذه المعاهدة قد فتحت أمامنا آفاقا واسعة لتنظيم تجارتنا وارسال قمحنا الى السوق بطريق مكن الشعب السودانى من احراز نجاح اقتصادى مستمر لاننا الآن فى وضع يمكننا من استغلال ثروة مياه النيل بأقصى درجة ممكنة ، كما سنقوم فورا باتخاذ الاجراءات اللازمة لتشييد خزاناتنا التى ينتظر أن تحول ملايين من الأفدنة البور الى مناطق خضر واسعة ، فندعم تقدمنا الزراعى ، ويسرنى أن أعلن لكم أننى قد كونت مجلسا له سلطات مطلقة تحت اشراف أعلى مجلس قضائى من واجبه أن يقوم بتقديم الاقتراحات البناءة فى كيفية مشاركة المواطنين فى حكم البلاد على أسلم وجه ، ليقوموا بدور فعال فى تطوير شئونهم . ونأمل أن تمهد هذه الاجراءات الطريق الى الدستور الذى سيتفق مع تقاليد مجتمعنا .

جندى بلا مطامع شخصية

فى احدى مقابلاتى جنرال عبود قال : «اننا جنود ونفضل أن نعود الى ثكناتنا ومعسكراتنا اليوم قبل الغد وسنتخلى عن مقاليد الحكم فى الوقت الذى تذلل فيه جميع العقبات دونالمساس بأى رجل منالسياسيين فهم أحسنوا صنعا عندما حافظوا على الهدوء والأمن ، وربما تدعو الحاجة الى جميع الشخصيات السياسية المستقلة فى أنحاء البلاد خلال سنين ، وكذلك الى المدنيين ، وان العسكريين ليسوا هـم الذين سيتولون أمور الدولة فيما بعد» .

ان الفريق «ابراهيم عبود» رجل محافظ نبيل ذو جلد ، فاتح اللون له رأس كبير ، وينم وجهه أحيانا عن الغضب والبربرية ، أما فى حياته اليومية الشخصية فهو مرح عطوف ، انه «جنتلمان بالغريزة» كما أنه لا يمثل معنى الدكتاتور أكثر من نصل سيف حربى قديم .

وهو متزوج ، وله خمسة أولاد يكن لهم حبا شديدا يبديه فى أثناء

وقت فراغه ، هذا وهو يمارس سلطاته كرئيس دولة فى ثكنات القيادة العامة للجيش غالبا ، لانه يحب البساطة الشديدة وليست له أية مطامع شخصية .

ولد ابراهيم عبود فى يوم ٢٦ من اكتوبر عام ١٩٠٠ كابن لأسرة من الفلاحين بمدينة صغيرة جنوبى السودان الشرقى على البحر الأحمر ، وقد التحق بمدرسة سواكن الابتدائية ، ثم التحق وهو فى الرابعة عشرة بالقسم الفنى بجامعة جوردون فى الخرطوم (وهى الجامعة التى أطلق عليها اسم جنرال تشارلس جورج جوردون) ، ثم التحق وهو فى السابعة عشرة من عمره بالكلية الحربية وأصبح ملازما فى القوات المصرية فى السودان فى يوليو عام ١٩١٨ .

وفى عام ١٩٢٥ رقى الى رتبة نقيب فى الجيش السودانى الناشىء وساعد فى انشاء سلاح خدمة الجيش وسلاح المهمات للقوات المحاربة السودانية ، ثم أرسل الى انجلترا لمواصلة تدريبه الحربى ، حيث سافر كعضو لبعثة المشتريات الحربية الى انجلترا ، بعد أن تعلم الانجليزية جيدا .

وقد أنعم عليه فى أثناء الحرب العالمية الثانية خلال قتال اريتريا واثيوبيا وليبيا ضد الطغيان بارفع الأوسمة وظل يعمل مدة طويلة فى قيادة الجيش الثامن وقيادة القوات العربية الشرقية ، ثم انضم الى قيادة قوات الهجانة الانجليزية بعد انتهاء الحرب .

وفى مارس سنة ١٩٤٩ أصبح عبود قائدا وطنيا للقوات السودانية وفى عام ١٩٥٢ صار أول رئيس أركان حرب سودانى بالقيادة العامة للقوات المسلحة السودانية ، وفى عام ١٩٥٤ أصبح أميرالا ونائبا لرئيس هيئة أركان حرب الجيش السودانى . وفى عام ١٩٥٦ صار رئيسا لأركان حرب ، وفى يناير عام ١٩٥٧ رقى الى رتبة الجنرال .

وقد قام خلال هذه السنوات بعدة رحلات الى أوربا وآسيا لشراء أسلحة للسودان ، وعندما حدث الانقلاب العسكرى فى ١٧ من نوفمبر عام ١٩٥٨ شكل عبود مع رفاقه القدامى الموثوق بهم المجلس الأعلى للقوات المسلحة السودانية برياسته شخصيا .

ومن المعروف أنه كرئيس للدولة وللوزراء وكوزير للدفاع كثيرا مايتدخل فى أعمال وزير الخارجية .

وللقطع بنجاح الانقلاب ، كان لابد أن يعلن كل من عبد الرحمن المهدى وعلى الميرغنى ، وهمازعيما أكبر طائفتين اسلاميتين ولهما نفوذ

واسع ، ثقتهما بعبود وبرجاله من الضباط : فالمهدى زعيم طائفة الانصار والميرغنى زعيم طائفة الختمية وهاتان الطائفتان هما اللتان تهدفان أولا وأخيرا الى المحافظة على التقاليد الاسلامية فى السودان ٠

الضباط منقذو الديمقراطية

ولما كان الانقلاب العسكرى الذى حدث على يد عبود ورفقائه مثار قلق واضطراب لافى أفريقية وحدها بل فى العالم أجمع فان المرء يحس سريعا بحدة الموقف فى هذا الجزء من افريقية ومن ثم فقد نشأ الشعور بعدم الثقة فى جميع الساسة العسكريين وخاصة عنـــدما يسرح المرء بأفكاره الى الانقلابات العسكرية والدكتاتوريين العسكريين فى بقية أنحاء العالم ٠

ففى باكستان استولى جنرال أيوب خان مع أربعة جنرالات عـلى الحكم ، وفى تايلاند كان الفيلدمارشال ثاراجات ، وفى بورما كان جنرال «كيوين» رئيسا للحكومة ، وأصبح جنرال شهاب القائد العام للجيش اللبنانى رئيسا للدولة ، وجنرال «نجودين ديم» رئيسا لوزراء فيتنام وفى مصر جارة السودان حكم جمال عبد الناصر مع رفاقه ،وقد أصبح جنرال ديجول رئيسا لفرنسا ومنظما للاتحاد الفرنسى واستولى جنرال جورسيل مع مايسمى «بلجنة الوحدة القومية» على السلطة فى تركيا ٠

ونلاحظ فى البلاد الزنجية على وجه الخصوص ، أن الشعوب هنـــا وهناك لم تستسغ بعد النظم الديمقراطية وهى النظم التى ازدهرت فى أوربا من قرون عدة ٠ وربما كان هذا السبب هو السبب الأساسى فى تحول أغلب الساسة العسكريين الديمقراطيين فى أفريقية الى دكتاتوريين ذلك لان العسكريين وهم الذين اعتادوا تقاليد معينة تهدف الى المثـــالية وعدم التفريط فى النفس أو فى الوطن يكونون أكثر حرصا على الديمقراطية من أغلب الساسة ، وهنا يزول الخطر من أن تصبح السياسة هــــدفا شخصيا ، فتدافع الدكتاتوريات العســـكرية عن الديمقراطيات ضـــد الشيوعية أكثر من السياسيين ، هذه كلها خواطر تدافعت تلقائيا على أساس التطور والتغير فى السودان ٠

ولان هذه الخواطر على جانب كبير من الأهمية بالنسبة للجميع فقد وضعت على بساط البحث فى مؤتمر الحرية والحضارة فى دور انعقاده للمرة العاشرة فى برلين ٠

ولقد أورد المعلق الفرنسى «ريموند أرون» نتيجة حديثه أخيرا مع أحد المحررين البرازيليين ، فقد سألت المتحدث : «لماذا يقوم الضباط

دائما بالثورات في جنوب أمريكا ؟» • فأجاب : لان ضباطنا يقـدرون عبقريتهم ،وهم وان لم يكن لديهم الثقة بأن الانقلابات التى قاموا بهـا يمكن أن تعمل على وحدة الجيش والشعب أو لارساء أساس لنظام متحرر مع القضاء على الاخطار المعينة ، يجب التسليم بأن لديهم طموحا غير عادى للتقدم السياسى والاقتصادى للوطن •

وفى دوائر أعمال المؤتمر السياسية بحث حول احتمال أن أساس فكرة الحرية يمـكن أن يستقر ويقوى فى بعض البـلدان عن طريق الدكتاتورية العسكرية وباستثناء عضوين أحدهما شيوعى والآخر هندى وافق المشتركون فى المؤتمر بالاجماع ، وهؤلاء كان بينهـم عدد من الافريقيين يرى أنه يجوز التجاوب مع الدكتاتوريين العسكريين بتوافر عاملين :

أولهما : اذا كان الحكم العسكرى قد نفذ اصلاحات اجتمـاعية واضحة المعالم •

والآخر : اذا ماأنشأ الحكم العسكرى فى الوقت المناسب ديمقراطية برلمانية قادرة عن طريق البناء المرحلى على الوصول الى الغايات المثـلى للبـلاد •

الاستقلال مسئولية

فى بداية احتفال الجمهورية السودانية بالعيد الرابع للاسـتقلال قال الرئيس عبود :

« ان أهمية الاستقلال تتركز فى كونه مسئولية قبـل أن يكون مصدرا للفخر ، وان القيمة الحقيقية للاستقلال تعرف فقط عندما يتحمل المرء التبعات التى يجلبها معه ، ويمكن تثبيت الاستقلال اذا شارك المرء بأعمال خلاقه ومهد للاصلاح الكامل الذى يمتد الى جميع قطاعات الحياة فى البلاد ، ويمس بعمق حياة كل مواطن ، وان تحقيق هـذه الأهداف يتطلب من الامة أن تتعاون كفريق متحد متناسق متكافىء للقضاء عـلى الجوع والجهل والمرض والعمل على احالة الصحارى القاحـلة الى مزارع خضراء ،أما فى الميدان الدولى فيمكن أن يلاحظ المرء بغبطة واسـتقرار الأوضاع وتخفيف حدة التوتر ، وهذه الحقائق تؤدى الى ازدياد امكانيات التعايش السلمى التى نهدف اليها جميعا وانتم تعلمون جميعا أن الجمهورية السودانية قد اعتنقت هذه المبادىء على أساس أنها ستساعدنا فى البنـاء

والتطور والتقدم ورفع مستوى معيشة مواطنينـــا وايقاظ مشـــاعرهم الوطنية» •

وقد أوضح الرئيس عبود أنه سيتعاون مع جميع البلاد وسيقبل المعونة الاقتصادية من جميع الشعوب طالما أنها لاتمس سيادة السودان •

ولكن الى أى حد يتعلق هذا بالاتحاد السوفيتى ؟ لقد ظل هذا غير واضح حتى الآن على الرغم من أن «عبود» قد أوضح وجهة نظره فى حديث صحفى مع جريدة الاهرام القاهرية فقد قال : «ان الشيوعية عدوى الأول انها قد وجهت نشاطها الآن الى افريقية تريد أن تربط الشعوب الافريقية بعجلة استعمارها حتى تحكمها فيما بعد •

ان أمام السودان اتجاهين : فاما انه يظل محايدا ، واما أن ينضم الى الكتلة الشرقية ، وعلى أية حال فان الدولة الوحيدة التى فهمت السودان هى يوغوسلافيا وحدها ، فأقامت العلاقات الاقتصادية المتينة معها ، ولا تريد بريطانيا أن تتخلى عن علاقتها التقليدية بها ، بل على النقيض فانها تعمل على تدعيم هذه العلاقات •

ومن جهة أخرى فان «ناصر» والجمهورية العربية يهدفان الى وجوب مشاركة السودان فى خطط الاتحاد العربى مادام لم ينضم الى الجمهورية العربية المتحدة •

أما الامريكيون فيهدفون الى اقامة علاقات سياسية واقتصـــادية جديدة على أساس الشعار القائل بوجوب ابقاء السودان باب افريقيـــة المفتوح للعالم الحر تحقيقا لقول شائع فى الخرطوم يتلخص فى أن من يملك السودان يملك افريقية •

سيكوتوري
الوطني الأفريقي الغيور

« أن نضال الشعب الغينى فى سبيل الاستقلال يعد واحـدا من الدوافع الرئيسية للنضال ضد الاستعمار فى افريقية، بالنظر الى تاريخ النضال التحررى للشعوب الخاضعة للسـيادة الاجنبيـة ، وذلك انه عندما يكون الاستعمار تجسيدا لما نعتبره استغلالا غير مشروع وخضوعا برغم الارادة ــ حيثما تتقدم القوة على الحق ــ يكون بهذا عقبـة لكل تطور طبيعى مستمر لأى شعب ، وخاصة ان الاسـاليب السـياسية المنطوية على الانانية والأثرة قد أحلت نفسـها لمقاومة حـركة التحـرر المنتشرة فى افريقية باطراد مستمر » .

سيكوتورى

في أحدى خطبه بعد الاستقلال

يبدو أن سيكوتورى يعد فى الحق اشد الساسة الافريقيين تطرفا، يبدو ذلك حين يذكر المرء ذلك الموقف فى اغسطس عام ١٩٥٨ .

قام رئيس الوزراء ديجول برحلة جوية عبر مدغشقر وافريقية ودعا لدستور جديد يدعو الى الاتحاد الفرنسى ، وقد قوبل رجل الدولة العسكرى فى جميع البلاد تقريبا بالاعجاب والترحيب ، أما فى داكار فقد رأى الأيدى ترتفع فى وجهه ملوحة بالاحتجاج وسمع صيحات الاستنكار وان جاء التصويت بالايجاب على ما جاء من أجله ، فأنشأ من السنغال والسودان الفرنسى « اتحاد مالى » وهو الاتحاد الذى تعاون فى أضيق الحدود مع فرنسا بعد حصوله على الاستقلال ، أما غينيا فقد اختلف معها الأمر .

نقض العهد مع ديجول

وكان الأمر فى غينيا مختلفا : ذلك لأن ما حدث لا يمكن التيقن من صحته لأن شهود العيان وناقلى الأخبار الافريقيين غالبا ما اختلفوا مع أمثالهم الفرنسيين ، ولكن المؤكد هو أن ديجول قد هبط الى كوناكرى فى ٢٥ من أغسطس لاجراء مباحثات وللتحدث مع الشعب ايضـا . وقد سافر ديجول مع الحاكم السابق بيير ميسمير وكان على سيكوتورى أن يلقى خطابا تمهيديا يوضح فيه آراءه السياسية ، وقد قبل ديجول فى بادىء الامر ، ولكن ميسمير اقنع ديجـول بالعـدول عن ذلك اكتفـاء بالاطلاع عليه .

واعتقد سـيكوتورى أن الخطاب قد حاز قبول ديجـول واتضح لسيكوتورى بعد ذلك أن ديجول لم يقرأ خطابه الذى لم يلق سيكوتورى منه شيئا اللهم الا اقوالا يسيرة تفيد « أن غينيا تطمح الى ان تظل فى المنظمة ست سنوات تقريبا ، على ان تكون عضوا فى المنظمة بكل معنى الكلمة وذلك لانها تطالب بالحق الكامل فى تقرير المصيروهذا يعنىالقضاء على اثر الاستعمار فى «الادارة والاقتصاد» وقد صفق سكان كوناكرى للكلام المختصر من زعيمهم المعتدل ، ولم يفاجأ ديجول بهذه الشروط. واصـدر تصريحات على جانب كبير من الخطورة فأعلن انه اذا أرادت غينيا أن تكون مستقلة فانه من جهته يوافق فورا دون أن يحدث أى تبادل بينه وبين سيكوتورى لوجهات النظر .

وكانت مفاجأة لسيكوتورى الذى غضب ، وشن أعنف هجـوم على ديجول ، وعبأ الشعب ضده وضد دستوره الجديد تحت شـعاره القائل بأن « غينيا تفضـل الحرية فى ظل الفقر على العبـودية فى ظل الغنى » ، وفى ١٨ من سبتمبر عام ١٩٥٨ صوت ٩٧٫١٢٪ ضد ديجول وبذلك نالت البلاد استقلالها فورا ، وفى ٢ من اكتوبر سنة ١٩٥٨اعلنت الدولة الجديدة . .

وكانت لا تزال هناك فرصة للوصول الى اتفاق مناسب منجانب فرنسا ، لولا أن الصدمة كانت بالغة العنف فى باريس مما دفع بديجول الى تصرفات سيئة كثيرة : فقد استدعىفورا جميع الموظفينوالمهندسين والمدرسين والأطباء والفرنسيين جميعا له فتوقفت جميع الاعمالوخلت البنـوك وشحنت أسلحة البوليس ومكتبة وزارة العـدل وأثاث قصر الحاكم ، كما قام بعض الفرنسيين بقطع التوصيلات الكهربية والتليفونية واتلاف جميع المنشآت الفنية ، وقطعت أشجار الفاكهة وخربتالحدائق وهدمت الأسوار ، وكتبت عبارات السبعلىجدران المنازل ، وصدرت

الاوامر الى سفينة تحمل خمسة آلاف طن من الأرز من فرنسا لتموين الشعب بالعودة فوراً .

وفجأة وجدت غينيا نفسها على حافة كارثة ولا سيما أنه قد استمر الفراغ السياسى والاقتصادى قائما بضعة شهور ، وبالرغم من تحذير عدد من الفرنسيين البعيدى النظر لباريس بالعواقب الناجمة من هذا التعسف فان أحدا لم يلتفت الى تحذيرهم .

لقد كان انفصال غينيا عن فرنسا غير ضرورى اليوم اذ لم يكن سيكوتورى يرغب فى ذلك .

وقد دعا سيكوتورى الى تغيير العبارة المكتوبة على النصب التذكارى للمحاربين الفرنسيين الى النص الآتى : « جمهورية غينيا ضحية الاستعمار » .

هذا ولقد أشار ماريون جرافين فون هوف فى هذا الوقت الى خطر الشيوعية متسائلا : هل أتى اليوم الذى تضع فيه الشيوعية اقدامها فى افريقية ؟ وعلى أية حال يجب ان يشيد نصب تذكارى ثان فى كوناكرى للاتحاد السوفييتى تعبيرا عن امتنانه لتصرفات ديجول وسياسته ، لأن الذى حدث هنا هو رد فعل للمناوأة والغرور اللذين يمكن أن يجلبا لقارة بأكملها الشؤم الذى تقع مسئوليته باستمرار على عاتق رئيس الدولة الفرنسى دون نزاع .

هذا هو رأى كثير من الفرنسيين كما هو رأى كثير من الخبراء فى العالم الغربى كله .

الاحتلال منذ عام ١٩٢٠

افتتح التجار البرتغاليون والفرنسيون والانجليز فى القرن الخامس عشر متاجرهم على الساحل ولكن اندفاع الباحثين والرحالة الى أعماق البلاد حدث لاول مرة فى القرن التاسع عشر . ففى عام ١٨٨٢ بدأ الفرنسيون سيادتهم على هذه البلاد التى تبلغ مساحتها مساحة ألمانيا الاتحادية أى ٢٤٥٫٨٥٧ كم م على حين يبلغ عدد سكانها ٢٫٦٠٠٫٠٠٠ نسمة فقط .

وفى عام ١٩٦٠ اصبحت كوناكرى عاصمة للبلاد ، ويبلغ عدد سكانها اليوم ٥٢٫٥٠٠ نسمة ، وفى عام ١٩٢٠ حصلت غينيا الفرنسية على وضعها كمستعمرة ، وقد سار التطور التالى محاذيا لمثيله فى جميع

البلدان الافريقية الاخرى الخاضعة للادارة الفرنسية ، وهكذا حصلت غينيا مثل المناطق الاخرى التى يضمها نطاق غربى افريقية على الاستقلال الذاتى الداخلى عن طريق المعاهدة المعقودة فى عام ١٩٥٧ . والآن تحدد مصير الغينيين ، وكان المتسبب فى ذلك شابا وطنيا يدعى سيكوتورى هذا الذى أصبح أول رئيس للدولة المستقلة .

فمن هذا الرجل الذى تقدم الجبهة امام ديجول ؟ انه ماركسى زعيم سابق لنقابات العمال فى مقتبل العمر ، رجل مجنون بالثقة فى نفسه وبالغيرة والحماس والارادة القوية ، حصل على اعلى الالقاب ، وهو لقب زيلى ومعناه « الفيل » او « سيد غينيا الأول » .

تثقيف بالمراسلة

ينتسب سيكوتورى الى قبيلة مالينيك الأسرة المحاربة المشهورة، ولد فى التاسع من يناير عام ١٩٢٢ فى فاراناه وكان جده محاربا متقاعدا يدعى المامى ساموری توری الذی حارب حتى نهاية القرن التاسع عشر ضد الفرنسيين حتى اسروه ، أما والداه فكانا من الفلاحين البسطاء ، وله ستة اخوة ، وقد التحق سيكوتورى بمدرسة المستعمرة التى تعتبر مدرسة شعبية فرنسية ، وسرعان ماأصبح مشغوفا بالتردد على المكتبات والاطلاع على ما فيها من كتب بمجرد معرفته للقراءة ، وانكب على قراءة دائرة المعارف لتحصيل المعلومات فى شتى نواحى المعرفة ، وقد اكتسب نضج المرحلة الدراسية الوسطى بالدراسة عن طريق الممارسة كما قال هو نفسه ذلك . والمعروف أن عائلته كلها من المسلمين .

وفى عام ١٩٤٠ كان قومسيونجيا فى شركة الزنوج الفرنسية ، ثم موظفا بالبريد ، ثم نقابيا . واختلف كثيرا عن الآخرين بسبب نشاطه الواسع ، وقد حصل على لقب «الفيل» . وأولى كلماته بعد أن انتخب رئيسا هى قوله :

« يجب أن يعمل الافريقيون كثيرا جدا ، لأن القوى البشرية العاملة هى رأس المال الوحيد للبلاد غير المتطورة » .

ولم يكن مستريحا للأوضاع القائمة حوله ، ويقال : انه رجل لا يعرف لين العريكة ، ولا الاستقرار ، وطموحه لا يقنع بما يصل اليه .

وفى عام ١٩٤٥ كان سكرتيرا عاما لنقابات عمال التليفونات والتلغرافات والبريد ، ثم سكرتيرا عاما لنقابات موظفى الخزائن، ومنذ

عام ١٩٥٠ وهو يشغل المركز نفسه فى نقابة الاتحاد العام للعمال. وقد أنشأ هذا المركز الاتحاد العام لعمال افريقية السوداء فى يناير عام ١٩٥٧ فى كوتونو ، ذلك الاتحاد الذى ذابت فيه جميع النقابات المختلفة .

وقد كانت النقابات الفرنسية تقع فى ذلك الوقت تحت وطأةالنفوذ الشيوعى ، فبدأ الشيوعيون بالاهتمام بتورى متأثرين بعبقريته الفذة اذ كان يستطيع القاء خطب رائعة بالفرنسية كما يلقيها أيضا «بالمالينيك» «والسيوسو» لغة البلاد الأصلية ، وقد سافر الى أوربا ودرس الحركة النقابية الشيوعية فى بولندا وتشيكوسلوفاكيا والاتحاد السوفيتى ، واكتشف أشياء جديدة عاد بعدها الى وطنه ماركسيا مؤمنا ، وأسس أولى النقابات فى غينيا ، وكان قد نظم فى عام ١٩٥٣ أحد الإضرابات الفعالة ، فنشأت عبارة مرتبطة بأيام الكفاح وهى أن سيكوتورى يستطيع أن « يقتل بالكلام » وبقيت هذه العبارة تسمع فى غينيا بعد ذلك كثيرا.

وفى عام ١٩٤٦ فى باماكو عاصمة السودان الفرنسى كان قد أنشىء حزب الجمعية الافريقية الديمقراطية ، وقد تعاون كل من هوفويت ، ويبفنى فى انشاء هذه المنظمة السرية التى كانت تعمل فى الاصل مع الشيوعيين وان كانت قد انفصلت عنهم اخيرا .

وقد بدا نجم تورى فى الصعود سياسيا مع حزب الجمعية الديمقراطية الافريقية . وبعد أن اصبح فى عام ١٩٥٣ قنصلا اقليميا فى يبلا اصبح فى نوفمبر عام ١٩٥٥ عمدة مدينة «كوناكرى» عاصمة غينيا.

وفى عام ١٩٥٦ صار ممثلا لغينيا فى الجمعية الوطنية الفرنسية وفى هذا الوقت انفصل عن « هوفويت ويفنى » ونظم حزب الجمعية الوطنية الافريقية فى غينيا على اسس ماركسية ، وكان عدد اعضاء حزبه « الحزب الديمقراطى الغينى » ٧٠٠ ألف عضو ، واصبح تورى الزعيم السياسى لغينيا .

وعندما أعلن القانون المحلى فى عام ١٩٥٧ انتخب نائبا لرئيس الجمعية التنفيذية ، واصبح فى الوقت نفسه قنصلا عاما لغربى أفريقية الفرنسية ، وانفصل بعد ذلك مؤقتا عن الماركسيين الذين هم على اتصال بموسكو ، وقد رأى سيكوتورى فى الاستقلال الذاتى الداخلى خطوة تقدمية ، اذ تتمكن غينيا عن طريقه من مواصلة تقدمها . وقد تطلع الى القانون على أنه حل انتقالى .

واخيرا وصل سيكوتورى الى حد الصدام مع ديجول ، فانتهزت دول الكتلة الشرقية ذلك وارسلت وفودها الثقافية والاقتصادية ،

وعقدت المعاهدات فانشأت غينيا مكتبا خاصا للتجارة الخارجية معدول الكتلة الشرقية .

وقد انتهز رئيس وزراء غانا على وجه الخصوص هـذه الفرصة فقـدم الدكتور نيكروما قرضا الى غينيـا فى حـدود عشرة ملايين من الجنيهات ، وكونت حكومتا غانا وغينيا اتحادا أعلن فى بلاغ مشترك يقول: « اننا تطبيقا لنظام الثلاث عشرة مستعمرة الأمريكية التى اتحدت بعد نيلها الاستقلال فى شكل اتحاد تطور اخيرا الى ما يسمى بالولايات المتحدة الامريكية قد توصلنـــا نحن رئيسى وزارتى غانا وغينيا باسم حكومتينا بتفويض كامل من مواطنينا الى جعل دولتينا كنواة لاتحـاد دول غربى افريقية » .

وقد اثار هـذا الاتحاد موجة كبيرة من التســاؤل : فالفرنسيون اشتعلوا غضبا من هذا الاستفزاز السافر القادم من غينيا ، أما الانجليز فقد ارتضوا سريعا بهذا الارتبـاط الحكيم ، فقـد اعلن نيكروما وثائق التصديق فى أثناء مؤتمر الشـعوب الافريقية الكبير فى أكرا فى ديسمبر عام ١٩٥٨ وتلقى التهنئة والاستحسان من مندوبى الشعوب الافريقية الا أن البعض ظل صامتا لا يسـتطيع التكهن بما يمـكن أن يكون وراء ذلك : فنكروما يريد أن يكون زعيما لافريقيــة المتحـدة على حين اعلن رئيس وزراء السنغال « أن حقوق غانا لا تهمه » ، ومن جهة أخرى لم يرغب النيجيريون والليبيريون معرفة شيء عن اتحاد «تورى» «نيكروما» .

المشاكل العنصرية هى مشاكل التربية

قابلت تورى قبل سنوات فى اثناء اقامتى فى كوناكرى فى الجمعية الوطنية ولكنه لم ينل اعجابى الذى ناله توم مبويا عندما رايته لاول مرة، فقد كنت متوترا بعيدا عن تلقى الانطباع الذى يمكن أن يتركه فى نفسى كرئيس لبلاده ، وعندما بدأت رحلتى الافريقية العاشرة كانت غينيا قد أصبحت مستقلة ، وسمعت انباء سيئة عن الحالة وكان الحديث يدور حول القبض على الأوربيين اثر ثورة ضد جميع البيض ، ولم يكن هذا كله مشجعا على الســفر الى هـذا البلد ، ولكنى على الرغم من ذلك تجرأت وكنت من أوائل الأوربيين الذين زاروا غينيا المستقلة .

واظهرت الرغبة فى الحديث مع الرئيس ، وسرعان ما اجيب طلبى فى عصر احد الايام اثر وصولى الى الفندق ، وتمت المقـابلة السـاعة ١٦٫٣٠ من اليوم نفسه حيث افصح لى عن انه لا بد من عقد اجتمـاع

لمجلس الوزراء مما دعانى الى التساؤل : هل لديه الوقت للحديث ؟
وقد رد الرئيس سيكوتورى على ذلك بقوله : انه قد حرر نفسه لمدة ساعة غادر فيها مبنى مجلس الوزراء لكيلا يضطر الى تأجيل لقائنا كما قال ، وقدذكرت هذه الحادثة لانها أظهرت لى انهذا الرجلشخص نموذجى برغم ما يقال عنه : « انه معروف بكراهيته العميقة للبيض فضلا عن مزاجه العصبى ، وقد عرفت فيما بعد ان هذا كله غير صحيح ، فهو رجل مؤدب طبيعى عطوف .

وبالنظر الى الحوادث التى حدثت فى الأسابيع الاخيرة كان من الغريب الحديث عن المشاكل العنصرية ، وقد استفهمت : هل يتبع سياسة ضد البيض والاسس العنصرية ؟ وكان رده أن أوقفنى عند مرحلة استفهامى نفسها قبيل انعقاد مجلس الوزراء ليسمعنى محاضرة خاصة حول المشاكل العنصرية .

قال لى : ان الانسان فى الوطن لا يعرف اى أحكام عنصرية ، فالاطفال على سبيل المثال لا يعرفونها ذلك ان المشاكل العنصرية مشاكل تعليمية تربوية . وقد تعلم الافريقيون من الاوربيين ، والسؤال الآن هو : هل من المجدى أن يفكر الافريقيون الا بروح عنصرية بعد أن قاسوا ذلك تحت نير الاحتلال والاستعمار ؟ أقول : انه لا ينبغى للأوربيين ان يظنوا ذلك ، فقد أعلنت لهم أن من يفكر أو يتعامل عنصريا فى بلادى فانه يقامر بشخصه لأن لكل عنصريته كما ان له عقيدته ، هذا ما لا يهمنى فى مجمله ، انما الذى يهمنى هو الانسان بكيانه مهما كان لون بشرته . وان هذا لهو المثل الذى أريد ان أعطيه فى غينيا وذلك بترحيبى بكل أبيض فى أى منصب كترحيبى بأى رجل أسود . ان بلادى تحتاج الى اناس ذوى نيات طيبة بصفة خاصة لاننا حصلنا على الاستقلال على الورق فقط ، وقد وصلنا الى تحقيقه ولذلك فاننا لم نحتفل باستقلالنا مؤقتا حتى الآن ، الأمر الذى سنفعله فيما بعد ، اننى لا أعلم هل تعرف شيئا عما دعوت اليه مواطنى فى يوم الاستقلال؟ لقد كان ما دعوت اليه الآن هو اننا قد بدأنا طريقا شاقا طويلا للعمل .

غينيا تتطلع الى الشرق

حين استقلت غينيا ورحل الفرنسيون عنها حافظ الغرب على البقاء بحجة الرغبة فى التضامن وذلك لانه يعلم أنه اذا غاب فان الشرق يستطيع أن يصبح صاحب اليد العليا ، ولدينا مثال حى على ذلك :

فلقد أراد تورى الحصول على السلاح للبوليس من امريكا لكى

يستطيع المحافظة على النظام والسلام فتردد الامريكيون شهورا طوالا دون أن يتكرموا حتى بالرد على ما طلب ، وأخيرا وصلت سفينةبولندية محملة بالاسلحة والذخائر التشيكوسلوفاكية !

وليس هناك من شك فى أن دول الكتلة الشرقية تنتظر أن تحصل فى غينيا على مراكز أعمال ، ففى الأسابيع الأولى لوجود هذه الدولة الفتية قدمت وفود من روسيا والصين وجميع بلاد الكتلة الشرقية الستالينية مثل تشيكوسلوفاكيا وبولندا ورومانيا وهنغاريا، وفجاةعقد سيكوتورى معاهدات ثقافية مع المانيا الشرقية ومع تشيكوسلوفاكيا ، وأخيرا مع الاتحاد السوفييتى، وقد سألته عن الغاية من ذلك فأجاب : لقد قدمت لى هذه المعاهدات ودرستها وصدقت عليها ، والآن حصلنا على المساعدة العلمية التى نحن فى أشد الحاجة اليها وأصبح فى استطاعتنا ارســـال طلاب العلم من بلادنا الى الخارج .

وهنـــا أتســـاءل عن دور تورى بين الســـاســـة الافريقيين الذين يتجهون الى الشرق وما غاية الاتحاد السوفييتى الذى أعطاه قرضا بلغ ١٤٠ مليون روبل كمساعدة عاجلة ؟.

يقال : ان الحكومة الســـوفييتية تعتقد أنه من الممكن أن تصبح غانا دولة نموذجية لاتحاد افريقية المستقل فى رداء الشخصية الشيوعية ويبدو أن الكرملين يأمل الا تسمح هذه الدولة النمـــوذجية باقامة أية قواعد عسكرية غربية ، وأن تظل على الحياد عسكريا .

هذا وقد نوه تورى مرات عدة باعترافات تلميحيـــة بالمـــاركسية ويشار الى أيديولوجيته بالتراجعية فهو قد وصل ايديولوجيا الى المرتبة الثانية بعد تيتو على الاقل وفى غينيا يشـــار الى الاسس الماركسية فى كلمات أو رءوس مسائل أو عناوين هى :

تورى القاضى على الاستعمار المتطرف ، نظام الحـــزب الواحـــد النظام الهرمى للجان التنفيذية فى البلاد كلها ، انضمام واندماج النقابات كلها فى الحزب الذى سيدعم أسلوبها التطهيرى ، فكرة التخطيط التى تسير فى نطاق مشروع السنوات الثلاث الذى تنفذه الحكومة للســـماح بتطوير الاقتصاد الغينى .

هذا ، وفى أثناء الاقامة فى مراكش قال تورى : لســـنا شيوعيين ولكنه يستشهد غالبا بالمركزية الديمقراطية الماركسية « فكل مواطن صالح للزعامة » ونحن نريد أن نصنع التاريخ لا أن نكون موجهين من التـــاريخ وبهذه الوسيلة نصل الى الأفضل من المصادر الاقتصادية والانسانيـــة لمصلحة الشعب .

وحينما يشير الى الاستثمارات الاجنبية نجده قد طور الافكار التيتوية « المنتسبة الى تيتو » فيقول :

« من هذه اللحظة فصاعدا حيث حددنا الشروط التى يمكن أن توجد الاستثمارات الأجنبية على اساسها فى غينيا ستظل اهدافنا كما هى دون تغيير » .

وقد انشأ سيكوتورى وكالة حكومية للاستيراد والتصدير بدلا من التجارة الراسمالية السابقة . هذا بالاضافة الى ان اكبر مؤسسة اقتصادية فى غينيا وهى شركة البوكسيت والألومنيوم تعمل اليوم مثلما كانت الحال سابقا تحت اشراف مهندسين فرنسيين وفقا لاسس راسمالية خالصة ، ولكن تمكن المكتب السياسى فى كوناكرى من الوصول مع الشركة الى تسوية تدفع الشركة بمقتضاها ضريبة على تصدير البوكسيت .

ولكل هذا أطلق على سيكوتورى لقب تيتو الافريقى ، وذلك لانه يشبه كثيرا ما رشال يوغوسلافيا ، فهو لايعترف بستالين كاله ولا بخروشوف كنبى وابعد من ذلك فانه ثبت ان تورى مثل تيتو الذى يخشى البلقانية فقد طالب تورى بانشاء اتحاد افريقى ، وعند زيارته لموسكو قال :

« أننا لا نعترف بشرق او بغرب بل نفهم ان هناك استعماريين »

وقد رحبت الحكومة السوفييتية بهذا الاتجاه الحيادى ولهذا احتفى به فى موسكو احتفاء عاصفا ، وتورى يتجه بتفكيره نحو المساعدة الدبلوماسية والمادية والمعنوية من الاتحاد السوفييتى ، وقد سعى فى الحث على الحصول على مساعدات متصلة بأن أشار الى غينيا كمركز لنضال جميع شعوب افريقية . فقد قال للرئيس فورشيلوف : ان غينيا بلد صغير ولكنا رفعنا راية الحرية عالية دون ان يعترينا اى خوف .

هذا وبعد أن طور تورى المغامرة الى نجاح اعترف معظم دول العالم باستقلال بلاده سريعا وقد حصلت غينيا على فوائد جمة تحت زعامته منها الاتحاد مع غانا ، وفى هذا الصدد يمكن القول بأن من الجائز أن يكون نكروما قد وجه سيكوتورى فى هذه الاثناء الى الراسمالية وهذا لا ينافى الاعتقاد بأن تورى يفكر فى ان يصبح الرجل الأول للدول الافريقية الاشتراكية على حين ان من العارفين من يعتقد أن الاتحاد السوفييتى لا يهمه كثيرا تقديم مساعدته لانشاء أول دولة اشتراكية هنا لأن البلاد صغيرة ، هذا بالاضافة الى أن الشخص الذى يحتاج الى مساعداتهم هو فليكس رولاند مومى زعيم المعارضة فى الكميرون الذى كون حكومته

فى المنفى، ومهما يكن من الامر فانه من الممكن تأييد سيكوتورى طالما ينهج منهج مارشال تيتو .

رأس جسر للاشتراكية فى غربى افريقية

غالبا ما تتضارب الآراء حول اتجاه غينيا الشيوعى حتى اننا لايمكن أن نأخذه مأخذ الجد ، وآية ذلك هى حوادث أوائل عام ١٩٦٠ ، فقد انفصلت غينيا عن فرنسا وانشأت لها عملتها الخاصة وشكت غينيا حكومة بون الى الامم المتحدة لامدادها الرئيس ديجول بالمال والجنود والمهندسين من أجل تنفيذ مؤامراته الافريقية التى تتمثل فى صناعة القنابل الذرية والفرقة الاجنبية ، وأخيرا فان غينيا تفاوضت مع بعثة بانكوف على حين أنكر سيكوتورى ذلك وهو الذى لم ينكر انه لم يقم يوما باتصالات دبلوماسية مع بانكوف .

هذا وقد قام تورى بالمفاوضات بنفسه مع خروشوف فى موسكو بعد أن زار وشنطن وبون ولندن ، وقد عرضت عليه موسكو وبكين الخبراء وفى هذه الأثناء اشتدت حدة الأزمة الاقتصادية فى غينيا الأمر الذى جعل سيكوتورى يعلن موافقته على المقترحات غير المشروطة المقدمة اليه من الشرق .

ولذا فان المرء كثيرا مايلتقى الآن بعديد من الخبراء الشيوعيين من جميع دول الكتلة الشرقية فى كوناكرى ، أولئك الذين يعملون فى مناطق خاصة ولكنهم يعملون فى الوقت نفسه كعملاء سياسيين ، فلم يسلم أى قطاع منهم ! .

فروسيا لا تساعد فى تنفيذ المشروعات الصناعية المختلفة فحسب وانما تقوم ببناء ستاد رياضى ضخم فى كوناكرى ، على حين يقوم مدربون مجريون بتدريب الفرق الرياضية الغينية .

ويقوم الصينيون بتطوير التعاونيات الزراعية الى الكوميونات الصينية بالاضافة الى ان الاخصائيين الروس يعاونون فى ذلك وينشئون كلخوزات على النمط السوفيتى

وبين صفوف الجيش مجموعة من الضباط التشيكيين يعملون على تنظيمه على حين يتدرب ضباط الصف الغنيون فى تشيكوسلوفاكيا .

هذا ، وقد ارسل الاتحاد السوفييتى واحدا من أعرق خبرائه فى الشئون الشرقية كسفير الى كوناكرى وهو : دانيال س. سولود

الرئيس الحالى لقسم الشرق الأدنى فى وزارة الخارجية فى موسكو ، وهو المشهور بنجاحه فى بناء قلاع الأعمال الشيوعية .

وقد اغرقت جميع بلدان المعسكر الشرقى غينيا بالمواد الدعائيةمن كتب وكتيبات ومجلات وأفلام ، وبالاضافة الى كل ذلك سمح بالتعليم السياسى طبقا للنظام الروسى فى المدارس فيثقف انطلاب سياسيا بالتعاليم المعروفة ، ومن أمثلتها ان الجمهورية الشعبية الديمقراطية الالمانية هى الديمقراطية الحقيقية المحبة للسلام ، أما حكومة بون فتمثل الفاشية الجديدة والاستعمار فى ثوبه الحديث .

مراحل التطور الثلاث

فى نوفمبر عام ١٩٥٥ خطب الرئيس تورى فى لندن فى المعهد الملكى للشئون الدولية فقال :

« ان بلدنا بلد متطور ، وقد اجتاز ثلاث فترات واضحة المعالم : الفترة الأولى كانت فترة ما قبل الاحتلال تلك التى تفسخنا فيها اقتصاديا ، بفعل طائفة كانت لها معاملاتها الخاصة وتصورها الخاص للتنظيم الاقتصادى ، وكذلك فلسفتها الخاصة كما أن لها طابعها الحضارى المميز ، ولكن الامر المهم فى هذا كان حضارتنا المميزة .

وفى أثناء المرحلة الثانية تبودلت الصلات عن طريق وصول الاجنبى وكانت فى بادىء الامر ذات طابع اقتصادى ، ثم اجتماعى ثم ثقافى وسياسى ، وقد قوطعت وتغيرت عادات حياتنا الاصلية فى هذه الفترة من جراء الاتصال بالحضارات الاخرى وفى احيان أدت المرحلة الاولى الى تنمية الفردية ، وفى احيان اخرى أصبح الفرد ديناميكيا ، وعلى أية حال فقد تغيرت الحياة واضفت من سيرها العادى على كل النواحى . ففى عصر أجدادنا كانت تحكم البلاد الانقسامات القبلية واللغوية والجنسية ، وحين اصبحت البلاد الافريقية مستعمرات لم تحترم الانقسامات الطبيعية حدودها طويلا ، كما كانت سابقا على سبيل المثال فى السنغال والسودان .

فقد سكنت هذه البلاد الأجناس نفسها وقد كانت لهم الحضارة نفسها وملامحها المميزة هى حضارة القارة الافريقية كلها ، ولكن المستعمرين كانت لهم أساليبهم الخاصة : فأول التغييرات التى نفذوها كان الخاص بالحدود الذى اعتبر مساعدة سلبية ، والثانى هو ارتباط الاقتصاد الافريقى بالاقتصاد العالمى الذى كان ذا طبيعة ديناميكية ،

الأمر الذى احدث تغييرا كبيرا ، فقد عمل على توسيع الأسواق وخلق فرصا اجتماعية أكثر . ولولا ذلك ما استطاع التطور الاجتماعى أن يكون ناجحا جدا لأن القاعدة الطبيعية كانت تنقص الشعب ، فالمنظمات الاجتماعية خلقت فى الوقت نفسه مشاكل جديدة ، وقد ربطنا التعليم بالحضارات الجديدة فقد تشرب عدد معين منا بحضارات البلاد الاخرى، الأمر الذى كان من نتيجته الانشقاق الحضارى لافريقية ، وهنا أسأل : هل لى ان اسوق مثالا شخصيا ؟ اننى أشعر شخصيا بالسرور مع أصدقائى الفرنسيين أكثر من أخى الاكبر الذى لم يلتحق بالمدرسة اطلاقا . اذن فالاحتلال يهتم بتوافر امكانية التقدم بالنسبة لصفوة افريقية صغيرة ، ولكن ذلك يكون على حساب الانشقاق العميق بيننا.

وكثيرا ما نشاهد التقدم المادى فى شتى الميادين ولكن سعادة الانسان لا تتعلق بالاشياء المادية ، فقد ينشأ من التطور المتناسق عناصر روحية ومادية ولكن الاخطار تبدو بظهور فراغ معنوى ونحن الذين نوجده فى بيوتنا اكثر من اى مكان آخر ، هذه هى المشاركة السلبية للاحتلال ، أما التطور الذى كان مغرما بالحقوق فى مناطق ما قبل الاحتلال فقد اصبح الآن متميعا ، لقد مرت العصور المختلفة فى افريقية دون تناسق وطبقا لقوانين مختلفة ، ففى احدى فترات الترابط الحربى والادارى والثقافى استعملت قوانين واحدة للبلاد كلها ، ولذا فقد أخذ المرء يسعى الى ايقاظ الشعور الايجابى بالانتماء الى مجتمع كبير مثل العائلة او القبيلة ، ولكن هذا ادى الى نتائج سلبية ايضا ، ذلك ان النظام الموحد لم يكن صالحا بل أثار ازمات شديدة .

وفى خضم هذه الحال افاد بعض الافريقيين من امكانيات التطور الجديدة ، ولذلك نجدهم قد رحبوا بالتكيف أولا ، لأنه اعطى الحرية فى تشييد آفاق جديدة وكان الهدف الأصلى هو المساواة بين الحكام والمحكومين ، وبرغم ذلك فقد وجد الافريقيون عند انتخابهم على سبيل المثال ، فى الجمعية التشريعية أن مشاكلهم ابعد ما تكون عن الحل ، وتلا ذلك اشكالات أخرى عندما اسست الحركة النقابية واتحادات الطلبة ومنظمات جبهة الكفاح ، المنظمات الثقافية والأحزاب السياسية ، تلك التى وضعت الاساس للشخصية الافريقية .

ثم تلت كل ذلك فترة ثالثة عرفنا فيها ان الطابع الذاتى لشخصيتنا ليس كافيا ، فقد كان لابد ان نبحث عن اشكال جماعية لاتحادنا لاننا ونحن افراد لن نستطيع ان نصل الى هدف التعبير عن الشخصية الافريقية ، وهذه الفترة هى اهم المراحل جميعا ، ولكنها ايضا اصعب مرحلة يمكن ان توصف ، فالافريقيون يعتقدون ان المرحلة الديناميكية

للاحتلال اعطت افريقيا حقائق ايجابية للعمل ، ونحن من جانبنا نريد المحافظة على العمل الايجابي للاحتلال والاتصالات المتزايدة والفرص الكثيرة للتبادل .

وعلاوة على ذلك فنحن نريد ان نحدد اعمال الاحتلال السلبية . فنحن نؤمن ان افريقية تمتلك امكانيات النمو الاقتصادى ، ونؤمن ان الاستقلال يشكل عاملا للمشاركة فى المكانة ونؤمن ايضا أن الاستقلال لا يمكن أن يجلب لنا الجنة على الارض .

نحن نعلم انه يجب علينا ان نكون وحدة ، وما الاستقلال الا وسيلة ، لذلك فاننا واقعيون نريد كسب فهم الشعوب الاخرى وتقوية تعاوننا معها لاعادة التوازن .

ان الانسان يجب أن يحقق نفسه كجوهر انسانى وعندما لا نستطيع ان نهيىء لانفسنا الظروف الملائمة لنا فاننا يجب ان نهيئها لاولئك الذين سيأتون بعدنا . ان هذه هى القوة الحقيقية الدافعة للقومية الافريقية ، ويمكن « للأوروبيين » أن يقوموا بمحاربة العدمية لأنهم قد تغلبوا على هذه المرحلة اما نحن فلا ، وهذه هى مأساة وضعنا ونحن نريد القوانين التى تعبر عن ارادة شعبنا تلك القوانين التى لم توجد حتى الآن ، ان اى نظام وضعى مهما بلغ من الجودة لا يمكن أن يكون ذا قيمة كبيرة شأن ذلك الذى يهيئه الشخص لنفسه والا فقد ضاعت كرامة الانسان .

الاعتراف بنقابات العمال

كثيرا ما يصرح تورى « أن غينيا تواجه عدة مشاكل : فالبلاد تتكون من قبائل كثيرة ، تتحدث بنحو عشرين لغة مختلفة تقريبا ، وهذه احدى المشكلات التى لا بد من حسمها ، وانه ليس من المفيد التغاضى عن حقيقة الانقسامات الداخلية التى من الطبيعى أن يترتب عليها وجود معارضة ولكن فى سنين ثلاث او خمس يتعود الشعب كل شىء جديد ، فالغينيون يرغبون فى تحمل مسئولية حياتهم الخاصة ، وليس من شك فى ان المرء يمكن أن يوجه النصح المرشد الى أخيه دائما ، ولكنه سيفضل أن يصلح اخطاءه بنفسه ، وهذه السيكولوجية الافريقية هى السبب المستمر فى ظهور الوطنيين من شباب الافريقيين الذين يبحثون عن العدالة والمساواة ويسعون للوصول اليها .

يقول تورى : « يجوز أن أعطى مثلا لما أقصد : ان صاحب العمل

مثلا يمكن ان يقرر اعطاء اجر يقدر بألف فرنك حتى لو كان يعلم ان الحد المقرر للأجر يبلغ خمسمائة فرنك . ولا شك ان كل عامل سيكون سعيدا بالحصول على أجر مضاعف ، ولكن اذا قام بين عاملين نوع من عدم المساواة فسيختل الترابط بين الجماعات كلها نتيجة للتفرقة فى المعاملة ، وصاحب العمل لا يفهم هذه المشكلة الانسانية ولا يرى أكثر من انه ضاعف أجر عامل ما على حين ان الافريقى يهتم بالمساواة ، فنحن نطالب فى الوقت الحاضر بالمساواة فى الحقوق والمعاملة لأنها تعنى بالنسبة الينا تقوية الروح المعنوية .

ان لنا الاهداف نفسها فى غينيا كلها ، ونحن نؤمن بالنقابات ولكننا رأينا أن الأعمال النقابية ليست كافية وحدها ، بل يجب أن نستخدم النقابات كسلاح سياسى واقتصادى معا لان هذين السلاحين يخدمان الهدف الذى نرمى اليه نفسه .

يجب اذن ان ننظم اعمالا سياسية مشتركة بوساطة النقابات وتلك من اولى المشاكل المشتركة وخاصة أن المشاكل الفردية قد تعددت مؤخرا : ففى الماضى كنا منقسمين ، يخضع بعضنا للنقابات التى ذابت فى اتحاد النقابات العمالية العالمية ، والبعض الآخر انضم الى اتحاد النقابات الحرة . وقد انتسبت انا شخصيا الى اتحاد العمال العام الذى انضم الى اتحاد النقابات العمالية العالمية ، اما الآن فنحن نريد حركة نقابية عمالية افريقية متحدة ، لا تتطلع الى الفوارق العنصرية ، حركة هدفها الرئيسى الحصول على الاستقلال وهدفها الاخير العمل لمصلحة العمال .

وستلاحظون أننى أسمى الهدف السياسى « الهدف الاول » واننا نريد الوصول اليه عن طريق النقابات العمالية . وهذا هو طابع نفسيتنا الحالية فقد اصبحت جميع النقابات الآن سياسية ، والكل يعمل من أجل الاستقلال فى نوجولاند وفى المناطق التى كانت تابعة لغربى افريقية الفرنسية . وقد ضمنا مجموعة من نقابات المناطق الانجليزية التى كانت ضمن الاتحاد الدولى لنقابات العمال الحرة ، ولكن قد تقرر فى المؤتمر الاخير للاتحاد العام لعمال افريقية السوداء أن نتضامن مبدئيا ، كما أصبح زعيم نقابات العمال فى غينيا نائبا للرئيس . هذا وقد قررت بعض النقابات التونسية والمراكشية فى كوناكرى ان يكونوا اتحادا معنا. ونحن لانرغب فى أن تكون هذه منظمة سلبية ، بل نريد أن تشارك ايجابيا فى تطوير بلادنا ، ونرى الا نستغل المنازعات الايدلوجية لاننا فى حاجة الى برنامج مادى نناضل من أجله ، وقد وضعنا برنامجنا بالتعاون مع نقابات العالم جمعاء ولم تقفل الباب ، فكل نقابة يمكنها

أن ترسل ممثليها الي غينيا لمناقشة المشاكل معنا ، ويكون من الافضل لو استطاعوا تقديم المساعدة لنا .

ان أوروبا اليوم مشغولة بموضوع السوق المشتركة وهى ترغب فى عقد صلات مع افريقية وقد عارضنا ذلك فنحن نضع اليوم مخططا لسوق صغيرة ، ويجب ان توسع سوقنا الحرة هذه ، واننا فى ذلك لانوجه أعمالنا ضد أحد ، ولكنا نفضل الاتفاقات المعقولة ، ونعتقد أنه من الافضل ان نقول ذلك واننا شعب متأخر ، ولكنه فى طريق التطور ، ونحن مسئولون عن اعمالنا ، ونرى أن تكون لمصلحة هدفنا ، فنحن نطمع فى أن نخلق وعيا جديدا ، فحين اقترعنا ضد دستور ديجول كان ذلك على أساس نظرتنا الجديدة التى تطورت وأكسبتنا الثقة فى مستقبلنا .

ان بلادا اخرى تقدر الحرية ولكنها لا تملك الامكانيات التىلدينا.

القضاء على العادات القديمة المعارضة

وفى لندن توجه الرئيس سيكوتورى الى العالم قائلا : هاهى ذى أمثلة من اعمالنا منذ حصلنا على الاستقلال ، فقد تحررنا من العادات القديمة فى قرانا التى استغلها رؤساء القبائل لمصلحتهم الخاصة من قبل. ولم يكن الناس أحرارا فأثرنا الشعب ضد رؤساء القبائل من أجل مصلحته وانشأنا نظام المجالس المنتخبة ، وبذلك أصلحنا القرية ، وقد حدد ثلث مقاعد القرية للنساء وهناك كثير من القرى تتولى منصب العمدة فيها النساء .

وكذلك انشأنا مجالس المناطق ويختار اعضاؤها عن طريق الانتخاب الكلى ومن يبلغ الحادية والعشرين من العمر يتمتع بحق الانتخابات عندنا ، هذا وتضم المنطقة فى العادة ما بين مائتين وثلثمائة ويخص الفلاحين ستة مقاعد من كل عشرة حتى ان كل مجلس به اربعون مقعدا فيه اربعة وعشرون فلاحا . وليس للمثقف ميزة عن غير المثقف .

وقبل الاستقلال كان فى غينيا احزاب أما اليوم فجبهة قومية تمثل حزبا واحدا هو الحزب الديمقراطى الغينى ، وأولئك الذين يلقبوننى بدكتاتور لأن لدينا حزبا واحدا وليس لدينا معارضة فذلك لأنهم لا يفهمون ما نحاول عمله ، ان الحزب ليس هدفا بل وسيلة للوصول الى الهدف وهو الحرية الانسانية .

وقد وجهت الينا انتقادات كثيرة من الخارج ، وقيل عن نظامنا انه ليس قادرا على العمل ، ولكنه يعمل كما انه ديمقراطى أيضا ، فالكل متساوون فى القرية ، والغالبية هى التى تتخذ القرارات ، وهذا ما بعث الثقة فى نفوسنا ، كما انه ليس للنابهين امتيازات خاصة ونحن نناقش جميع المشاكل ، حتى يستطيع الكل أن يشعر بانه ينطوى تحت لواءهذه الأمة الجديدة ، ان غينيا توحدنا جميعا .

ومنذ اعلان الاستقلال لم توجد اية قضايا سياسية على الرغم من وجود معارضة داخل نطاق الحزب لا خارجه ، ولقد تخيرنا هذا النوع من المعارضة حتى يكون فلاحونا وعمالنا أناسا عمليين يهتمون بالمشاكل المادية ، ونحن فى ذلك لا نناقش الماركسية ، اننا اذا أردنا أن نشيد مدرسة أو قنطرة نسأل أولا : اين يجب انشاؤها ؟ ثم نسأل عن النتائج المترتبة على انشائها بعد ذلك .

ودستورنا ينص على الحرية الكاملة التى تسمح بوجود أحزاب المعارضة ، فالحرية مكفولة لوجود معارضة ، الا أن نسبة ٩١٪ من الشعب صوتت لمصلحة الحزب الديمقراطى الغينى ، على حين حصلت المعارضة خارج الحزب على ٥٪ من الاصوات فقط ، واخيرا قررت الانضمام الى حزبنا وهذا يعنى الوفاق .

وبالاضافة الى ذلك فقد حصل اثنان من زعماء المعارضة على مراكز قيادية ، والحق ان المعارضة يمكنها أن تعبر عن رأيها داخل نطاق الحزب أفضل من خارجه .

وبالنسبة للتطور الاقتصادى الذى هو أهم مشاكلنا فنحن نشجع الاستثمارات ، وخططنا تقوم على الدعوة لمؤتمر من جميع المنظمات فى غينيا لعرض المشروعات الجديدة ونتائجها على الوفود : ففى سنة خفضنا ضريبة الرءوس الى النصف ، ولكن الاجماع القومى قد مكننا ان نحقق الكثير ايضا فى السنة الماضية برغم ان الانقسام كان لا يزال ممكنا ، فقد اصبحت كل قرية تشكل قطاعا مستقلا ، مسئولا عن مصالحه ، وللقرية أن تقرر بناء مدرسة أو صيدلية الخ ، وهذا يعنى اتساعا فى الميزانية القومية ولاننا نمتلك من الأيدى العاملة عددا وافرا فقد نفذ العمل فى شهرين أو ثلاثة ، وانشأنا ثمانية آلاف كم من الشوارع وخمسمائة مدرسة ومئات من الصيدليات وعددا من القناطر .

واذا قررت قرية انشاء شارع يستدعى انشاؤه بعض الممتلكات ، فان على مجتمع القرية اعادة بنائه فى المكان المناسب ، واذا احترقته

بعض الممتلكات ، وهذا سهل الحدوث لأن منازلنا مبنية من القش ، تعمل القرية كلها فى اعادة البناء بالمشاركة .

« ان هدفنا الرئيسى انسانى . »

الشخصية الافريقية

ان جميع رجال الساعة فىافريقية يتجهون دونتردد الىالشخصية الافريقية ، وبمعنى أدنى الى اظهار الشخصية الافريقية الخاصة . وقد تحدثت فى هذا الشأن مع البون ديوب « محرر صحيفة افريقيا اليوم » فى باريس ومنظم المؤتمر الدولى للكتاب والفنانين الزنوج وممـا تجدر الاشارة اليه ان النابهين فى باريس يتتبعون تصريحات سيكوتورى باممان وانتباه وقد قال (ألبون ديوب) :

« ان حضارتنـا يجب أن تعطى أكثر من مجرد الاثارة ، ويجب أن نحدد طريقنا ، وقد اظهرت التجربة أننا نستطيع حل مشاكلنا كل مرة اذا ألممنا بها عن طريق أفكار افريقية خالصة » .

وقال الرئيس تورى فى هـذا الصـدد : « ان مضـمون مفاهيم الاستقلال والوحدة التى تتـكرر فى مفاهيمها بالنسـبة للافريقيين هى ما يأتى : التفسير السليم الواضح للمعـلومات التاريخيـة والتى تعنى الحرية والسلام والتقدم ، وهـذا تعارض طبيعى ، اذ يعتبر الاتحـاد الجامع للأوربيين والافريقيين زيفا فى نظر بعض الساسة القلائل الذين يناوئون فكرة الاتحاد ويتشبثون بفكرة « أن افريقية لن تصـــل الى وحدتها » .

« وقد صرح ديالوا أيديولا » الممثل الدبلوماسى لغينيا فى غانا قائلا: بالنسبة لجوارييى هذا الاستعمار الجديد كان فى الامكان قيام منظمة الشعوب الفرنسية ، وكان وجود الكنغو البلجيكى ، أمرا ممكناكذلك ، وفى نظرهم كانت انجولا تشبه البرتغال كما أن افريقية تكمل أوروبا فقد قال تورى :"ان هـذا القـول المجافى للحقائق الجغرافية والحضـارية والاقتصادية والعنصرية يصور لنا الى أى حـد كانت الحـال مخجلة . فالتعارض كان عزيزا عندما لم يكن معترفا بامكانية وجود الشـخصية الافريقية ، تطبيقا لنظرية التفكير العنصرى التى ارتكزت على ممـارسة ضغط الاحتلال ضغطا متصلا على أفريقية . (وقال تورى) :

« ان طريقنـا على العكس من الطرق المختلفـة التى اقترحت فى

الماضي منبعثة من شعور الكبرياء او تفوق النوع . اننا نلتمس الطريق الافريقي الذي يعيد بناء الشخصية الافريقية والذي يضع بناء القارة على ايدي ابنائها في خدمة الانسانية جمعاء ، ان اهداف القطاعات المختلفة تتكامل ، وان هذه الوحدة الحقيقية تؤدي الى مطامح التطور التي ترتبط بجميع مظاهر التكيف ، وهنا يجب الانصراف الى التفكير في بعض الارقام العددية . فمن ٨٠٪ من مجموع شعوب الارض ، بصرف النظر عن الاتحاد السوفيتي ، استخرجت أفريقية وحدها في عام ١٩٥٠ ما يعادل ٥٤٪ من الذهب و ٤٦٪ من الكروم و ٦٠٪ من المنجنيز ، وفي عام ١٩٥٤ جلب الكنغو البلجيكي السابق وحده ٦٠٪ من ماس العالم .

هذه هي الامكانيات لتطور افريقية ، ولذا فنحن نقول : ان افريقية في حاجة الى الحرية لكي تستفيد شعوبها من نتاج الكنغو .

ان مفهوم التقدم ينأى عن معناه الانساني عندما يحد بمبادىء الطبقة والأمة والجنس ، وقد فشل الاحتلال والاستعمار في استغلال واضطهاد الشعوب المستعمرة لأنهما بالرغم من أنهما كانا يملكان وسائل تحسين ظروف المعيشة لتلك الشعوب ، عاشا في انانية واستغلال ولا غير ذلك .

ان فرص افريقيا بالنسبة للمستقبل تتركز في أنها قد حافظت على الفضائل الانسانية والميزات الاجتماعية صافية عن طريق شقائها اللانهائي ، هذه الفضائل والميزات التي تتفق مع ما تتطلبه الحياة الصحيحة من مطالب ظلت مهملة منكورة من المستعمر المستغل برغم سنة التطور الانساني الهائل .

وانه لمن العزيز السؤال عن النظام السياسي الذي تحتاج افريقية اليه للوصول الى الهدف، وذلك لانه تقوم بين افريقية وبين الدول الأوربية الحديثة اختلافات أساسية مادية وأخلاقية ، ولأن الافتراضات شيء والأنظمة شيء آخر ، ان الانظمة تختلف عن الافتراضات بلا شك ، فقبل أن تقرر افريقية النظام السياسي الذي تحتاج اليه يجب ان تصل أولا الى مرحلة تطور مادي مشابه لذلك الذي وصلت اليه الدول المتطورة ، والطريق الوحيد الممكن لذلك هو طريق التعبئة الثورية لجميع مصادر المعونة الى جانب الوسائل والامكانيات التي تمتلكها افريقية نفسها .

وانني آمل أن تصل دول افريقية في خلال السنين العشر القادمة الى الاستقلال غير المشروط ، والهدف الرئيسي لسياسة الحياد الايجابي هو ايجاد التوافق بين الجماعات المختلفة في العالم كله ، فلا يكون انقسام في البلاد الى شرقية وغربية .

وما لا يمكن غض النظر عنه هو ان سيكوتورى قد فعل كل هـذا كى يعمق الاتصالات مع الشرق على وجه الخصوص .

التضامن الآسيوى الافريقى

منذ اليـوم الحادى عشر حتى الخامس عشر من ابريل عقـد فى كوناكرى مؤتمر تضامن الشعوب الآسيوية الافريقية الثانى ، على حين عقد المؤتمر الاول فى ديسمبر من عام ١٩٥٧ فى القاهرة ، وهذان المؤتمران يعدان وحيا من روح باندونج ، وما يحدث اليوم فى آسيا وافريقية يعد انعـكاسا لنتـــائج مؤتمر كوناكرى ، ومن المعروف أنه قد وجـــدت خلافات ظاهرة ، فأغلب المواطنين الشباب قد رفضوا نفـوذ الشرق ، ولكنهم رحبوا اليوم بكل فرصة مواتية للقضاء على الاستعمار والاحتلال، وسيادة الغرب ، وقد تناقشت وفود ثمان وستين جماعة وحزبا ونقابة افريقية آسيوية وكانت اقوى الشعوب تمثيلا هم زنوج بلدان افـريقية على حين كان الآسيويون يكونون الكتلة الهامة الثانية ، اما الكتلة الثالثة فهى الوفود العربية ، والرابعة هى الاتحاد السوفيتى وجمهورية منغوليا الشعبية .

وقد تسمى المؤتمر باسم جديد هو « منظمة تضامن الشـــعوب الآسيوية الأفريقية » وتتكون السكرتارية الدائمة من شعوب البلاد التالية « الكمرون وغانا ، والسودان ، والعراق وسوريا ، والاتحاد السـوفيتى، والهند والصين واندونيسـيا واليابان » .

وقد عينت مصر السكرتير العام الذى يعاونه اعضاء من : الاتحاد السـوفيتى والصين ، والهند واندونيسيا واليابان والعـراق . وعلاوة على هؤلاء وفود حكومة الجـزائر المؤقتـة وغانا وغينيا ، وجمهـورية الكونغو ، واوغندا ، وحكومة الكمرون المؤقتة .

أما المجلس التنفيذى فيتكون من جماعة افريقية آسيوية ، وعلى الرغم من ان البلاد المحايدة منضمة الى المؤتمر فان النفوذ الشـــيوعى صاحب الأرجحية .

واذا كنت قد اوضحت فيما كتبت ان جميع رجال السـاعة فى افريقية يريدون أن يكون لهم حق التحدث فى السياسة العالمية ، فاننى أعنى بهذا على الوجه الخصوص أعضاء هذه المنظمة الافريقية الآسيوية ، اذ ان العديد من التوصيات الحكيمة تظهر كيف يشعر هؤلاء بالمسئولية تجاه افريقيا كلها . فقد طالبت البلاد الافريقية الآسيوية بمقاطعةبضائع

« جنوب افريقية » ، وقطع العلاقات الدبلوماسية معها ، للاحتجاج من جديد على سياسة التفرقة العنصرية .

كما أوصى بالاعتراف بحكومة الجزائر المؤقتة (١) ومساعدة الوطنيين الجزائريين بالمعونات الواسعة ، وقد دمغت دول هذه المنظمة بشدة سياسة فرنسا الاستعمارية والتأييد الدبلوماسى ، والمساعدات المالية والعسكرية التى تتلقاها من الدول الاستعمارية ، كما طولبجميع رؤساء حكومات دول الاتحاد الفرنسى بسحب جميع الجنود الذين يقاتلون فى صفوف الجيش الفرنسى فى الجزائر ، كما طالب المؤتمر بجلاء جميع القوات الفرنسية والبريطانية من الكميرون . وايقاف المساعدات الامريكية الفرنسية ، وأوصى بأنه ينبغى على الأمم المتحدة أن تنظم وتراقب حق تقرير مصير الشعوب ديمقراطيا .

وأصدر توصية أخرى برغبة شعوب المؤتمر لانشاء جبهة تحريرية افروآسيوية مشتركة تعد المتطوعين للمساعدة فى القضاء على استعمار الشعوب غير المستقلة .

ولانشاء جبهة متضامنة كان على جميع بلدان آسيا وافريقية أن تقاوم كل محاولة لتعبئة القارة الافريقية . واذا قامت فرنسا بتجارب ذرية جديدة على الارض الافريقية ، فانه تجب الموافقة على اتخاذ اجراءات تبدأ من المقاطعة حتى قطع العلاقات الدبلوماسية مع فرنسا ، كما عدت الاتحاد الفرنسى شكلا جديدا من أشكال السيطرة الاستعمارية ومحاولة من الحكومة الفرنسية لربط البلاد المتأخرة بالقيود التى سلبت قوميتهم الحقيقية .

وقد ذكر المؤتمر دائما مبادىء باندونج العشرة وقرر أن من حق كل دولة وحدها او بالاشتراك مع الدول الأخرى ، طبقا لميثاق الامم المتحدة ، الدفاع عن نفسها وقد جاء فى هذه التوصية :

ان استقلالنا الوطنى لا يمكن أن يظل رهن المساومة ، وان حريتنا تعنى أننا نتحكم تحكما كاملا فى مصادر ثرواتنا ، وامكانياتنا ، ونحن نريد أن نضع حدا للاستغلال عن طريق الاحتكار الجالب للبؤس والفقر والخضوع . ولكى نصل الى عصر جديد للأخوة والسلام ، يجب أن يقوم التضامن الآفروآسيوى بدور حاسم فى النضال ضد الاستعمار من أجل بناء عالم جديد .

وقد اعلن سيكوتورى كمضيف للمؤتمر أن غينيا لا تود أنتشترك

(١) كان ذلك قبل حصول الجزائر على الاستقلال بمقتضى معاهدة ايفيان سنة ١٩٦٢

بأى ثمن فى تقسيم العالم ، وانها تهدف الى تعايش سلمى وحياد ايجابى، لان حدة التوتر فى العالم يمكن أن تخف عن هذا الطريق فقط ، ومن رأينا أن زعامة شئون الشعوب الآسيوية الافريقية قدأجازت ذلك لهذه الشعوب وحدها دون اى خطر .

ثم أضاف قائلا : ان الشخصيات المشتركة فى هذا المؤتمر تمثل عالم الجوع والبؤس وعدم الاحترام ، فقد أنكر عليهم الاستعمار حق الانسان المشروع ونحن كممثلين لمئات الملايين من البشر نشعر بحقنا فى المطالبة بالمساهمة فى حل المشاكل العالمية ، وان يكون لنا دور فعال فى القرارات التى تتعلق بالبشرية كلها .

علاقات بناءة

ان هذا الكلام جميعه صادر عن حساسية سيكوتورى هذه الحساسية التى شملت اليوم جميع الافريقيين. ان المصالح التىأظهرها الغرب تجاه البلاد المتطورة كانت وما زالت أولا وقبل كل شىء تجارية وسياسية ، ولم تكن المساعدات القيمة فى العادة بدافع الرغبة فى المساعدة قط . ذلك لأن الذين يساعدون غالبا ما يضعون فى حسابهم مدى ما سيعود عليهم لقاء هذه المساعدات . فالتجارة تأخذ المكان الأول اليوم ، ولا بد هنا من انعام التفكير .

ولعل هذا ما دعا الصحيفة الاقتصادية الألمانية للتجارة لأن تقول :

« ان العلاقات الانسانية أكثر اهمية من العلاقات الاقتصادية ، وانه ينبغى أن تقدم مساعدات التنمية من أجل العلاقات الانسانية ولكن هل يمكن أن تتجرد هذه المساعدات من الدافع التجارى ؟

ليس من شك فى أن وجهة النظر هذه كانت تؤدى الى خير كثير لو أنها وضعت موضع التنفيذ من قبل .

وبالنظر الى سيكوتورى كانسان افريقى ثائر ، لا يسعنا أن ننسى تصريحاته المثيرة التى قال فيها : انه يشعر مع اصدقائه الفرنسيين بالارتياح أكثر من اخيه الاكبر الذى لم يلتحق بالمدرسة قط . ولذا يجب أن ينظر الى احتجاجه ضد ديجول من هذه الزاوية ، ذلك أنسوء فهم ديجول لتورى سيظل مثالا نموذجيا لسوء الفهم القائم بين الاوربيين وبين الافريقيين فى تاريخ افريقيا كلها .

كوامى نكروما

شاب من الغابة العذراء أصبح زعيماً لشعبه

اننا نؤمن بالمساواة بين جميع الأجناس ، كما نؤمن بحرية الشعوب من جميع الاجناس ايضا . وان احد المبادىء الاساسية فى كفاحنا لاحياء افريقية الا نحارب ضد اى جنس أو لون او عقيدة ، وانما نحارب نظاما يفرق بين الناس ويعمل على استغلال فريق منهم ، كما سنقاوم ونعارض هذا النظام فى أى مكان يمكن أن يوجد فيه . اننا نخجل من موقف اى انسان يعمل ضد أخيه الانسان ، ان الواجب يحتم علينا أن نتعلم كيف نتعايش .

كوامى نكروما

من خطاب له في منروفا

***

كثيرا ما يتبادر الى الذهن هذا السؤال لماذا يسمى ساحل الذهب الآن غانا (مساحتها ٢٣٨٧٣ كم وعدد سكانها ٤٫٧٦٣٫٠٠٠ نسمة) برغم وجود اسم شائع له اليوم هو : «مالى» ؟

ولذلك يجب أن نضع فى الحسبان مقدما أن اقطارا أخرى وهى فى طريقها للتطور قد اخذت أسماء من التاريخ الافريقى بمناسبة الوعى التاريخى الجديد لدى أهل القارة من الافريقيين ، فقد مسخ غزاة هذه القارة تاريخها ، هذا التاريخ الذى يعمل الافريقيون اليوم على احيائه على اساس من الحقيقة والواقع .

غانا القديمة وساحل الذهب

كانت غانا امبراطورية كبيرة فى السودان الغربى ، وتعتبر عاصمتها التى تحمل الاسم نفســه مكانا تجاريا هاما على بعــد بضعة مئات من الكيلو مترات الى الشمال الغربى من «تمبكتو» وقد تأسست حــوالى عام ٣٠٠ بعد الميلاد . ولا يعرف شيء كثير عن هذه الدولة الزنجيــة . وقد حكم غانا أمير يدعى « هجيرا » ومن قبل عام ٦٣٠ وبعده حكم غانا إثنــان وعشرون أميرا من البيض . ثم نشبت الثورة عام ٨٠٠ م ، وبدأ حكم ســلالة ملكية من الزنوج ، ظلت تحكم طــوال مائتى عام ، حتى استطاع برابرة الشمال الشرقى استعادة السلطة العليا من جــديد وما لبثت مجموعات كبيرة من الزنوج أن هاجرت الى المناطق الساحلية .

ويعتقد بعض المؤرخين ان الآكان فى غانا الحالية هم خلف أولئك المهاجرين ، ولكن يبدو انه من المؤكد أن الشعوب التى تسكن غانا الآن قد عاشت هنا منذ نهاية القــرن الخامس عشر الميــلادى عندما أتى الأوربيون الأوائل اليها ، ومن المؤكد أن المنطقة الاساسية لغانا القديمة لم تكن مرتبطة بغانا الحالية .

ويقول البروفسور ديدرش فسترمان فى كتابه تاريخ افــريقية : « ان اسم غانا يعتبر اليوم بالنسبة لمثقفى غــربى افريقية رمزا للعظمة الافريقية الخاصة فى ماضيها الخالد » على حين فسر الرئيس نكروما اسم غانا بأنه الايحاء للمستقبل ، فربما يتحقق وجود اتحاد دول غربى افريقية تحت اسم غانا : ففى الأيام السابقة للعصر المسيحى قبــل أن يكون لانجلترا اى شأن بل وقبل الزمن الذى اتحد فيه شعبها توصــل أجــدادنا الى امبراطورية كبيرة ، ولذا يجب أن نكون فخورين باســم « غانا » وانه لشيء جميل ويسير ان نذكر ماضينا ما دام المستقبل ينبنى على الحاضر فان الحاضر متصل بالماضى ، اننا لا نخجل من ماضــينا ، بل على النقيض فانه ينطوى على كثير من المفاخر » .

وقد نزل البيض الأوائل فى ساحل الذهب تباعا : فالفرنســيون فى القرن الرابع عشر والبرتغاليون فى القرن الخامس عشر ، وفى نهــاية القرن السادس عشر – عــــدا الانجليز الذين اصبحوا مستعمرين – الهولنديون على الساحل ، أولئك الذين هزموا فلول البرتغاليين فى معركة بحرية امام اكرا التى كانت عاصمة منذ وقت طويل ، كما كانت فى قبضة الاحتلال الانجليزى .

وقد شيد الفرنسيون والدانمركيون والانجليز قــلاعا على هــذا الساحل ، ولكن منــذ عام ١٨٢١ وما بعــده ظهر ان الانجليز ، وهم

اصحاب السيادة الحقيقيون على ساحل الذهب ، اخذوا يثيرون أمام امراء امبراطورية اشانتى « المؤسسة فى عام ١٦٠٠ كثيرا من العقبات، حتى انتهى بهم الأمر الى دخول حروب مبع فى القرن التاسع عشر ، واخيرا اصبحت بريطانيا سيدة ساحل الذهب والاراضى التى وراءه ، ثم انشات أول مستعمرة ذات ادارة محلية من القبائل مؤتلفة .

وقد تبين فيما بعد نجاح هذا العمل الذى تم باشراك أفراد من الشعب فى ادارة بلاده فقد أحرز المجلس التشريعى لساحل الذهب اغلبية افريقية فى عام ١٩٤٦ ، وقد شكلت فى سنة ١٩٤٩ لجنةدستورية منالافريقيين وحدهم برياسةالقاضى كاوسى «سير هنيلى كاوسى الآن». وقد أجريت اول انتخابات فى عام ١٩٥١ على اساس هذا الدستور حيث شكلت بمقتضاه جمعية تشريعية وحلت بين جميع القبائل لأول مرة فى تاريخ البلاد .

أما اسم الرئيس الحالى « كوامى نكروما » فقد ارتبط بهذه الاجراءات فى أضيق نطاق ، واسمه كاملا ، الرئيس « أوزاجيفو » أى الانسان الكبير الذى جمع جيشا ، «وكوكودورنى» أى رجل الشجاعة، و «كاتامنتو» اى الرجل الذى لا ينقض كلمته ، والذى يحمى الشعب ، و «كاسابريكو» اى الرجل صاحب الكلمة الحاسمة ، الذى يتحدث عن الموضوع مرة واحدة ، و «نوفينو» ايأقوى الجميع الذى يفوقالآخرين، ان الدكتور كوامى نكروما هو محرر ومؤسس غانا !

تلميذ تبشيرى نجيب

عندما ولد نكروما لم يكن هناك تنظيم دقيق لتسجيل المواليد ، ولكن نكروما يعتبر الحادى والعشرين منسبتمبر عام١٩٠٩ يوم مولده، هذا ولو ان المحيطين به يطلقون على عام ١٩١٢ ميلاده ، ولقد أخبرنى الدكتور كوامى نكروما بنفسه انه لا يعرف على وجه الدقة متى ولد ، ولكنه كى يخلق نظاما فى حياته فقد حدد مولده باليوم الحادىوالعشرين من شهر سبتمبر عام ١٩٠٩ .

وكان والده يشتغل بصياغة الذهب فىالقرية الصغيرة «نكروفول» باقليم «اكسيم» فى غربى البلاد ، اما امه التى عرفتها قبيل وفاتها، فقد كانت تحترف التجارة ، وقبل زواج نكروما كانت هى التى تعنى بشئون منزله وهى لم تظهر قط فى المجتمعات ، وعلى وجه العموم يسمى نكروما « شروق الشمس » وقد اطلق اسم ميلاده على أطفال كثيرين

كاسم للشهرة ، وقد التحق نكروما بالمدرسة التبشيرية وهو فى الثامنة من عمره ، وكان تلميذا بارزا ، ثم ارسل الى اكرا (عدد سكانها ١٧٠,٠٠٠ نسمة) لكى يصبح مدرسا فى كلية اميرويلز التى كانت آنذاك قسما من كلية « اخيموتا » وقد استرعت محاضراته التجريبية ومشاركته فى المناقشات انظار زملائه الطلبة اليه .

وفى عام ١٩١٠ نجح فى امتحانه النهائى كمدرس ، ثم شغل مناصب بعد ذلك ، وكان يتمتع بحب زملائه الطلبة وتلاميذه لأنه كان على قسط كبير من التحمس لدينه كما شارك بنجاح فى التمثيليات المسرحية .
وقد تأثر فى شبابه برجلين :

الأول منهما هو الدكتور (ج.ا. كويجر اجرى)

وقد كان الدكتور اجرى نائبا لمدير كلية اميرويلز ، وأول عضو افريقى للادارة ، وأول المناضلين من أجل التعاون بين البيض والسود.

والآخر « نتامدى ازيكوى » رئيس مجلس حكومة نيجيريا الاتحادية اليوم ، والذى كان من كبار الثوار وقتئذ فى ساحل الذهب ، ومحرر المقالات الصحفية والمحاضرات التى أثارت نكروما لمواصلة دراسته فى الخارج ، واحد الذين دفعوا به الى الحياة كما كان صاحب جريدة الصباح الافريقى ، وحدث عندما زار نكروما نيجيريا فى عام ١٩٥٩ ان امتدح فى احدى خطبه صديقه القديم ازيكو كأول رائد من رواد القومية الافريقية .

وفى عام ١٩٣٥ سافر نكروما الى أمريكا ، ولم يكن يحسب آنذاك انه سيضطر الى البقاء بعيدا عن وطنه اثنى عشر عاما كاملة ، فقد درس فى جامعة لنكولن و «بنسلفانيا» العلوم الاقتصادية والاجتماعية .

وفى عام ١٩٣٩ حصل نكروما فى جامعة الزنوج على دبلوم الآداب، ثم درس بعد ذلك اللاهوت والفلسفة بمعهد اللاهوت بلنكولن وفى جامعة بنسلفانيا ، وقد انهى هذه الدراسة بحصوله على اجازة اللاهوت واستاذية فى العلوم التربوية ، وفى أثناء تحضيره لرسالة الدكتوراه فى الفلسفة ، كتب فى « بعض المسائل المنطقية » على حين ألقى فى الوقت نفسه محاضرات كأستاذ للفلسفة ، والتاريخ العام وتاريخ الزنوج ، وعندما زار نكروما الولايات المتحدة الامريكية فى عام ١٩٥١ حصل على الدكتوراه الفخرية من جامعة لنكولن ، وفى عام ١٩٥٤ انعم عليه بميدالية السلام من الاتحاد العالمى للمحاربين القدماء وهى منظمة تضم ثمانية عشر مليونا من الجنود ، من تسع وعشرين دولة من دول العالم غير الشيوعى كأعضاء .

وقد دفع أقرباء نكروما ثمن وصوله الى تلك المرتبة الرفيعة غاليـــا فقـــد كان لا بد له من دفع نفقات اقامته ودراســـته فى امريكا ، ولذا فقد اشتغل فى كثير من الحرف ، فكان مرة عاملا فى ترسانة واخــرى (سفرجيا) فى سفينة ساحلية ، وبهذه المناسبة قال : لقـــد كنت أردأ (سفرجى) لأنى كنت دائما اصاب بدوار البحر ، وكسب عيشه كواعظ فى كنـــائس الزنوج ببنسلفانيا ، اما فى نيويورك فقـــد كان يتوق الى ان يصبح قسيسا وكذلك عضو فى المجلس الكنسى .

وفى اثناء دراسته فىالولايات المتحدة الامريكية كان احد المؤسسين لرابطة الطلاب الافريقيين فى الولايات المتحدة وكنـــدا ، وهناك أصـــدر مجموعة من الكتيبات ، كما اشـــتغل بوصفه اول رئيس لهذا الاتحـــاد بمسائل الزعامة والتنظيم ، وبدأ التفـــكير فى مسألة القومية ، وقـــد وطد علاقات صداقة معالزنوجالأمريكيينالبارزين أمثال «باول روبسن»

وفىمايو عام ١٩٤٥ ترك نكروما الولاياتالمتحدة ليدرس فىمدرسة الاقتصاد اللندنية ، وبدأ كذلك فى جاتى جراى ، كلية الحقوقالانجليزية فى دراسة القانون ، وشيئا فشيئا اجتذبته السياسة نحو تيارها .

صعود سياسي سريع

كان نكروما فى الفترة ما بين عام ١٩٤٥ وعام ١٩٤٧ سكرتيرا عاما للســـكرتارية القومية لغربى افريقيـــة المنشـــأة للدعوة لفكرة افريقيـــة المتحدة ، وقد اصدر مجلة اتحاد طلاب غربى افريقية ، وشـــغل اخيرا منصب عضو فى مجلس اتحاد افريقية . وفى هذا الوقت الف كتـــاب « افريقية الجديدة » الذى اثار حماسا شديدا فى ساحل الذهب ، فى عام١٩٤٦ ، ولنكروما مؤلفات اخرى منها « التعليم والقـــومية فى غرب افريقية » سنة ١٩٥٠ ، وكذلك تاريخ حياته « غانا وتاريخ حياة كوامى نكروما عام ١٩٥٧ » .

وعلى الرغم من أن نكروما كان لا يزال فى انجلترا بعيدا عن بلاده فانه كان شخصية معروفة فى وطنه ، فقد نوقشت كثيرا فكرة تكوين اتحاد جمهوريات غربى افريقية ، وقد قبلت رغبة ســـاحل الذهب فى الحكم الذاتى فى أثناء الحرب ، وانشـــأ الدكتور جوزيف بواكيو دانكوا « ولد فى ٢١ من ديسمبر ١٨٩٥ فى بيونس » فى اقليم كواهو فى غانا » على هذا الأساس فى التاسع والعشرين من ديسمبر عام ١٩٤٧ حـــزب اتحاد ولايات ساحل العاج الذى يعتبر اول حـــزب قومى فى ســـاحل الذهب ، والذى كان هدفه تهيئة جميع الوسائل الدستورية والقانونية

لوضع الاشراف ورقابة اعمال الحكومة بأسرع وقت في أيدى الشعب وايدى زعمائه ، وقبل تأسيس الحزب عهد دانكوا الى نكروما الذى كان يعمل فى لندن بمركز السكرتير العام لاتحاد ولايات ساحل العاج ولم يشعر انه بذلك قرب خصما قويا .

وفى نوفمبر عام ١٩٤٧ عاد نكروما الى وطنه ، وكانت مدةاقامته فى امريكا وانجلترا هى سنوات الكرب والوحدة والعزلة ، والفقر والعمل المضنى ، لكن هذه السنوات جميعا هى التى وهبت له القوة دون حماية من أحد لبذر بذور القومية الافريقية ، وقد ساعد نكروما دانكوا فى اقامة الاتحاد وبنائه .

ولانه متحدث لبق يفهم متى يكون الخطيب حازما فقد اصبح اهم خطيب حزبى فى البلاد كلها ، حتى انه سرعان ما قام برحلة فى طول البلاد وعرضها حاملا معه اثاث منزله المكون من آنيتين ، وزوجين من الاحذية وبعض الملابس الداخلية ، وفقا لما ذكره هو فى صراحة دون تردد فى مذكراته عن حياته .

كان الرجلان متباينين فى مشاعرهما ، حتى انهما لم يستطعا العمل معا ، ففى بداية عام ١٩٤٩ انفصل نكروما عن دانكوا ، وفى ٢١ من يوليو اعلن تأسيس حزبه «حزب المؤتمر الشعبى» وقد اتجه هذا الحزب الجديد الى الشباب الثوريين خاصة ، على حين كان حزب المؤتمر هو حزب الطبقة المتوسطة المعتدلة .

وكان نكروما فى أثناء عمله فى حزب المؤتمر يفتتح مدارس غانا وكلياتها وقد قدر له الشباب هذا العمل، بالتعبير عن شكرهم، كما كان نكروما دائما داعية لامعا ، فقد اعاد الى الحياة تدريجيا كثيرا من الصحف التى كانت معطلة تماما ، وكانت باكورة تعليقاته فى جريدة « ايفننج نيوز » التى كان شعارها النهوض بالشعب ، والتى مازالت حتى اليوم وبعد أكثر من اثنى عشر عاما منذ انشائها اهم صوت للحزب والحكومة ، وفى انتخابات عام ١٩٥١ حصل حزب نكروما على ٣٥ مقعدا من ثمانية وثلاثين واصبح زعيما للوطنيين الافريقيين فى ساحل الذهب دون منافس .

هذا وقد وضع نكروما لحزبه مشروعا من ست نقط :

١ ــ عدم المبالاة بجميع المبادىء الدستورية المعرقلة للوصول الى الحكم الذاتى الكامل لرؤساء قبائل وشعب غانا .

٢ ــ استخدام طليعة سياسية داعية قوية لبذل الجهد للقضاء على الاضطهاد بجميع صوره بغية الوصول الى حكومة ديموقراطية

٣ ــ تأكيد الوحدة الكاملة لقبائل وشعب مستعمرات أشانتا ، والاراضى الشمالية وفولتا والمحافظة عليها .

٤ ــ الاهتمام بشرط العمل الأفضل لمصلحة الحركة النقابية العمالية فى البلاد .

٥ ــ العمل على تطوير ساحل الذهب الى حياة أفضل ، فيحصل فيه الشعب على الحق فى الحياة الحرة الكريمة .

٦ ــ البدء فورا وبكل الوسائل الممكنة لانشاء غربى افريقية المتحدة التى تحكم نفسها بنفسها .

وحتى هذا الوقت كان نكروما فى السجن فقد أدخله نشاطه الملحوظ فى صراع مع حكومة الاستعمار .

ففى عام ١٩٤٨ نفى الى الاراضى الشمالية بعد حدوث التمرد الذى راح ضحيته تسعة وعشرون شخصا وجرح أكثر من مائتين ، مما عاد على نكروما باتهامه بأنه « الخائن الشيوعى » .

وفى عام ١٩٤٩ طالب حزب نكروما الذى كان شعاره العمل الايجابى ، بالحكم الذاتى السريع ، وفى سبيل ذلك نظم مجموعة من الاضطرابات وأعمال المقاطعة .

وفى عام ١٩٥٠ حكم على نكروما (مع رفقاء الحزب) بالسجن ثلاثة أعوام ، ذلك لأن الحاكم العام رأى فيه زعيما محرضا على اضراب عام غير قانونى .

وفى عام ١٩٥١ عندما حصل حزبه على ٩٥٪ من الأصوات أطلق سراحه بعد اعتقال امتد أربعة عشر شهرا بناء على عفو من الحاكم العام « السير تشارلى نوبل آردن كلارك » الذى كلفه انشاء حكومة ، وأصبح فيها وزيرا للانشاء .

وفى إحدى خطب نكروما قال : « اننى آت من السجن لأدخل البرلمان دون أن أحمل أى مشاعر بالضغينة ازاء بريطانيا » .

وفى عام ١٩٥٢ تلقى من الحاكم العام لقب رئيس وزراء ، وقد زار بريطانيا والولايات المتحدة مرة أخرى بهذه الصفة ، طالبا مهندسين وفنيين ومدرسين وأطباء وعلماء للمعاونة فى تنفيذ برنامجه التعميرى الذى يشمل اقتصاد البلاد كلها ، وأكبر مشروعاته هو مشروع نهر فولتا الذى سيقام عليه توليد للكهربا كقاعدة لتطور الصناعة الحديثة فعندما استقلت غانا اقترح نكروما مشروعات للسنوات الخمس بهدف

الى تحسين الزراعة وانشاء الطرق والموانى ورفع المستوى المعيشى للشعب ، وكثيرا ما أعلن فى السنين الأخيرة :

ان هدفه الأسمى هو القضاء على الفقر والجهل والمرض، ولسوف يقاس تقدم الشعب بمدى تحسن صحته وبعدد الاطفال الذين يذهبون الى المدارس وبمد المياه العذبة والكهربا الى المدن والقرى ، وبمهارة الشعب فى معالجة شئونه الخاصة .

من الاستقلال الى الجمهورية

حدثت أهم الأحداث الكبرى فى حياة نكروما ووطنه فى العاشر من شهر يوليو عام ١٩٥٣ : ففى هذا اليوم عرضت على الجمعية العامة التشريعية مهمة الاستقلال التى يتحملها اليوم تحت اسم مهمة المصير ، وفى هذا اليوم ألقى نكروما أهم خطبة فى هذا الصدد .

ومما تجدر الاشارة اليه أن نكروما يحب اقتباس تصريحاته الشهيرة . فقد اقتبس فى بداية مهمة المصير من السياسى الانجليزى ادموند بروك قوله : « ان من واجبنا أن نراعى فى قرارة نفسنا العناية بالقوة الكاملة والنضج التام وهى المبادىء التى يمكن أن تأتى لنا نتيجة انضمامنا الى الكومنولث ، مع عدم تناسى أنفسنا فنحن ، بالرغم من كوننا ثوارا ، رجال مهذبون » .

وكذلك اقتبس نكروما من ارسطو طاليس حق الشعب فى حكم نفسه ، كما اقتبس فى هذا الصدد قول قطب كبير من اقطاب العلوم السياسية والاجتماعية عن مبدأ حكم الشعب لنفسه : ان هذا المبدا لايمكن المساومة فيه وانه اما أن يعمل على تطبيقه كاملا واما أن يتخلى عنه .

وفى ١٥ من يوليو عام ١٩٥٤ جرت الانتخابات العامة وحصل حزب نكروما على اثنين وسبعين مقعدا من مجموع مقاعد البرلمان البالغ عددها مائة واربعة مقاعد ، فعهد اليه الحاكم بوصفه زعيما للأغلبية البرلمانية فى الجمعية الجديدة بتشكيل الحكومة الجديدة وقد عين نكروما اعضاءها من حزبه فقط ، وبالنسبة للمعارضة فاننا سنتحدث عنها فيما بعد ، أما الآن فنضيف كلمات قلائل عن مشكلة الأشانتى :

فكما وقف الاشانتى أمام الانجليز وقفوا فى الطريق امام طموح نكروما نحو الاصلاح ، وقد كتب البروفسور ك . أ . «بوذيا» الذى ظل فترة طويلة زعيما للمعارضة حتى ذهب الى المنفى بهولندا فى يوليو عام

١٩٥٩ ، كتب كتابا هاما عن وضع الرئيس فى نظام الاشانتى السياسى الحديث ، جاء فيه : ان ما دفعه عندما بدأ أبحاثه فى كوماس عاصمة الاشانتى هو الفساد الملحوظ الذى ظهر فى جميع التسويات التى اثيرت فى مجلس النواب عن مشاكل الادارة ، ففى جميع تلك الحالات تبودلت الرشوة ، وقد شاع هذا الى حد أن كل فرد كان يتحدث عنه علانية، واذا غضضنا النظر عن أولئك الذين كانوا على اتصال رسمى بالمجلس، فسنجد فى كوماس بعض المندوبين الذين يجمعون الأموال من الأحزاب لاثارة القلاقل والمنازعات .

ومن خلال هذا الجو الملوث لم يستطع المواطنون الحصول على النصيحة من رؤساء القبائل أو الشيوخ ، ولم يستطيعوا الوصول الى اية وسيلة يظهرون بها وجهة نظرهم فى نقاش الاوضاع القائمة ، وربما يفصح عن حقيقة الاحوال ما ذكره أحد زارعى الكاكاو وهو غير مثقف يعيش على بعد ستين ميلا من كوماس ، فقد عبر تعبيرا واضحا عن الانتقاد العام حين قال : ان المفسدين كثيرون اليوم وهم : قوميسار الناحية ، ورئيس القبيلة والاشانتى ، وهؤلاء جميعا هم الذين يضعون القوانين لنا ، فماذا يكون رأى المثقفين ؟

وعلى أية حال فقد نجح نكروما فى كسب الأشانتى الى جانبه .

وفى الليلة السابقة لميلاده السابع والأربعين استدعاه الحاكم وأخبره أن ساحل الذهب سيحصل على استقلاله فى ٦ من مارس عام ١٩٥٧ . وحين نقل نكروما هذه الرسالة الى البرلمان لم ينس أن يشير الى أن البلاد ستحصل على الاستقلال فى الذكرى الثالثة عشرة بعد المائة لتلك المعاهدة التى ادت الى الاستعمار السياسى لساحل الذهب .

وفى خطاب الاحتفال بيوم الاستقلال أعلن نكروما سياسة خارجية نشيطة أساسها الكرامة والسلام والصداقة ، ومنذ هذا اليوم كرس نكروما نفسه للسياسة الخارجية بصفة خاصة .

وفى يناير عام ١٩٥٧ دعا الى عقد أول مؤتمر نقابى فى اكرا لجميع أفريقية . وفى يونيو عام ١٩٥٧ اشترك لأول مرة فى مؤتمر رؤساء وزارات الكومنولث ، وهناك التقى مع رئيس الوزراء « بانديت نهرو » الذى زاره بعد فى الهند ، وقد استقبلته الملكة اليزابيث الثانية ودوق ادنبرة فى قصر بكنجهام .

وفى مارس عام ١٩٥٨ سافر الى احدى عشرة دولة افريقية بقصد تعميق تعاون الدول الافريقية جنوب الصحراء على وجه الخصوص ، وبعد ذلك بشهر دعا الى أول مؤتمر لرؤساء دول افريقية المستقلة فى غانا ، هؤلاء الذين قام بزيارتهم فيما بعد ، ثم تلا ذلك زيارته للولايات

المتحدة الأمريكية حيث كان ضيفا على الرئيس ايزنهاور ، ثم ضيفا على الرئيس ديفنبيكر في كندا « وفي ديسمبر عام ١٩٥٨ افتتح نكروما مؤتمر الشعوب الافريقية الأول في «اكرا» الذى تلته مؤتمرات مشابهة »

وفي اثناء مؤتمر الشعوب الافريقية الاول أعلن رغبة البرلمان في الاتحاد مع غينيا ، التى كانت قد انفصلت في ٢٨ من سبتمبر عام ٥٨ عن منظمة الدول الفرنسية ، وقد أعلن نكروما أن اتحاد الدول الافريقية المستقلة سيظل مفتوحا امام جميع الدول الاخرى الراغبة في الانضمام اليه .

وفي مارس عام ١٩٦٠ اعلن قرار غانا كجمهورية ، وفي الأول من يوليو عام ١٩٦٠ أعلن أنها ستظل عضوا في الكومنولث ، وفي الفترة من ١٩ الى ٢٦ من ابريل عام ١٩٦٠ جرى استفتاء شعبي مكن الشعب من اتخاذ موقف من مشروع الدستور ومن اختيار أول رئيس للجمهورية ، ويتضمن الدستور الجديد المواد التالية :

١ ــ يكون رئيس الدولة الذى يملك السلطة الكاملة رئيسا بالانتخاب ، كما يكون في الوقت نفسه القائد الأعلى للقوات المحاربة والادارة .

٢ ــ يتكون التمثيل الشعبي من الجمعية الوطنية ورئيس الجمهورية ، وللرئيس حق الاعتراض على القوانين ، ويمكنه حل الجمعية

٣ ــ لامكان اعادة انتخاب الرئيس في الانتخابات العامة يجب أن يكون بالاغلبية .

٤ ــ يعين الرئيس مجلس الوزراء الذى يشكل من البرلمانيين .

٥ ــ استقلال القضاة مكفول بنص الدستور .

وقد تطلع الدستور الى عهد رئيس كامل القوة ، فرئيس الجمهورية يستحوذ الآن على سلطات كاملة كانت فيما قبل موزعة بين الوزراء والحاكم العام الذى كان يستحوذ حتى الآن على سلطات هامة ، ومنها حق الفيتو الذى يمكنه من الحد من سلطة رئيس الجمهورية عندما يريد . وبعد قبول الدستور الجديد أصبح واجبا على الملكة اليزابيث أن تنزل عن لقب « ملكة غانا » هذا ، وتعتبر المواد الرئيسية حقا محدودا للجميع ولأفريقية المتحدة . أى لاتحاد دول افريقية السياسى .

ونذكر بصدد الوحدة قول نكروما : ان ايماننا بالوحدة الافريقية قوى لدرجة أننا على استعداد للنزول عن جزء من سيادتنا أو عن سيادتنا كلها لمصلحة اتحاد دول افريقية حالما يتحقق هذا » .

وقد قبلت اغلبيـة سـاحقة الدسـتور الجديد ، طبقا لنتيجة الاقتراع الرسمية صـوت ٥٤٪ من المشـتركين في الانتخابات ، وكان المؤيدون ٦٩٢ر٠٩.٠ر١ ، والمعارضون ٣٩٣ر١٣١ . وقد انتخب نكروما كأول رئيس للجمهورية بأغلبية مشـابهة . وقد تقـدم حزب الاتحـاد المعارض (وهو اتحـاد يمثل جمـاعات المعارضة انشىء فى عام ١٩٥٧/ ١٩٥٨) بعريضة المعارضة الى المحكمة العليا . كما أنب داتكوا نكروما لتزوير الانتخابات وارهاب الناخبين واساءة استخدام الادارة الحكومية بوساطة حزب الحكومة .

وازاء نتيجة الاقتراع هذه انقسم الراى فى الصحافة الانجليزية ، فقد علقت صحيفة النيوز كرونيكل قائلة : « ان السيادة لرجل واحد تعد مثالا بالغ الخطورة » .

اما صحيفة « الديلى تلجراف » فقد علقت بقولها : « كان دستور غانا اداة طيبة طيعة لبلاتو فيلسـوف الملكة ، كمـا كان مثـلا صالحا لكرمويل الافريقى » .

اما صنداى اكسبريس فقالت : « انه ستقوم فى غانا الآن تحت حكم نكروما دكتاتورية صارمة قاسية عدتها السياط » .

تحت تأثير امرأه

تزوج نكروما فى ديسمبر عام ١٩٥٧ احدى طالبات جامعةالقاهرة وتدعى « فتحية حليم رزق » وزوجـة نكروما تقيم فى قصر كاسـتبل المسيحى الذى شيده الدانماركيون ، والذى يبلغ عمره ثلثمائة عام فى ضاحية ارو فى العاصمة اكرا .

وقد اغضب الغانيين الزواج من مصرية فى بداية الأمر ، فقد كان نكروما يقول دائما حين يسأل عن وجهة نظره فى الزواج فى سنيه المبكرة : انه لا يحتاج الى اية امراة ، ذلك انه قد تزوج جميع نساء غانا ويتساءل قائلا : ألست محبوبا من جميع نساء غانا ؟ أنا أيضا احبهن جميعا »، ولكنه خيب آمال الشعب حين شاع نبأ عدم اختياره اية رفيقة لحياته من بنات غانا ، وقد قالت لى احدى رائدات الحركة النسائية الغانية : لماذا تزوج مصرية ، تلك السـيدة التى عرفهـا فترة قصيرة ، او كمـا يدعى لم يرها من قبل بتاتا ؟

« وهنا يجب أن يتجه المرء الى ميدان قياس الشجاعة ، فنكروما ينضوى تحت لواء اولئك الافريقيين الذين طبعوا على الاستسلام وتطبعوا

بعامل التقدم ، وكلا العاملين جعلهم فى نزاع ما طبعوا عليه وما تطبعوا به ، وليس من شك فى أن نكروما انسان نابغة جلى الفكر حاد الذهن، فلماذا ينحدر بين آن وآخر شأن البدائيين ؟ لماذا ينحدر نحو السحر وفنون الشعوذة ؟ هل يعود هذا الى أن هناك روحين تسيطران على سلوكه فتجعل منه شخصية مزدوجة ، كما كانت حال بعض العباقرة؟

ان هذا التساؤل راجع الى أنه قيل عن نكروما : انه يعمل بنصيحة ، منذ سنين طويلة قدمها اليه رجل قديس (مار ابوت) ، وملخصها هو الا ينفرد برأيه فى المشاكل السياسية ، ولا فى المشاكل الشخصية ايضا ، ومنذ وفاة هذا القديس دأب نكروما على أن يذهب الى قبره حيث يمعن فى الفكرة يستلهما الوحى من روحه ، وقدنصحه المارابوت أن يتزوج مصرية لأن افريقية فى حاجة للاتصال بمصر وبالاسلام ، وقد اقترحت روح القديس امرأة معينة ، وهذه هى التى تزوجها نكروما . هذا وقد منحه ذلك القديس نصائح ممتازة أفادته جميعا من قبل !

واذا ما تحدث المرء مع بعض الغانيين فى هذا الشأن فانه لا يسمع الا ان الرئيس يستلهم وصية من روح هذا القديس الذى يعتبر نفسه خليفة له .

وقد نشرت الفلت بونيه « الألمانية قصة مسلية بقلم ستيفان ميلر » جاء فيها : ان « كان كان » تعتبر مدينة مقدسة عند المسلمين، اذ كان يعيش فيها الشريف « فانتا مهدى » حتى وفاته فى نهاية عام ١٩٥٧، ذلك الرجل كان المارابوت الذى لم يكن فى قدسيته أحد فى العالم الاسلامى ، وقد أعلن الأعضاء المتدينون مرارا أن « فانتا مهدى » لم يكن يقف بتاتا فى طريق التقدم السياسى ، بل انه لم يتدخل فى الشئون السياسية قط ، ولذا فهو يتمتع باحترام عظيم بين صفوف الحزب الديمقراطى ، وقد ادى فانتا مهدى دورا خاصا فى حياة نكروما بلا نزاع .

فعلى الرغم من أن الرئيس لم يكن مسلما فى يوم ما ، فانه عندما قام فى عام ١٩٤٨ برحلة قصيرة الى ساحل العاج وغينيا زار الشريف وهناك تكهن له هذا بصعوده الى رياسة أول حكومة لساحل الذهب المستقل ، كما تكهن له بالقيام بالدور البارز فى خلق افريقية الحرة .

ولقد اثر تحقيق الجزء الاول من التكهن تأثيرا عميقا فى نفس نكروما الى حد أنه سافر الى « كان كان » بعد موت فانتا مهدى ليزور قبره ، ولهذا السبب جرت مقابلات تمهيدية غير رسمية مع سيكوتورى.

الاعتراف والايمان والتملق

بأى شيء يؤمن نكروما ؟ انه يشير الى نفسه كمسيحى لا يؤدى سر الاعتراف ، واشتراكى ماركسى ، وهو لا يجد هنا أى تعارض بين كلا المبدأين كما يدعى ، وقبل سنين اصدر الى أعضاء حزبه قسما يلتزمونه كما يأتى :

« انى اومن بنكروما رجل غانا وزعيمها ومؤسس مدارسها وكلياتها ، واننى أومن بانتمائى الى حزب المؤتمر الشعبى الديناميكى ، حزبه الوحيد ، كما أتعهد بالعمل للمستقبل وانقاذ الوطن مستلهما ما قاسيناه فى الماضى عاملا مع الشعب الذى هب من جموده ، ونشر جناحه يريد بلوغ الشمس ، كما أومن بحق اهدافنا بولاء جديد وبديناميكية اكثر من ذى قبل ، واجحد كل من خانوا الرباط مع الزعيم المحرر الذى لا يخشى السجن ، وسأعمل على نشر هذه الحقيقة التى حان اعلانها والتى ستوضع موضع التنفيذ بأيدى الذين قاسوا او لم يقاسوا من اجل الوصول الى امكانيات تجلب الخير للوطن .

اننى أومن بالالهام المقدس للزمن والتيار المقدس للتحرر ، وانكر أفكار البيض ولا أعتنقها ،كما أومن بالقضاء على الاستعمار ، وباستعادة حقوقنا كاملة ، وبحياة خالدة ، آمين » .

هذا وقد نشرت صحيفة ايفننج نيوز ، التى اسسها نكروما نفسه مقالا كله تملق من احد شباب غانا ، وقد اختصر المحرر هذا التملق ، ولكنه برغم اختصاره يعد انموذجا للكيفية التى يتطلع بها الشباب الى نكروما كقديس حاز اعجاب الكثيرين من قطاعات عدة من الشعب ، كما هو الأمر اليوم بالنسبة لرجال الساعة فى افريقية ، ولا شك ان هذا النوع من التقديس للشخصيات غير العادية قد لاقى قبولا فى غانا ، كما انه لا بد أن يكون نكروما نفسه موافقا عليه ، والا لما ظهر مثل هذا النوع من التملق والاطراء فى جريدته التى نشرت له قصيدة مطلعها :

« يابن افريقية المقدس المحبوب ، يا محرر افريقية الخ »

وفى اكرا يمكن المرء أن يشترى من السوق بطاقات تظهر السيد المسيح مع نكروما ، وفى احدى هذه البطاقات يرى كيف يسلم المسيح نكروما مفتاح الملكوت السماوى .

هذا وقد نشرت صحيفة ايفننج نيوز على مساحة صفحة مجموعة من الرسائل تصف ايام القديس السبعة ، على حين تظهر احدى الصور

كوامى نكروما فى ساعة تمجيد المسيح ، وقد كتب تحتها : « فى هـذه اللحظة انتقلت كينونة الأبطال الى ميـدان المعـركة الافريقيـة ، الموتى والأحياء فى افريقية ، وفى الصحيفة نفسـها ظهر هـذا الخبر « راى هندى ، يعيش فى أكرا فى احـدى الرؤى الباطنية ، نكروما يمشى على صفحة الماء » .

هـذا وقد سـأل الصحفى الانجليزى « انتونى ليـونى » وزير الاستعلامات الغانى تشارلى دى جراف ديكسون : « هل هو موافق على نشر مثل هذه الاخبار ؟ » فأجاب بأنه لايرى اى خطأ فى ذلك النشر ، بل ويسعده أن تقرأ صحيفة الايفننج نيوز فى غانا كلها مشتملة على مثـل هذه الاخبار .

محادثة كريستيان بورج

اننى اعرف نكروما شخصيا منذ سنوات طويلة ، فهو دبلوماسى قدير له أسلوب مدهش اثرت فيه الغابة العـذراء التى جاء منها وهو فتى ، فجعل من حياته حيـاة أسطورية ، ومن المعـروف أنه فى أوربا وأمريكا وآسيا شخصيات كهـذه انتقلت من الفقر والبؤس وبيع الجرائد الى تشييد المصانع وتحولت من شباب فلاحين الى رؤساء دول ، ولكن كان أغلب هـذه الشخصـيات ينحصر اثرها فى بلادها فقط ، تدعمها وتحيط بها الشعبية الاقليمية ، أما نكروما فكان على عكس هؤلاء ، فرجال الساعة فى افريقية كان لا بد لهم من تلقى تعليمهم فى الخارج حيث لمسوا بأنفسـهم التفرقة فى المعاملة كالحـال فى انجلترا وامريكا ، بين الملونين وبين البيض مما اكسبه قوة وحيوية وطنيـة ، وأصبح مثلا لمواطنيـه الافريقيين الذين يتشبهون به فى طريق تطورهم والذين يستحقون اعجابا اكثر مما يستحقه الاوربيون والامريكيون .

وفى اثنـاء مقابلتى له خلال اقامتى الأخيرة فى أكرا دعانى لزيارته فى مقره الجديد فى ذلك القصر الذى كان مقرا للحاكم الانجليزى ، وقد فسر هـذا الانتقال الى قصر الاقطاع كريسـتيان بورج « بأنه تقليـد استعمارى » ، وقد اقام لنفسه تمثالا برونزيا ، كما وافق على تسمية الشوارع والمنشآت باسمه ، وان توضع صورته بدلا من صورة الملكة اليزابث الثانية على طوابع البريد .

وقد بدت لى تلك القلعة أجمل وأكثر زينة وبهـاء من ذى قبل ، فأمام الأبواب وقف جنود سود فى أزياء ذات ألوان مزخرفة ، وما راونى

حتى قاموا بأداء التحية واصطحبني ضابط مؤدب الى الجناح الذي يسكنه رئيس الوزراء ، ومن هذا القصر امكنني أن القى نظرة واضحة على إكرا وعلى ساحل اشجار الفلفل ، وقد ذكرت وانا في وقفتي تلك كيف ان اغلب تجار العبيد قد ادار تجارته وبدأها من هذا القصر وانه من المؤكد ان نكروما عندما يفكر في ذلك ينتابه شعور بالفخر لأن من بين هؤلاء العبيد من أصبحوا سادة في بلادهم الآن .

وقد تحدثت مع سكرتيرته الانجليزية الآنسة اريكو باول وفي الوقت المحدد تماما فتح لي باب حجرة مكتبه ، فاستقبلني نكروما في حلة بيضاء فوقها عباءة غانا البيضاء المخططة بالأزرق ، وتخذنا مكانا على احدى الأرائك ، وكان واضحا أنه صار أقوى كثيرا مما رأيته آخر مرة كما بدا أكثر حيوية ونشاطا .

وقد اخذ يتحدث ممتدحا القصر المؤثث طبقا لتوصياته وخاصة حجرة مكتبه ، ثم قال : « الا تعلم ان المرء يحتاج الى البساطة التامة ؟ ولكن خبرني : هل يجب أن اسكن على مستوى اقل من مستوى الحاكم العام السابق او رؤساء حكومات البلاد المتحررة ؟ على أية حال أنا اؤيد المساواة واعمل من اجلها » .

ثم تطرق بنا الحديث الى مؤتمر الشعوب الافريقية الذي جاء نتيجة استقلاله وسألته : هل كان مسرورا لكل شيء دار في هذا المؤتمر؟ فقال : « انه جد مسرور ، وهذه أول مرة في التاريخ تتلاقى فيها وفود من جميع الشعوب الافريقية تقريبا يتحدث بعضهم مع بعض في مودة ، لقد تعارفنا وقمنا باتصالات مباشرة فبدون الاتصالات الشخصية لن نصل الى الولايات المتحدة الافريقية » وسألته : « أما زلت تحلم بذلك دائما كما كنت شابا في الكلية ؟ »

فأجاب نكروما : « ليس لي حلم سواه وسأحققه والاتحاد مع غينيا المستقلة هو البداية لذلك ، ولسوف تنضم بلاد أخرى الينا ، انني اعلم انكم كأوربيين تشعرون ان اتحاد افريقية موجه ضد أوربا ، ولكن اقول لكم : انكم لستم في حاجة الى الخوف منه فهو طريقنا لكي نستطيع تأكيد وجودنا ، ذلك اننا نحن الدول الافريقية الصغيرة لا نستطيع أن نقف فرادى ، نحن في حاجة الى الاتحاد ، وهذا الاتحاد ليس موجها ضد اى فرد في العالم » .

وفي هذه الايام نفسها كان نكروما قد التقى مع زعماء الدول الاسلامية واصدر تصريحات مشتركة معهم .

وسألته : هل يخشى النفوذ القوى لاحدى الدول الاسلامية ؟

فقال : لا ، اننى لا اخشى الاسلام فنحن الافريقيين ندين بعقائد مختلفة ، وعلى سبيل المثال نحن فى غانا مسيحيون وسيظل بلدنا بلدا مسيحيا على الدوام .

فقلت : جاء أن الرئيس « جمال عبد الناصر » رئيس الجمهورية العربية المتحدة قد شكا لكم طالبا قطع علاقتكم مع اسرائيل ؟

فهز نكروما كتفيه وابتسم قائلا : اننى لا اعلم شيئا عن ذلك ، اننى أسير فى طريقى .

وقلت : والاستعمار الاحمر ؟ لقد سمعت سيادتكم تتحدثون رسميا لاول مرة فى اكرا ، وقد رأيت انك منحاز الى الشيوعية بوضوح، وكذا رأيت ذلك فى خطابك التاريخى بمناسبة يوم الامم المتحدة . وعلاوة على ذلك تؤكد معارضتك انك لست ماركسيا فحسب ، بل انك على اتصال طيب بموسكو ايضا ، وليس هناك مجال لانكار اثر جورج بادمور احد مستشاريك فى السياسة الخارجية والمنظم الرئيسى لهذا المؤتمر لانه متأثر بالشيوعية ، وقد جاء انك نفسك قد دعوت الخبير العالمى بالشئون الافريقية البروفسور بوتكين من موسكو ، هذا الذى جاء الى هذا المؤتمر والذى اتى الى غانا بعد ذلك فى السنوات الاخيرة مرات كثيرة ، ومارس عمله هنا عمليا ودعائيا ، هذا بالاضافة الى انك قد اعلنت فى اثناء رحلة موسكو ان الرئيس السوفيتى خرشوف قد قبل الدعوة لزيارة غانا .

وكان واضحا لى أن نكروما غير راض عن جميع ما ذكرت بالتفصيل، ولكنى برغم ذلك انتظرت رد فعل يصدر عنه ، فكانت اجابته :

اننا نرفض اى استعمار ، وبالاكثر نرفضه اذا جاء من الستار الحديدى ، اننا سنقاومه من اى مكان يأتى ، وانى اؤكد انه من المسلم به عندى انه يجب أن نقف فى وجهه حين يأتى من اوروبا ، لقد كان شعارنا واحدا فى هذا المؤتمر وفى كل الاوقات وهو : « افريقيا للافريقيين » ، لذلك ينبغى أن تحقق افريقية مصيرها على صعيد افريقى ، وانى قلما أتطلع الى افريقية كمشروع آت من آسيا شأنها اذا نظرت اليها كمشروع آت من اوربا ، انها ليست هذا ولا ذاك ، ان افريقية قارة بنفسها لنفسها ، وان للافريقيين شخصيتهم الخاصة ، وعلى الجميع أن يرفعوا أيديهم عن قارتنا جميعا ، فان افريقيا للافريقيين .

قال هذا فى حماس ظاهر أعقبه صمت ، واخذت عيناى تجولان فى حجرة مكتبه تتوقف على القطع الفنية وعلى الصور المهداة اليه من

الشخصيات المشهورة فى العالم اجمع ، وعلى التنسيق الرفيع للزهور ، واخيرا على كتبه ، فتتبع نظراتى وفجأة اخذنى من يدى وقال : « اتعتقدون فى الغرب اننى اسير الى هدف غير معلوم ؟ واردف يقول : حقا اننى سياسى ورجل دولة ، ولكنى اشعر بأن الخطر الأول يكمن فى اننى معلم ومرب بل انى اول مرب لشعبى ، هذا الشعب الذى يستحق مصيرا آخر ، ولقد عشت من اجل تحقيق هذا الفرض ، وسأظل اعمل من أجله » .

فقلت له : « اننى احب شعبك » ثم قلت : يكفى أن يشعر الاجنبى بالسرور فى غانا » .

لقد حدث بالتأكيد تغيير فكرى عميق منذ زيارتى الأخيرة ، فالتيارات المعارضة للاوربيين قد انتشرت بين صفوف بطانته الخاصة بل لقد ظهرت وتحددت ملامحها ففى الساعات الاخيرة من اقامتى فى اكرا ، تلقيت ما يؤكد ان العنصرية قد تطورت فى اتجاهها ضدنا هنا نحن البيض ، ولم يؤكد هذا رجال المعارضة وحدهم ولكن الحالة العامة تنطق بأن العداء ضد الاوربيين قد اشتد اليوم عن ذى قبل ، وقد اجابنى نكروما حينما وجهت اليه سؤالا فى هذا الصدد قائلا :

« طالما كنت انا على قيد الحياة فلن توجد لدينا اية تفرقة عنصرية ذلك لأنى مصاب بعمى الألوان ، والذى أهتم به فقط هو الناس وحدهم ، أما لون بشرتهم فهذا شىء لا يهمنى ، على الرغم من أن الناس يبادلوننى بشىء آخر »

ثم أضاف بهدوء وصوت منخفض جامد : وعلى اية حال فقد وصل الحد بالناس من جميع الأجناس الى المقاومة الجماعية لأوهام العنصرية ، لقد ظل المبدأ « رقم واحد » لدى هو « اننى أومن بكرامة الانسان وبالانسان كيفما كان لونه .

نضال مرير مع المعارضة

عندما التقيت بنكروما فى اكرا لم يفتر احترامى له ، ولكن المرء لايستطيع هذا الاحترام فى كل مجال ، فقد تعقبت النقد الموجه اليه بوضوح وعلى اية حال فان من الخطورة بمكان الانصياع للمعارضة فى غانا اليوم مهما كانت أهمية ارتباطك بها .

لقد قال الرئيس ايزنهاور عن الروس : « التزمنا ان نتعامل مع

الناس الذين يقومون بأعمال وأساليب غير مفهومة بالنسبة لنا » .
والعبارة نفسها يمكن المرء ان يوجهها الى كثير من الافريقيين ، فقد كتب نكروما فى تاريخ حياته (غانا) : « اننى مقتنع دائما بأن الحكومة الجديدة التى تأتى بعد أية ثورة سياسية ينبغى ان تستخدم العنف دون هوادة فى إبعاد جميع الزعماء القدامى من الادارة المدنية وان تسارع بالاستيلاء على السلطة فقد علمتنى تجاربى الخاصة انابة حكومة ثورية اذا توانت عن ذلك فانها تغامر بكيانها وتمهد لانهيارها »

وقد كتب حول حزب المؤتمر الذى اصبح سكرتيرا عاما له فى عام ١٩٤٧ يقول : « ان زعمـــاء أحزاب المعـارضة قد وقعوا دائمـــا فى منازعات بعضهم مع بعض بسبب الزعامة العليـــا ، وهـــذا هو السبب الرئيسى الذى دعا الى قيام كثير من الأحزاب فى البلاد ، ولكن بالنظر الى عجزها عن الوقوف متفرقة ضد المؤتمر الشعبى المنظم فقد اجتمعت كلمتها على العمل معا ولكنها سرعان ما احست بالعجز عن الاعتراف بزعامة واحدة ، وبذلك أصبح الاتحـــاد أصعب بكثير ، ولقد أصيبت مناطق أخرى مستعمرة بهذا المرض ، فالصفوة الناشئة من الطبقة الوسطى لم تستطع أن تأمل بدون القوى الضاربة للجماهير غير المثقفة ، القضاء على قوى الاستعمار الا عن طريق شعب متحد ينتظم فى حزب سياسى منظم يقوده زعيم واحد

ومنذ هذا الوقت قاد نكروما نضالا مريرا أشعله حزبه ضد بقايا المعارضة حتى انه عندما كان يناضل من أجل الاستقلال ذهبت هذه المعارضة الى حد أن طالبت الحكومة الانجليزية فى أحد البيانات بعدم التصديق على منح الاستقلال البلاد لأنها لم تنضج بعد للديمقراطية البرلـمانية . وقد قاوم ك . ا . بوزيا الزعيم الرسمى للمعارضة آنذاك نكروما وحزبه فى لندن ، هذا على حين أوضح نكروما فى مذكرات حياته اتجاه هذا الزعيم المعارض الذى قال :

اننا نحتاج دائما الى البريطانيين فى ساحل الذهب فان رسالتكم هنا لم تتم ، واحيانا كنت اتعجب لـماذا انتم تسرعون لنفض أيديـكم وتحريرنا ولكن بوزيا اوضح لى فى هذا الصدد عكس البيان ، فقد قال : انه كان يتفاوض فى لندن على اساس اتحاد ساحل الذهب مع بريطانيا وعلى قائمة أخرى من الحقوق .

وقـد هرب دكتور بوزيا (ولد ١٩١٣) فى صيف عام ١٩٥٩ مع عائلته عبر انجلترا الى هولندا ، وهناك حصل فى معهد الدراســات الاجتماعية فى مدينة الداى على وظيفة أستاذ للدراســات الاجتماعية بالاضافة الى القائه محاضرات فى جامعة ليدن فى تاريخ الحضـــارات

البدائية ودراسة الانسان . وحال وصول البروفسور بوزيا الى اوربا صرح بأن الحكومة فى غانا تبغى القضاء على المعارضة ، وانه قد هرب لينجو بحياته وحياة أسرته فقط ، وقد اخبرنى ان نكروما قد منع جميع احزاب الاقليات من ممارسة نشاطها منذ يوم الاستقلال وأن حوالى مائة من رجال المعارضة يقيمون فى السجن على حين تقاسى عائلاتهم أزمة شديدة : ، فالاطفال قد تركوا المدارس لعدم توافر المال لدى زعماء المعارضة مثلهم فى ذلك مثل الاحزاب ، وانه ليس هناك أى أمل يرتجى من الديمقراطية فى غانا ، فقد هدم نكروما القاعدة لذلك .

ومازال يقيم فى غانا رئيس الحزب الاتحادى كما تطلق عليه أحزاب المعارضة اليوم دكتور دانكوا الذى يشار اليه على انه ممثل للساسة الغانيين ، ودانكوا يعمل مدعيا عاما ، وله اسم لامع كمدرس فى الكليات وكفيلسوف وكان بعد الحرب الزعيم الوطنى الوحيد فى ساحل الذهب ولكن نكروما قبض عليه فى عام ١٩٥٨ ولم ينس دانكوا قط أن نكروما ترك حزب المؤتمر وأنشأ حزبا خاصا به : ففى عام ١٩٣٠ حين سافر نكروما الى أمريكا ، أصبح لدانكوا نفوذ سياسى قوى فى ساحل الذهب، فانشأ فى عام ١٩٣١ صحيفة وست أفريكا تايمز التى أصبحت فيما بعد تايمز اوف وست افريكا ، وغالبا ما كان يتفاوض فى لندن من أجل استقلال البلاد قبل ظهور نكروما ، وفى عام ١٩٤٩ كان عضوا فى لجنة الدستور التى أعدت العدة للتغيرات الدستورية ، وعندئذ انفصل نكروما عن دانكوا المولود فى سنة ١٨٩٦ ، والذى كان يمثل الجيل القديم لزعماء غانا الذين تعلموا فى انجلترا .

وعلى الرغم من التسهيلات الدعائية التى كانت لدى دانكوا وحزبه والتى كانت فى مصلحة نكروما وحزبه الحكومى فشل التصويت عى الدستور الجديد بالنسبة له ، فقد حصل على أصوات كثيرة مماثلة لتلك التى حصل عليها نكروما فى أكرا ، ولكن المجلس التنفيذى لحزب دانكوا الاتحادى وقف موقف المعارضة القوية ضد الدستور الجديد الذى اقترحه ونفذه نكروما ، فقد كان استبداديا وأوتوقراطيا ، والمشروع كما قيل ، لايمنح أفريقية بصفة عامة ، ولا غانا بصفة خاصة اى شرف لأنه كان أكثر سوءا من الدستور الاستعمارى المجحف الذى يرجع الى القرن التاسع عشر : فالمشروع لايشتمل على ضمانات كافية لاحترام الحريات ، والتصريح الشخصى الذى القاه الرئيس حول القوانين الأساسية التى أعطاها عند تولية سلطات منصبه ، لم يكن الا تعويضا ضئيلا لهذه الضمانات .

غانا تملك جيشا خاصا

عندما وصل رئيس الوزراء البريطاني ماكميلان الى مطار اكرا فى رحلته الافريقية فى عام ١٩٦٠ شهد العرض العسكرى فامتدحه ، وقد صرح له وزير الداخلية الغانى بأن هؤلاء الجنود على استعداد للعمل فى كل وقت ، وأن نكروما دائب على زيادة عدد هذا الجيش الصغير الذى أنشأه ، اذ يتطلع الى غانا الكثير كما ان أهل الرأى من الانجليز ووزارة المالية يتطلعون الى التطور المستمر فى غانا فى عناية واهتمام .

ويمكن أن نتعرف قدر هـــذا الجيش من تصريحات دكتور هوفوت بيوبوس رئيس وزراء ساحل العاج ، وكذا رئيس توجو المســـتقلة سولفانو الومبيو :

ففى نهاية عام ١٩٥٩ كان جيش نكروما مكونا من فرقة من الجنود وثلاث وحدات مسلحة بالدبابات من أحدث طراز .

وفى عام ١٩٦٠ أراد نكروما تكوين ثلاث فرق كاملة مـــدربين من الانجليز برغم تحذير البعض له من العواقب ، فانه بالنظر الى كونه يريد تقدما فنيا مستمرا حذا حذو كل من الهند وانباكستان بذكاء ، فهما مازالتـــا تستخدمان المدربين الانجليز ، ويبلغ عدد أعضاء البعثة العسكرية الغانية اليوم مائتى ضابط وصف ضـــابط ، وقد رســـم نكروما مخططا لفصلهم بالتدريج بمجرد انتهاء مهامهم .

هذا ويرغب نكروما فى انشاء كلية عسكرية خاصة ببلاده حيث يمكن ان يتدرب فيها جنود وضباط البلاد الصديقة المجـاورة مثـل نيجيريا وسيراليون ، ويعمل الضباط البريطانيون مؤقتا فى بحرية غانا التى تتكون من قاربين اســتطلاعيين ويخت ، وستشترى غانا ســـفنا أخرى مستقبلا .

هذا ويملك السلاح الجوى الغانى فى الوقت الحالى بعضـــا من طائرات التدريب ، والمدربون من الهنود ، وسوف يتوسع سلاح الطيران الغانى تدريجيا حتى يصل مع القوات العسكرية الأخرى فى غانا الى مرتبة تفخر بها البلاد ، وهناك تعارض فى النظر الى هذا التوســـع العسكرى ، يمكن ان يؤدى فى يوم ما دورا آخر ، اذ من الملاحظ ان نكروما يحض الدول المستقلة الأخرى على أن تنشىء جيوشا خاصة بها، على حين يرى أصدقاء حزب نكروما أن الجيش ما هو الا مكمل لوحـــدات البوليس المدربة تدريبا قوياوجيدا .

وفى هذا الصدد تقول المعارضة : ان جيش نكروما يستخدم فى تدعيم نظام الحزب الواحد وفى تدعيم ســـلطته الشخصية ، وكذلك

يعترض أتباع نكروما على انشاء جيش قوى مدعين ان القوة المسلحة يمكن أن تكون مصدرا للمتاعب والاضطراب ، ولكن نكروما يجيب عن كل ذلك قائلا « ان بلدا مثل هذا يستخدم قواته الخاصة فى الهجوم كما يستخدمها فى الدفاع ، ولذا فهى لن تكون مصدرا للمتاعب » .

وتعتبر غانا حتى الآن الحليف العسكرى الوحيد لغينيا وتهتم بالمعونة العسكرية المتبادلة ، الا أن جيش نكروما لا يمتلك حاليا قوة ضاربة حاسمة كما لا يتحمل عبئا فى تغيير التسليح العسكرى للدول الافريقية وهذا يوحى بالضعف والقصور فى جميع القطاعات الأخرى ؛ وبرغم هذا فالذى لوحظ فى التقدير هو : أن يحتفظ نكروما بالكلمة العليا فى زعامة افريقية ٥ فعندما نشبت الاضطرابات فى الكونغو وضع نكروما قواته تحت تصرف الحكومة الجديدة فورا .

أربع خطوات للعمل

قال نكروما فى تحية العام الجديد كما اعلنت دائما قبل وصول غانا الى وضعها المستقل الحالى « انه لن يكون لغانا المستقلة اية أهمية اذا لم ترتبط بحركة التحرر الشاملة فى افريقية وهذا هو المبدأ الذى لن نتخلى أو نتزحزح عنه قبل الوصول الى الهدف انهائى والقضاء على الآثار البالية للقارة الافريقية ، ونحن لانحاول اخفاء هدفنا هذا بل نعلنه على العالم أجمع فى صراحة تامة » .

وقد ساق نكروما فى خطبته الافتتاحية للمؤتمر الأول الشعوب الافريقية برنامجا بدأه بهذا القول :

تذكروا دائما ان عليكم اربع خطوات للعمل :

١ — الحصول على الحرية والاستقلال .
٢ — تدعيم هذه الحرية وهذا الاستقلال .
٣ — انشاء وحدات وتكتلات بين الدول الافريقية المتحررة .
٤ — اعادة البناء الاقتصادى والاجتماعى لافريقية .

ويجب علينا أن نؤكد هنا عدم تجاهلنا للجانب الأخلاقى والانسانى فى اصلاحنا ، ولا نريد أن ينحصر اهتمامنا فى هـذا الجانب وحـده بل نتجاوزه الى الاهتمام باحتياجات الانسان وتيسير مواد معيشته ، اذ أننا نريد مجتمعا يعطى الانسان الفرصة للنمو ، مجتمعا يمكننا أن نرى فيه القدرات الانسانية الخلاقة عاملة منتجة ، فتظهر بوادر النبـوغ والمواهب بين أفراد شعبنا ، وتصبح الفكرة المأخوذة من عجز الافريقيين

عن الارتقاء والتقدم غير ذات موضوع ومايقال عن أننا اهل افريقية لم نشارك فى الحضارة قط مرده الاستعمار الذى لم يرد الا استعبادنا واستغلال ما فى هذه القارة الافريقية من ثروات ضخمة ، ولكنا سنتعاون عندما نستعيد حرياتنا جميعا من أجل النهوض بالشخصية الافريقية واظهار دورها الكامل فى المعرفة والحضارة الانسانية .

وحتى اليوم لا يزال جزء كبير من الافريقيين يعيش فى ظل العبودية والاستعباد فقد تعاقبت أجيال كثيرة قضت على المشاعر الروحية والفكرية لديه ، فكيف يمكن أمثال هؤلاء العبيد الذين سلبهم الاستعمار كل حقوق الانسان حتى التعبير الحر ان يكونوا علماء وخبراء فى الفنون والعلوم ؟ ان الطبقات الارستقراطية التى ليست بحاجة للكفاح من أجل اللقمة هى التى أتت بالثقافات والحضارات فى العصور القديمة ، فقد مكنتهم عصبيتهم وامكانياتهم المادية من أن يكرسوا أنفسهم لهذه الجوانب من الطموح الانسانى ، واننى أؤكد أنه بمجرد ان تستقل افريقية وتتحرر فاننا سنشهد ازدهارا للفكر الانسانى فى قارتنا ، ان الشخصية الافريقية سوف تجد فرصة التعبير الحر فى ظلال الحرية الحقيقية وتقديم المشاركة الفعالة فى عالم الحضارة والمدنية .

ومن الموضوعات المحببة لنكروما تلك التى يتحدث فيها عن الصحراء كقنطرة بين الدول ، وذلك منذ ان تحدث عنها أول مرة فى أثناء انعقاد مؤتمر الدول المستقلة (ابريل عام ١٩٥٨) قائلا :

« ان الصحراء لم تعد تفصلنا اليوم كما كانت الحال من قبل ، ولقد كان يحلو للدول الاستعمارية السابقة الحديث كثيرا عن تأكيد هذا الانفصال فكانت هناك افريقية الغربية ، وافريقية السوداء ، وافريقية الاسلامية ، وافريقية البحر المتوسط ، وافريقية الاستوائية ، وهذه كلها كانت تقسيمات وتشتيتات تهدف الى بث الفرقة بيننا ، ولكننا فى هذا المؤتمر فى أكرا لانهتم كثيرا بهذه المسميات والاوصاف المعتمدة على الأهواء التى قصد بها التفرقة بين أبناء القارة ، ان الصحراء تعتبر اليوم قنطرة موحدة لنا ، فنحن كتلة واحدة رباطها وعلاقاتها شخصيتنا الافريقية المتحدة . فالحقيقة أننا نكون نحن الأمم الافريقية المتحدة والآسيوية مجموعة كبيرة ممثلة تمثيلا شاملا فى الأمم المتحدة ، وأن اهدافنا ومبادئنا المشتركة التى انصهرت فى بوتقة الشخصية الافريقية تسمح لنا بأن نؤدى دورا ايجابيا فى المستقبل يعمل من أجل قضايا السلام ومن أجل تحرير افريقية غير المستقلة والدفاع عن استقلالنا القومى حتى نفخر بالسيادة الكاملة على أراضينا .

هل ستقبر الديموقراطية ؟

لقد اكد اللورد بيفربروك انه توجد اليوم بلاد غير متطورة منحت هدية الاستقلال مثلما يهدى المرء لعبة للطفل ، ولا يقصد بهذه العبارة دولة كغانا ، فقد تطورت هذه البلاد سريعا فان منع الثقة لنكروما لا نستطيع نكرانه او نكران الاحترام لهذا السياسى الماهر الذى يحكم الدولة ، فقد سمعت فى غانا هذه العبارة :

« ان الرجل الأبيض يستطيع ان يعمل كل شيء فى افريقية اليوم الا الحكم ، والرجل الأسود لا يعمل اى شيء الا بالحكم ، اى عندما يكون مالكا لزمام بلاده » .

حقا ان القوة محدودة ، والحال فى غانا كالحال فى أفريقية كلها تقريبا يبتعد كثيرا عن الديمقراطية ، والدكتاتوريون فى تزايد مستمر حتى ان الافريقيين كثيرا ما يتساءلون : هل كانوا لا يحلمون بأن يكونوا وزراء فى هذا التطور ؟ فالمسئولون الافريقيون يعتبرون الديمقراطية طبقا للنظام الانجليزى عنصرا اجنبيا يجب الا يدخل فى افريقية ، وكثيرا ما قالوا كذلك : ان الاستعمار قد أيقظ روح المعارضة فى الشعوب المقهورة حتى ان الدكتور « طنين بوم » قد وضع بحثا عن أسباب هزيمة الديمقراطيات فى بلدان امريكا اللاتينية واسباب الاختلاف الأساسى بين البناءين الاجتماعيين فى كل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية ، وكذلك فى أمريكا الجنوبية ، كما أشار فى هذا البحث الى المستويات المقارنة فى افريقية .

وقد كتبت التايمز اللندنية

فى تعليق لها قائلة : بينما يعتبر الفرد أصغر خلية اجتماعية لها كيانها فان المجتمع الغربى يعتبر المناطق الريفية أصغر خلية فىمجتمعه، واذا ما اتجه المرء على سبيل المثال الى الانتخابات القروية الجديدة التى تقوم على اساس احتياجات المجتمع الذاتية فسيجد ان المجتمع الذى يقوم على التكتل سيفسد فورا وسيقوم فيه بلا شك صراع مشابه لما قد يقوم اليوم فى افريقية ، فقد نما البناء الاجتماعى من أفراد دون نظر للعصبية بصورة متزايدة حتىانمفهوم القبيلة والعائلة كوحدة مستقلة قد فقد معناه الحيوى فى المراكز الصناعية على وجه الخصوص، ذلك ان الناخبين غالبا ما يساعدون رجلا للوصول الى السلطة ، وهو الرجل الذى يحظى باختيارهم لمركزه الهام بالنسبة لهم فى المجالس الخاصة وبرغم ذلك فالقوى الحقيقية تظل دائما فى أيدى السلطات

التقليدية ، ومن ثم ينشأ صراع بين الحكومة المركزية الديمقراطية المنتخبة ، وبين المجتمعات القروية الموجودة منذ وقت طويل .

ومثل هذا الصراع يمكن ملاحظته فى غانا فحزب نكروما الحاكم صاحب الاغلبية يريدان يمثل نظام الغرب الديمقراطى على حين ان المعارضة التى تريد تمثيل الاقليمية تقول : انه من المؤكد ان الرئيس نكروما يريد تحقيق النظم الديمقراطية ولكنه قد قبر الديمقراطية بنفسه وانه بدا يقاسى من وجود صفوة صغيرة فى بلاده شأن الأمر فى أغلب بلدان افريقية .

فالدولة الديمقراطية تتطلب الكثير من مواطنيها على حين ان ثمة اقلية من الافريقيين تعرف ما تتطلبه ، فعندما انشأ نكروما بعد عودته الى بلاده اول كلية غانية دعا الشباب قائلا : (فكروا وادرسوا برغبة اكيدة ومثابرة وتعلموا بجد ، فاننا فى حاجة كبيرة اليوم الى مفكرين ، مفكرين دارسين ذوى عقول راجحة وافكار عملية نحن نريد رجالا عاملين من ذوى الهمم الكبيرة ، والا فماذا يفيد علمكم اذا كنتم لاتساعدون بلادكم وتساهمون فى الأخذ بيدها ساعة الشدة ؟.

ان بلاد غانا تقف اليوم على مفترق طريقين للحكم هما :

« طريق السلطة الشخصية وطريق الفوضى » ولقد احتاجت كل من أمريكا وأوربا الى وقت كبير وتضحيات جمة للتخلص من الوقوع فى أى منهما والاقتراب من طريق الديمقراطية .

وعلى أية حال فقد احتل الرئيس نكروما مكانة ممتازة بين رجال الساعة فى أفريقية فعندما منح فى عام ١٩٥١ درجة الدكتوراه الفخرية من جامعته القديمة لنكولن ، قال كما قرر فى تاريخ حياته : « ان الشىء الحاسم لايتمثل فى الوصول الى الذروة التى تسلقها المرء بغضب وانما فى الهوة التى أتى المرء منها » .

ومن الواضح أنه قد تطور من شاب من أعماق الغابة الى زعيم بارز فى افريقية اليوم ، وأنه مطالب بالمحافظة على مصير البشر وقد قال : اننى طاقة كاملة يحتاج المرء الى جذبها كل صباح فلا تحتاج طيلة النهار الى غذاء أو نوم واذا أفلت منى القلم فاننى أستعيده ببساطة .

وفى زيارة رسمية لنيجيريا أعلن مايمكن أن يعد عبارة مرشدة فى حياته فقال : انه من الأفضل أن يدير المرء شئونه الخاصة فى حرية وسواء كانت هذه الادارة حسنة أو سيئة فنتائجها عائدة اليه ، ولكنها مهما بلغت من السوء فى ظل الحرية فهى أفضل ولا شك من أن تكون حسنة فى ظلال العبودية .

ان هذه الكلمة يمكن تطبيقها على جميع رجال الساعة فى افريقية .

يوليوس نيريري

مدرس يصبح زعيم دولة

من الآن فصاعدا يجب أن يكون واجبنا الأكبر أن نناضل ضد أعداء شعبنا الثلاثة : الفقر والجهل والمرض ، ولكي نربح المعـــركة ونصل الى تحقيق هذا الواجب يلزمنا أن نكون شعبا متحدا

« يوليوس نيريري »

« من خطبة له بعد اعلان الدستور »

سافرت بين دار السلام وجزيرة زنجبار ذهابا وايابا وفي أثناء السفر فقدت حقيبة أوراق تحتوى مستندات قيمة ، وقد حزنت لفقدها غـــاية الحزن وكلفت أناسا كثيرين البحث عنها واعادتها فور العثور عليها ، ولكن جهودهم ضاعت أدراج الرياح .

وفي فندق « افريقية الجديدة » الذي كان معروفا فيما مضى باسم فندق « البلاط القيصرى » (كايزرهوف) تقدم الى رجل افريقى عجـوز قائلا : انه ، وان كان لا يعرف شيئا عن حقيبة أوراقي ، يريد أن يســير برفقتي لحديث يود الافضاء به الى .

وفي حوض بيكن بدار السلام طريق للنزهة يسير فيه آلاف الناس من الافريقيين والآسيويين والأوربيين كل مســـاء لاستنشاق هواء البحر المنعش فيتنزهون ويثرثرون وربما يعقد البعض منهم صفقات تجارية أو يتعارفون ويرتبطون بصداقات جميلة ، لذلك كنت أخرج للتنزه بعـــد وجبة العشاء دائما وكان من الأنسب أن يكون لي مرافق في هذه الليلة وقد سمع الرجل العجوز من بواب الفندق بفقد حقيبتي ، هذا بالاضافة

الى علمه بأنى جئت من ألمانيا وأشتغل بتأليف الكتب مما كان له اهميـــة أكبر لديه ٠

وفى أثناء حديثنـــــا علمت أنه كان يعمل عازفا فى فرقة البوليس الموسيقيه الالمانية وقبل اندلاع الحرب العالمية الاولى بقليل زار مع فرقته الموسيقية برلين القيصرية وعندما كان دون العشرين رأى الكثير و نانت له مغامرات عاطفية مستورة ٠ وكانت النساء يتجنبه هو ورفاقه كما ادعى ، وكنت أرد عليه ادعاءانه فى شىء من التحفظ فقال : انه حينما رجع الى تنجانيقا كانت النسوة البيض قد رحلن وما أن سمعت هذا حتى تملكنى الضحك وقلت : انه لشىء يدعو الى الرضا أن تكون مسرورا بذكرياتك ٠ فأجاب قائلا : لم يكن هذا أهم شىء ، ولكن ما عجبت له حتى اليوم هو أن النسوة البيض يتجنبن الافريقيين فهل تستطيع أنت تعليل السبب ، على اعتبارك كاتبا ومؤلفا ؟ ولكنى لم أعطه ردا شافيا ٠

وقد سمعت من هذا الافريقى العجوز مرة أخرى أنه لا يحمل فى نفسه أية ضغينة للألمان ، بل على العكس أحبهم وأعجب بهم ، كما لا يحمل حقدا للانجليز الذين قضوا على السيادة الألمانية ، ثم قال معقبا : وبالتأكيد لا أود أن أقول أنا اننى أحبهم أو أعجب بهم فالانسان لا يستطيع أن يحب الا مرة واحدة وانه احترم الانجليز دائمـــا ، ولكن بالتأكيد مع بعض التحفظ ، لقد استولوا على ما بناه الألمان الذين كان يجب أن يستمروا ، وعلى كل ان ما حدث لم يكن ضروريا ، كان فى استطاعة الألمان ان يبقوا طالما كانوا بعيدين عنهم ، ثم التفت الى قائلا : هذا كل ما كنت أريد أن أقوله لك ، حفظك الله ، قال هذا ، ثم اختفى فى الظلام ٠

منذ الاستعمار الألمانى حتى الاستقلال

أتمت تنجانيقا (مساحتها ٩٣٩٫٣٦١ ك م) فى خلال سبعين عاما مرحلتين حاسمتين من مراحل التطور ، وهى تقف الآن فى بداية المرحلة الثالثة ، وقدكانت تنجانيقا فى الأصل هى الاقليم الرئيسى لشرقى افريقية الذى يستعمره الألمان ، وفى عام ١٨٨٤ عقد كارال بيترز معاهدات عــدة مع رؤساء القبائل ، ولذلك كسب أقاليم كبيرة لألمانيا القيصرية ، اذ فى عام ١٨٨٥ أسس بيترز شركة افريقية الألمـــانية » التى تسلمت خطاب ضمان من القيصر ٠

وفى عام ١٨٩٠ انضمت أقاليم أخرى الى تنجانيقا ، وبدأت الادارة الاستعمارية فى عام ١٨٩١ حتى قسمت مناطق شرقى افريقية الألمانية طبقا لمعاهدة فرساى ، ثم عهدت عصبة الأمم بوصاية كل من مملكتى

« رواندى » الى بلجيكا وعهدت بوصاية جميع المديريات الأخرى الى انجلترا وأطلق عليها وحدها اسم « تنجانيقا » .

وبعد ايجاد الأمم المتحدة عام ١٩٤٥ حملت على عاتقهـــا حقوق الوصاية على هذه الممالك وقد رأت تنجانيقا على مر التاريخ أن تدخل فى اتحادات مع كل من كينيا وأوغندا ، ولكن ثمة خلاف جوهرى بينها وبين كينيا . فنسبة الثمانية والتسعين فى المائة من السكان الافريقيين المحليين تضم ٩٨٣٢٠٠ نسمة من قبائل البانتو و ٧٥٫٠٠٠ تاجر من آســـيا يعيشون فى العاصمة دار السلام ، ومن ٢٤٫٠٠٠ أوربى يعيش أربعة آلاف نسمة منهم كمواطنين دائمين فى تنجانيقا نصفهم من الانجليز ، وعلى هذا ليس ثمة وجود لمشكلة الاستيطان ، كما هو الأمر فى كينيا أو فى الجزائر اذ يدرك هؤلاء المســتوطنون أن من مصلحتهـــم أن يتفقوا مع الافريقيين وأن يدور كل جهادهم حول هذا الهدف ، ولذا وثق فيهم الزعيم الوطنى يوليوس نيريرى ، الذى يعده اليوم كثير من الانجليز من أقدر الساسة والزعماء الافريقيين .

وحين ترى طريق حياته وتراقب التغيرات القـــانونية الوليدة فى تنجانيقا التى قادت الدولة الى طريق الاستقلال ستعرف أنه قد وقعت هنا بعض الاحتكاكات أو الثورات بعكس ما حدث فى البلاد الأخرى ، والى نيريرى يعود الفضل فى هذه الحقيقة السارة ، هذا الرجل الذى بدأ صغيرا والذى سرعان ما ظهرت مطالبه من الانجليز ، ولكن هدوءه ولطفه كانا سببا فى الكثير من الخير للدولة ، وربما أثر ذلك فى صديقه الصـــغير « توم مبويا » حتى انه قد انتهج موقفا معتدلا فى أثناء الاجتماع اللندنى الكينوى .

مجرى حياة مدرس

يعتبر يوليوس نيريرى شخصية عظيمة جمعت بين دمـــاثة الخلق والرقة وهو ابن نيريرى بوريتو ، رئيس الزاناكى احدى القبائل الصغيرة فى تنجانيقا التى تضم مائة وثلاث عشرة قبيلة . وحتى الوقت الحـــاضر وزعت هذه القبيلة على ثمانية رؤساء كبار ، ومن طريف ما يذكر أن الأخ غير الشقيق ليوليوس هذا قد انضم الى الرئيس فانزاجى نيريرى ، وحالما تسلم الألمان مقاليد الحكم عاش الوالد الذى كان رئيسا من قبل حتى أنجب ٢٦ طفلا .

وقد ولد يوليوس فى عام ١٩١٨ وعندما بلغ الثانية عشرة جاء الى جوتياما حيث التحق بمدرسة مورمــــا ، ومنذ عـــام ١٩٣٤ وهو يعتنق

المسيحية ولكنه قبل عام ١٩٤٣ كان كاثوليكيا رومانيا عندما كان عمره آن ذاك خمسة وعشرين عاما •

وبعد المدرسة الأولية التي قضى بها ثلاث ســــنوات بدلا من أربع بمناسبة سرعة تحصيله ذهب الى تابورا حيث التحق بالمدرسة الثانوية في الاقليم الرئيسي •

ومنذ عام ١٩٤٣ حتى عام ١٩٤٥ التحق بجامعة ماكريري في كامبالا التي تعد مركز اقتصاد أوغندا ، وهي الجامعة الوحيدة التي في المنطقة بين مصر «وجنوب افريقية» والتي مازالت حتى الآن المدرسة العليا الوحيدة في لشرقي افريقية• وبعد أن حصل يوليوس نيريري على دبلوم التدريس ترك جامعة ماكريري وعاد الى تابورا ، حيث اشتغل مدرسا في مدرسة سانت ماري الارسالية •

ومنذ عام ١٩٤٩ التحق بجامعة أدنبرة « باسكتلندا » ، حيث درس بكل اهتمام « تاريخ واقتصاديات الأمة » ثم ترك الجامعة أستاذا للفنون وعاد الى تنجانيقا في أكتوبر سنة ١٩٥٢ ، ومن ثم عاد الى وظيفته كمدرس في مدرسة سانت فرانسيس في بوجو بدار السلام ، الا أنه كرس حياته في الوقت نفسه للسياسة وفي هذا الصدد قال نيريري : اني سرت على هدى من ضميري •

وفي دار السلام العاصمة اتخذ له مسكنا وتزوج فتـــاة من قبيلة أخرى ، قاصدا بذلك ان يبرهن على تحضره فلم يجعل الأفضلية لبنـــات قبيلته •

ولقد كان نيريري وطنيا عسكريا على مستوى دولي ، وقد توصل الى ذلك بنفسه من قبل فانضم الى المعارضة وقد اكتسب التقدير والاحترام لسعة اطلاعه واستقامته واخلاصه في معاملاته مع الجميع حتى الحكومة • وقد قام نيريري باتصالات مع اتحاد افريقية التنجانيقي الذي أسســه الموظفون الانجليز في الأصل كاتحاد اجتماعي للافريقيين ، وفي عام ١٨٥٣ أصبح رئيسا لهذا الاتحاد ، وقد سن له دستورا جديدا ووفق عليه في يوليو من عام ١٩٥٤ ، وفي الوقت نفسه أطلق على الاتحاد الاسم الجديد « الاتحاد الوطني الافريقي التنجانيقي » • وقد كان نيريري زعيمــــا للمعارضة كلها بصفته عضوا ممثلا في المجلس التشريعي •

وفي عام ١٩٥٤ زارت احدى بعثـــات الأمم المتحدة أحد أقـــاليم تنجانيقا ودعت يوليوس‌نيريري رئيس الاتحاد الوطني الافريقي التنجانيقي في فبراير عام ١٩٥٥ لزيارة نيويورك • وفي الأمم المتحدة ألقى خطابا عن آمال الشعب ترك أثرا عميقـــا في نفوس المجتمعين كافة ، وبعد عودة

نيريرى الى تنجانيقا قام برحلة استغرقت شهرا جاب فيها البلاد حيث القى خطبا نارية ضد سياسة القبائل الانفصالية ، ودعا الى الوعى القومى التنجانيقى ٠

وفى نوفمبر من عام ١٩٥٦ ذهب مرة ثانية الى نيويورك وتحدث فى هذه المرة أمام اللجنة الرباعية للجمعية العامة للأمم المتحدة ، واعترف فى حماس بالديمقراطية مطالبا فى قوة واصرار بالاستقلال السريع لبلاده ، وفى عام ١٩٥٧ عين عضوا فى المجلس التشريعى وأصبح فى عام ١٩٥٩ عضوا منتخبا ، وفى الأول من يوليو عام ١٩٥٨ تولى الوزراء غير الرسميين مناصبهم ، هؤلاء الوزراء الذين قاموا بتحمل أعباء الحكومة والذين اختيروا من بين الثلاثين عضوا المنتخبين وكانوا ثلاثة من الافريقيين وواحدا آسيويا وواحدا أوربيا ٠ ولم يتول نيريرى أى منصب وزارى ، ولكنه كان يتحدث قائلا : انه سيتولى منصب رئيس الوزراء دون غيره من المناصب الوزارية ، وحينئذ يتحكم وحده فى جميع الأحداث السياسية ٠

تغييرات دستورية حاسمة

فى ١٥ من ديسمبر عام ١٩٥٩ أعلن حاكم تنجانيقا سير ريتشارد كورنبول ٠

« التغييرات الدستورية الجوهرية ٠ وذلك فى بيان له أمام المجلس التشريعى فى دار السلام ، وهذه التغييرات تعنى أنه سيصبح المجلس التشريعى خلال سنة مكونا من الأغلبية الافريقية المنتخبة ٠

وقد أعلن الحاكم ثلاث نقاط هامة هى :

أولا : اعادة تكوين مجلس الوزراء عن طريق انتخابات عامـــة فى سبتمبر عام ١٩٦٠ ، وسيكون عدد الوزراء المنتخبين من بين صفوف أهل البلاد الأصليين أكثر من عدد الوزراء الذين اختيروا من المستوطنين ٠

ثانيا : ــ تكون الغالبية العظمى فى المجلس التشريعى من الأعضاء المنتخبين ٠

ثالثا : ــ توسيع نطاق حق الانتخاب فى عملية الانتخابات العامة ٠

ثم أعلن الحاكم أن تفاصيل التكوين الجديد لمجلس الوزراء قد تحددت على اثر المحادثات التى جرت فى لندن فى مطلع عام ١٩٦٠ وذلك بالنسبة لممثلى الشعب المنتخبين لا المعينين ٠

وواصل الحاكم حديثه قائلا : ان المجلس التشريعى على أســـــاس

الاقتراحات الجديدةسيتكون من واحد وسبعين عضوا منتخبا ، من مقاعدهم خمسون مقعدا خاليا لمرشحى جميع الأجناس ، وأحد عشر مقعدا للآسيويين وعشرة مقاعد للأوربيين بالاضافة الى عدد قليل من المقاعد يحجز للأعضاء المعينين .

ويتكون المجلس التشريعى حاليا من ثلاثين عضوا منتخبا وكذلك عشرة أعضاء من الافريقيين وعشرة من الأوروبيين وعشرة من الآسيويين .

وفى موضوع حق الانتخاب كانت وجهة وزير المستعمرات جون موكلويد تتلخص فى أنه من الممكن أن يؤدى التوسع الملحوظ للتأهيل لممارسة حق الانتخاب الى نتائج باهرة لوأنه نفذ بطرق أخرى ، كما اقترح تقرير «راماج» المعلن فى ١٥ من ديسمبر عام ١٩٥٩ والذى وضعته لجنة تحت رياسة سير ريتشارد راماج نفسه ، وقد كونت هذه اللجنة بعد الانتخابات الأخيرة لبحث موضوع التمثيل فى المجلس التنفيذى والتعديلات الممكنة لحق الانتخاب .

وأخيرا أعلن الحاكم أنه لابد للمنتخب عند اجراء الانتخابات العامة التالية من أن يثبت الأهلية الضرورية التى من بينها السن التى تمكن من القدرة على ممارسة الانتخابات ومحل الاقامة فى ظل حماية الاقليم وأن يستطيع قراءة وكتابة اللغة الانجليزية أو السواحلية ، وأن يكون له دخل سنوى لايقل عن ٧٥ جنيها استرلينيا وأن تكون له وظيفة فى الحاضر أو الماضى معترف بها .

وكان من أثر اعلان الحاكم أن سارت الامور كما قدر لها من قبل فقد حصل الملايين التسعة من الافريقيين على أكثرية واضحة فى المجلس التشريعى لاول مرة ، كما وقف الاربعة والعشرون الفا من الأوربيين والخمسون ألفا من الآسيويين بعضهم ضد بعض فى المجلس . وقد شغل الافريقيون جميع المقاعد وتكونت المعارضة من خمسة من الافريقيين على حين وقف كل عضو أوربى ضد كل عضو آسيوى ، وكان يمكن المرء أن يرى بوضوح أن هذا التقدم السريع فى تنجانيقا كان مثار الحسد منجانب كل من كينيا وأوغندا ، ولكن العلاقات بين الأجناس المختلفة كانت هنا على أتم وفاق مثلها فى ذلك مثل البلاد المجاورة .

وفى يونيو من سنة ١٩٦٠ عبر مجلس الوصاية للأمم المتحدة عن رضاه التام لان تنجانيقا قد دخلت فى المراحل السياسية الأخيرة الممهدة الى الاستقلال .

لو لم أكن أفريقيا

ألف يوليوس نيريرى كتابا صغيرا عنوانه «أسوار الديمقراطية» .

وغالبا مانقل عن هذا الكتاب بعض زملائه مثل توم مبويا وقد حاول أستاذ التاريخ أن يصنع التاريخ بنفسه وأن يعطى من خلال ثنايا كتابه تحليلا للشخص غير الافريقى «لو لم أكن افريقيا» ولولا ماعنـــدى من الاسباب القوية لتعضيد الرغبة الافريقية فى الاستقلال لحكمت اقتنـاعا بما أوضحه أن هذه الارض يجب أن تحـــكم دون شـــك وفقا لارادة الافريقيين .

ونحن لانستطيع عمـل أى شىء لعرقلة هـــذه الارادة والافريقيون أنفسهم يعرفون ذلك . ولهذا كان واجبنا العمل على تحاشى ايجاد العراقيل أو خلق الصعوبات وليتم التطوير الى الأحسن وبوصفى غير افريقى فانى أسائل نفسى : لماذا أخشى أهل افريقية ؟ هل لان الافريقى لايخشـــانى أو لانه ليس بحاجة الينا .

اننى فى الحق لاأخاف الافريقى أكثر مما يخافنى هو اننى أعرف أن الافريقى يقاتل ضد الخضوع والاستعباد أو ضد أى شىء لاترتضيه نفسه وأنا أحاول أن أتبين ملامح هذا الشىء الذى يفضله الافريقى صاحب السلطة والذى سيضطهدنى فى بادىء الامر ، اننى استطعت أن أستنتج أننى أخاف عدم الاستقرار الذى يخيم كالضباب فيعوق الرؤية ويخفى معالم الأشياء ، واستطعت أيضا أن أستنتج أن الجزء الاكبر من مخاوفى حقيقى ، ولكن ربما كنت أنا الأوربى السبب المباشر .

الحاجة الى البيض فى كل الأحوال

كما يشعر المرء فى كل مكان فى افريقية يشعر كذلك فى تنجانيقا بالحاجة الى الرجال والنساء من أهلها الذين يستطيعون القيام بجميع أعمال البريد التي مازال البيض يسيطرون عليها حتى الآن ، فالمرء يستطيع أن يحصى ١٣٠٠ موظف بريطانى فى الكادر العالى و ١٥٠٠ موظف فى الكادر المتوسط يقابلهم حتى الآن ٣٠٠ موظف افريقى من كلتا المجموعتين .

ونيريرى يرى أن يتعاون مع الموظفين الانجليز ولكن بشروط مختلفة عن ذى قبل ، وفى هذا الصدد أخذ نيريرى عن نهرو ، كمـا قام بكفالة ضمانات من أجل المستقبل وأخطاره متشابهة فى الغالب مع السياسة التى

تعد بلده للاستقلال والتى أحرزت بلاده بها تقدما عن ذى قبل ٠ وفى هذا الصدد يقول :

ستحتاج تنجانيقا الى خدمات الموظفين الانجليز فترة طويلة من الوقت وقد اتبع الاستعمار فى غربى افريقية منذ البداية سياسة واضحة وكون بعض الوقت خدمة وظيفية محلية ولكن سارت الامور فجأة بسرعة جعلت السكان يحسون احساسا قويا بحاجتهم الضرورية الى التدريب ٠

وفى الحق أنه أصبح من الضرورى توافر فترة زمنية طويلة يستطيع الموظف فيها مزاولة التدريب ، أما قبل الآن فلم يكن له أية قيمة ، فبالرغم من أن نسبة التحول الى الافريقية قد تقدمت بخطوات واسعة فان هذا لم يكف نظرا للتهديد غير الجاد لتحمل مسئولية النظام ٠ أما فيما يختص بمشكلة التعويض فاننى أرجو أن يظل جميع الموظفين المتطوعين حيث هم وسيتلقون من الدولة غير المستقلة تنجانيقا مرتبات وضمانات كما هو جار الآن ٠ وأما بالنسبة لأولئك الذين لايرغبون فى البقاء فلا يمكن أن تكفل لهم الدولة أى ضمانات «كالمعاش وغيره» ٠

الحقوق المدنية

لقد أخذ توم مبويا يدعو سنوات طوالا لبرنامجه الذى يتلخص فى أن يكون لكل راشد حق الانتخاب ولكل ناخب صوت ، ولكن الانجليز فى كينيا لم يفكروا فى تنفيذ رغبات توم مبويا، أما فى تنجانيقا فان حقوق الافريقيين المدنية لم تكن قد انتظمت بعد ، وذلك أنه من غير المتفق عليه على الدوام أن تتمتع طبقة متميزة بحق الانتخابات ، ولقد أسر نيريرى فى حديث الى الحاكم السير ريتشارد ترينبول فى المجلس التشريعى فى دار السلام بوجهة نظره ردا على مايسمعه المرء غالبا من البيض من أنه ليس من المفيد فى الأدغال وفى الغابة العذراء منح الحقوق المدنية للسكان قال :

ان كفاحنا انما هو كفاح من أجل حقوقالانسان ، هكذا كان وسيكون دائما ، اننا نكافح بوحى من المبدأ المنادى بعدم تدخل أى بلد فى شئون بلد آخر ضد رغبة شعبه ٠ اننا نكافح ضد أقلية ضئيلة اتخذت لنفسها مركز السيادة على أغلبية غير راضية ٠٠ ان معارضتنا للحقائق الغربية المجحفة قد قامت على أساس أننا جميعا متساوون فى الحقوق والواجبات وعلى أساس المساواة بين جميع المواطنين فى الحقوق والواجبات ، واليوم فى العالم بلاد جعلت الحقوق المدنية ترتبط بلون الانسان ، وبعض هذه البلاد قد جعلت من التقسيم اللونى علما يدرسونه ، لقد نأيتم بالعلم وسخرتموه الى التفرقة بين الناس تبعا للون جلدهم ، معتقدين أنكم قد

احتذيتم الى أن اللون يمكن أن يكون قاعدة للتشغيل الاجتماعى ، ونحن هنا فى تنجانيقا نؤمن بأن الانسان هو الجوهر المجدى الكفيل بألا يجعل من اللون دليلا على حقوقه المدنية .

سيدى ، ثمة بلاد أخرى قد ربطت الحقوق المدنية بملكية الانسان وثقافته ، وقد قسم حق الانتخـــاب الذى سينتخب على أساســـه فى تنجانيقا الى هذه الطبقات ، ونحن من جهتنا نقاوم حق الانتخاب على هذه الصورة فان المثقفين ياسيدى ، ليسوا وطنيين ومتحررين ومـكتملين أو محترمين أكثر من غير المثقفين ، فانهم يعرفون أنهم لم يتسببوا فى بلاء أقل دائما ، ولا يمكن أن يقول المرء أنهم أقل جريرة فى مصـــائب وآلام البشرية وان عملهم قد جعلهم قضاة وأحياء أفضل على أفراد الانســان . وأما عن الميزتين :

الممتلكات والثقافة فان الاولى تحمل ادعاء تافها فى أنها قد جعلت من مالكها عضوا فى المجتمع .

سيدى ، اذا كان التعليم فى الجامعة أو رزمة من الاوراق النقـدية شيئا هاما أمام القانون حتى يجيز لرجل الحصول على حقوقه المدنية فان القانون الذى ينطق بالعدل سيدل فى وضوح على افتقاره الى العدالة .

ألست ترى ياسيدى أن من الاوضاع المقلوبة كلية جعل الثقـــافة العادية أو الدخل السنوى الذى قوامه خمسة وسبعون جنيهـــا مؤهلا ضروريا لحق الانتخاب ؟ لماذا ينبغى لرجل نال قسطا من الثقافة أن يصبح مواطنا أفضل فى هذا البلد من جاره الذى مازال أميا ؟ وهل الاختلاف بين خمسة وسبعين وأربعة وسبعين جنيها فى السنة كبير الى حد يمكن معه أن يقرر الفارق الكلى بين الحقوق المدنية وبين الطبقة الاولى والطبقـــة الثانية ؟

كلا ياسيدى ، ان هذه المؤهلات الشكلية مضحكة حقا ، ولا يمكن أى أحد أن يقر عدالتها !

لا خوف

لقد قرب التغيير الدستورى فى ديسمبر عام ١٩٥٩ تنجانيقا من هدف الحكم الذاتى الكامل ولقد كانت تنجانيقـــا فى أول الامر حكومة مسئولة اعتبرت مرحلة أولى للحكم الذاتى ، وهى التى مازال الحـــكم البريطانى يتمتع فيها بحق الفيتو ، ولكن تنجانيقا ستحصل على الحـــكم

الذاتى الكامل فى وقت قريب جدا ثم قال : ان الحكم الذاتى بالنسبة لى يضارع فى أهميته الاستقلال الكامل ٠

ويجب أن نذكر أن فى تنجانيقـــا كثيرا من الافريقيين والأوربيين والآسيويين ، ولذا يجب على المرء أن يتعلم التفكير كتنجانيقا ، فالشعار السائد هو وحدتنا التى نعتبرها أفضل أسلحتنا وأكثرها مضاء ٠

أما الذى أتت به فوارق الجنس اللونية فانه يتجه الى العنـــاية بألا تصبحالحقوقالمدنية والحقوقالشخصية للأفراد حقوقا للجماعات العنصرية اذ يجب أن تلغى الامتيازات الاقتصادية الشخصية التى تنشأ عن التبعية العنصرية ٠

ولكن ماذا عن الديمقراطية ؟

يقول نيريرى : ان شـــكل الحكم الديمقراطى منـــاسب للظروف الافريقية بالطبع ، أما بالنسبة لى فان الديمقراطية تعنى مميزات هامـة تتمثل فى الحرية الشخصية والحرية تتضمن امكان توجيه النقد للحكومة وامكانية تغيير الحكومة دون اغتيال ٠

وعندما يصبح نيريرى رئيســـا للحكومة المسئولة فانه يريد نظرا لكونه مدرسا سابقا أن يتكفل بتوحيد النظام المدرسى لان المدارس ظلت حتى الآن منفصلة تبعا للأجناس المختلفة وعلاوة على ذلك يريد أن يفيد من الثروات الطبيعية للبلاد كما يريد تصنيع تنجانيقا ٠

وقد حذره أحدهم بألا يتعجل فى أى اجراء فانه مازال هناك وقت طويل أمام الحكم الذاتى ويخشى أن يأتى مبكرا مما قد يؤدى بالبلاد الى كارثة وكانت اجابة نيريرى قوله :

انه يعلمأنالمصاعب تبدأ فورا عندما يتولى الحكم فضلا عنأنه لايعرف خبايا القدر ، وشعاره الآن هو الحرية والعمل ، ثم يقول : اننا سنتخلص من جميع مشاكلنا شأن ماتفعله البلاد الافريقية الاخرى ، وسأهتم بأن يتم تسلم الحكم وديا ، بوسائل سلمية فان العنف ليس مفيـدا ، وهو يكلف الكثير ، وعلى أية حال ، أتساءل : هل هناك من يثبت أننى لاأستطيع المحافظة على القانون ؟ لقد تعلمت الكثير من نتائج عدم محافظة الأوربيين على القانون ٠

ولست بحاجة الى أن أذكر القارىء بما قاله لى ذلك الرجل العجوز الذى بحث عنى فى الفندق بدار السلام ٠

تم الكتاب



تصويب

صواب	خطأ	سطر	صفحه
الأطراف جعلت منها القارة التى	الأطراف التى	٤	٣
برتولومى	برتولى	١٨	٥
هوتنتوتن	هوتنتوتن	٩	٦
سنة ١٧٨٥	سنة ١٨٧٥	١١	٦
لا يدسج	لا يبج	١٠	٨
شفا يتسر	شفايتر	١٣	٨
شغايتسر	شغيترز	٣	١٨
صارخة	فارغة	١٧	٢٥
ويصطفون	يصطفون	٢٥	٢٦
عشر	عشرة	٧	٢٩
ولكى	ولكن	٢٩	٢٩
الغرب	الغريب	٢٩	٣٨
للبرجوازيين	للبروجوازين	٢٣	٤٧
وكانت الأيام	وكانت الشهور	٢٨	٤٨
الإمبراطورى	لامبراطور	١٣	٦٤
منهن	منهم	٢٩	٦٤
الإيديولوجية	الايدلوجية	٤	٧٥
الشرق	الشرقى	٢١	٨٤
شخصيته	سخصيته	١٥	٩٢
ستنتهى	سنتهى	١٧	١٠٩
أكيدا	أكيدا	٣١	١١٢
استبدل	استبد	١٨	١١٩
استقرار	واستقرار	٢٦	١٢٦
زعيما	رعيا	٢	١٥٣

هيئة قناة السويس

مناقصة عامة

بين مقاولى القطاع العـــام والخاص

تطرح هيئة قنـــاة الســـويس فى مناقصة عامة عملية هدم وازالة تكسيات الجزيرة رقم ١ مكرر بميناء بورسعيد وتطلب الشروط والرســـومات بالحضور شخصيا الى مقر الهيئة بالاسماعيلية (التخطيط والابحاث) وذلك نظير دفع مبلغ ٥ جنيهات وتقـــدم العطاءات باسم الســـيد / رئيس هيئة قناة السويس (التخطيط والابحاث) فى ميعاد اقصاه الساعة الثانية عشرة من ظهر يوم الاربعاء ٥ يونيو ١٩٦٣ مصحوبة بالتأمين الابتـــدائى المحدد بالشروط ولن يلتفت الى اى عطاء يقدم بعد هذا الموعـــد أو غير مصحوب بالتأمين المطلوب .

هيئة قناة السويس

تعلن هيئة قناة السويس (ادارة الاشغال) عن طرح أعمال الصيانة والتشغيل المبينة فيما يلي ويمكن الحصول على نسخة من مستندات كل عملية بتقديم طلب على عرضحال تمغة فئة خمسين مليما الى ادارة الاشغال (مكتب المناقصات والعقود) بالاسماعيلية وذلك مقابل دفع مبلغ جنيه مصرى واحد مضافا اليه مبلغ مائة مليم فى حالة طلب المستندات بالبريد ·

١ ــ عملية استخراج وشحن رمال خشنة وناعمة من محاجر الهيئة بالاسماعيلية ــ جلسة ١٩٦٣/٥/٢٧ ــ قيمة التأمين الابتدائى خمسون جنيها مصريا ·

٢ ــ عملية كسح خزانات التحليل بمبانى الهيئة بالاسماعيلية ــ جلسة ١٩٦٣/٥/٢٩ ــ قيمة التأمين الابتدائى خمسون جنيها مصريا ·

٣ ــ عملية اصلاح وصيانة أجهزة البوتاجاز والافران ملك الهيئة وذلك فى منطقة بور توفيق فقط ــ جلسة ١٩٦٣/٥/٢٢ ــ قيمة التأمين الابتدائى خمسون جنيها مصريا ·

٤ ــ تنفيذ أعمال مختلفة بداخل المنطقة الجمركية لميناء بورسعيد ــ جلسة ١٩٦٣/٦/٣ ــ قيمة التأمين الابتدائى خمسمائة جنيه مصرى ·

٥ ــ عملية التاكسيات والجسور والضفاف وخطوط المياه بمنطقة بورسعيد فقط ــ جلسة ١٩٦٣/٦/٤ ــ قيمة التأمين الابتدائى خمسمائة جنيه مصرى ·

٦ ــ صيانة طرق وأرصفة الهيئة ببور سعيد والاسماعيلية وبور توفيق ــ جلسة ١٩٦٣/٦/٥ ــ قيمة التأمين الابتدائى ألف جنيه مصرى عن كل منطقة من المناطق الثلاث · وتقدم العطاءات مصحوبة بالتأمين الابتدائى داخل مظروفين يختم الداخلى منهما بالشمع الاحمر ويذكر به اسم العملية وتاريخ فتح المظاريف ويعنون المظروف الخارجى بأسم السيد / رئيس هيئة قناة السويس (أدارة الاشغال) بالاسماعيلية ولن يلتفت الى العطاءات التى تصل بعد الساعة الثانية عشرة من ظهر اليوم المحدد لفتح المظاريف أوالعطاءات التى ترد بدون تأدية التأمين الابتدائى ·



الدار القومية للطباعة والنشر

١٥٧ شارع عتيبة - روض الفرج

تليفون ٤٠٧٥٣ / ٤١٠١٢
٤٠٥٨٨ / ٤٠٨١٤



مطابع الدار القومية

١٥٧ شارع عبيد - روض الفرج

تليفون ٢٠٧٥٣ - ٤١٠١٢
٤٠٥٨٨ - ٤٠٨١٤

